زهر الآداب

وثمر الألباب

لأبي إسحق الحصري القيرواني

مفصّل ومضبوط ومشروح

بقلم

الدكتور زكي مبارك

الجزء الأول

يطلب من المكتبة التجارية الكبرى بأول شارع محمد علي بمصر
لصاحبها مصطفى محمد

محفوظة

obeikandl.com

كلمـــــة

الى حضرة الأستاذ الفيلسوف أحمد لطفى السيد بك

سيدى

هذا كتاب من خير ما أبدع المتقدمون : فصَّلْتُه ، وضبطتُه ، وشرحتُه ، بعد إذ انتفعتُ بما أدَّبنى بهِ ساداتى أساتِذَةُ الجامعة المصرية

وإنى لراجٍ أن تجدفى هذا العمل أثراً لما تُحِبُّ أن يُوَفّق إليه طلبة الجامعة من إحياء الآداب ، والسلام ؟

المخلص

زكى مبارك

٢٢ فبراير سنة ١٩٢٥

obeikandl.com

مقدمة

الحصرى القيروانى — أبو الحسن الحصرى — طرف من أخباره — حياته الأدبية — داليته ودالية شوقى — أبو اسحق الحصرى شعره ونثره — طريقته فى التأليف — التعريف بزهر الآداب إغفال المجون — تهذيب كتب المتقدمين — رأى الدكتور طه حسين تهذيب زهر الآداب — تفصيله وضبطه وشرحه — قيمته الأدبية

الحصرى القيروانى

الحصرى — بضم الحاء المهملة وسكون الصاد المهملة وبعدها راء مهملة — نسبة إلى عمل الحصر أو بيعها ، كما ذكر ابن خلكان ، والقيروانى نسبة إلى مدينة القيروان

ويعرف تاريخ الآداب رجلين بهذا الاسم أولهما :

أبو الحسن الحصرى

وأبو الحسن هذا هو على بن عبد الغنى الفهرى المقرئ الضرير القيروانى ، وقد كان — كما ذكر ابن بسام فى الذخيرة — بحر براعة ، ورأس صناعة ، وزعيم جماعة .

طرأ على الأندلس — كما قال ابن بسام — منتصف المائة الخامسة من الهجرة بعد خراب وطنه من القيروان ، والأدب بأفق الأندلس

يومئذٍ نافِقُ السُّوق ، معمور الطريق ، فتهاداه ملوك الطوائف تهادىَ الرياض بالنسيم ، وتنافسوا فيه تنافس الديار بالأُنس المقيم .

ولكنه فيما نُقِل لم يطمئن هناك ، فاحتمل على مَضَض بَيْنَ زمانه ، وبُعْد قُطره ، ثم اشتملت عليه مدينة طنجة بعد خلع ملوك الطوائف ، وتُوُفِّى بها سنة ٤٨٨ هجرية

طَرَف من أخباره

ذُكِر أنه لما كان مقيما بمدينة طَنْجة أرسل غلامه إلى المعتمد ابن عبّاد صاحب اشبيليّة ، واسمها فى بلادهم حِمْص ، فأبطأ عنه ، وبلغه أن المعتمد لم يحفل به ، فقال :

نَبِّه الرَّكْبَ الهُجُوعا * ولِمُ الذُّعْرَ الفَجُوعا
حِمْصُ الجنّةُ قالتْ * لغلامى لا رُجوعا
رَحِم الله غلامى * مات فى الجنة جُوعا

وهذه الأبيات غاية فى خفة الروح

وحُكى أن المعتمد بن عباد بعث إلى أبى العرب الزبيدى خمسمائة دينار ، وأمره أن يتجهز بها ويتوجه إليه ، وكان بجزيرة صِقِلِّية وهو من أهلها . وبعث مثلها إلى أبى الحسن الحُصْرى ، وهو بالقيروان ، فكتب إليه أبو العرب :

لاتَعْجبنَّ لرأسى كيف شاب أسًى * واعْجَبْ لأسْوَدِ عينى كيف لم يَشِبِ
البحر للرُّوم لايجرى السفين به * إلا على غَرَر والبَرُّ للعرَبِ

وكتب له الحَضْرى :

أَمَرْتَنى بِرُكوب البحر أقْطَعُهُ * غيرى،لك الخير،فاخْصُصْهُ بذا الداء
ما أنت نوحٌ فتُنجِينى سفينتهُ * ولا المسيح أنا أمشى على الماء

حياته الادبية

ذكروا أنه كان عالما بالقرآءات وطُرُقها ، وأنه أقْرأَ الناسَ القرآن الكريم بسَبْتَة وغيرها ، وأن له قصيدة نظمها فى قرآآت نافع ، عدد أبياتها مائتان وتسعة ، وأن له ديوان شعر ، وهو القائل :

أقول لَهُ وقد حيَّا بكأسٍ * لها من مِسْكِ رِقّتِهِ خِتَامُ
أمِن خَدّيك يُعْصَرُ قال كلاًّ * متى عُصِرتْ من الورد المُدَامُ ؟

وأشهر قصائده تلك الدالية التى افتنّ فى معارضتها الشعراء[1] ولنذكرها هنا لقيمتها وأثرها فى تاريخ الآداب العربية ، قال :

ياليل الصبّ متى غَدُهُ * أقيامُ الساعةِ موعِدُهُ
رَقَدَ السُّمّارُ وأرّقَهُ * أسَفٌ للبين يُرَدِّدُهُ
فبكاه النّجْمُ ورقّ لَهُ * مما يرعاه ويرصُدُه
كَلِفٌ بغزالٍ ذى هَيَفٍ * خَوْفُ الواشينَ يُشَرِّدُهُ
نَصَبَتْ عيناىَ لَهُ شَرَكاً * في النوم فعزّ تَصَيُّدُهُ
وكفى عَجَباً أنّى قَنِصٌ * للسِّرْب سبانى أغْيَدُهُ
صَنَمٌ للفتنة مُنْتَصِبٌ * أهواه ولا أتَعَبَّدُهُ

(١) تجد هذه المعارضات فى مجموعة صغيرة نشرها الاديب محيي الدين افندى رضا سنة ١٩١٩

صاحٍ والخمر جَنَى فَمِهِ * سَكْرانُ اللحظِ مُعَرْبِدُهُ
ينضو من مقلتِهِ سيفاً * وكأنّ نُعاساً يُغْمِدُهُ
فيريقُ دَمَ العشاقِ بهِ * والويل لمن يتقلدهُ
كلا لا ذنب لمن قَتَلت * عيناهُ ولم تَقْتل يَدُه

يامن جَحَدَتْ عيناه دَمِى * وعلى خدّيهِ تَوَرُّدُهُ
خدّاك قد اعترفا بدمى * فعلامَ جُفُونُك تجحدُهُ
انى لَأعيذك من قَتْلِى * وأظنك لا تتعمّدُهُ
بالله هب المشتاق كرًى * فلعل خيالك يُسْعِدُه
ماضرّك لو داويتَ ضَنًى * صَبٍّ يُدْنيك وتُبْعِدُهُ
لم يُبْقِ هواك لَهُ رَمَقاً * فليبك عليه عُوّدُهُ
وغداً يَقضى أو بعد غدٍ * هل من نظرٍ يتزوّدُهُ

ياأهل الشوق لنا شَرَقٌ * بالدمع يفيض مورّدُهُ
يهوَى المشتاق لقاءَكمُ * وظروف الدهر تُبَعِّدُه
ماأحلى الوصل وأعذبَهُ * لولا الأيام تنكّدُه
بالبين وبالهِجران فيا * لفؤادى كيف تجلّدُه

وممن عارض هذه القصيدة من المتقدمين نجم الدين القمراوى إذ يقول :

قد ملّ مريضَك عُوّدُهُ * ورثى لأسيرك حُسّدُهُ

لم يُبقِ جفاكَ سوى نَفَسٍ * زفرات الشوق تُصَعِّدُه
هاروت يعنوِن فن السحـــ ـرِ الى عينيك ويُسْنِدُهُ
واذا أغمضت اللحظ فتكـــ ـتَ فكيف وأنت تجرِّدُه
كم سَهَّلَ خدُّك وجهَ رِضاً * والحاجب منك يُعقِّدُه
ما أشرك فيك القلب فَلِمْ * فى نار الهجر تُخَلِّدُه

وناصح الدين الأرّجانى إذ يقول

هل أنت بطولك مُسْعِدُه * ياليل فصُبْحُك موعِدُه
لا كان قصيرَ الليل فتًى * ميعادُ منيّتِه غَدُهُ
فى صدرى من كَلَفٍ بِكُمُ * جُندٌ للشوق يجنِّدُه
أعليل اللحظ وعلتهُ * منها المتألّم عُوِّدُه
عيناك لسفك دمى جنتا * فالصُّدغ علامَ تجعِّدُه
ودمى لايحسن محملهُ * فى الناسِ فَلِمْ تتقلّدُهُ
لم أنسَ برامة موقفنا * والشمل أظلّ تبدُّدُهُ
رَشَأٌ قد أفلت من شَرَكى * والبين غدا يتصيّدُهُ
سِرْبٌ قد عنّ بذى سَلَمٍ * وغدا بفؤادى أغيَدُهُ
وتطاول يُتبعهم نَظَرًا * صبٌّ قد طال تبلُّدُهُ
حرّان القلب مُتيَّمُهُ * حيران الطرف مُسَهَّدُهُ

وأبرع من عارضها من المعاصرين فخرِ مصر والشرق أمير الشعراء أحمد شوقى بك إذ يقول

مُضْنَاك جفاهُ مَرْقَدُهُ * وبكاهُ ورحَّم عُوَّدُهُ

حيران القلب مُعَذّبهُ * مقروح الجفن مُسَهّدُهُ
أودى حُرَقاً إلا رمقاً * يُبقيهِ عليك وتُنفِدُه
يستهوى الوُرْقَ تأوُّهُهُ * ويُذيب الصخر تنهُّدُه (١)
ويُناجى النجم ويتبعهُ * ويُقيم الليلَ ويُقعِدُهُ
ويُعلّم كلّ مطوّقةٍ * شَجَناً فى الدَّوح تردّدُهُ
كم مدّ لطيفك من شَرَكٍ * وتأدَّب لا يتصيَّدُهُ
فمساك بغُمضٍ مُسْعِفُهُ * ولعلّ خيالك مُسعِدُهُ
الحسن حلفتُ «بيوسُفِهِ» * و «السورةِ» أنك مُفْرَدُهُ
قد ودَّ جمالَك أو قبساً * حوراءُ الخلد وأمْرَدُهُ
وتمنّتْ كل مُقطّعةٍ * يدها لو تُبعثُ تشهدهُ
جحدت عيناك زكّى دمى * أكذلك خدكَ يجحدهُ
قد عزّ شهودى إذ رمتَا * فأشرت لخدك أُشهِدُهُ
وهممت بجيدك أشركُهُ * فأبى واستكبر أصيَدُه
وهززْتُ قوامك أعطِفُهُ * فنبا وتمنّع أملَدُهُ (٢)
سببٌ لرضاك أُمهِّدُهُ * مابال الخصر يُعقّدُه
بينى فى الحب وبينك ما * لايقدر واشٍ يُفسِدُه
مابال العاذل يفتح لى * باب السُّلوان وأوصِدُه
ويقول تكاد تُجنُّ به * فأقول وأوشِك أعبده
مولاىَ وروحى فى يَدِهِ * قد ضيّعها سَلِمتْ يَدُه

(١) جمع الورق : ورقاء وهى الحمامة (٢) الاملد والاملود : الغصن اللين الناعم

ناقوس القلب يَدُقُّ لهُ * وحنايا الأضلُع مَعبَدُهُ
حُسَّادى فيه أعذرهم * وأحقُّ بعذرى حُسَّدُهُ

قَسَماً بثنايا لؤلؤها * قَسَم الياقوتَ مُنضَّدُهُ
ورُضابٍ يوعَدُ كوثرَهُ * مقتول العشق ومُشهَدُهُ
وبخالٍ كاد يُحجُّ لهُ * لوكان يُقبَّل أسودُهُ
وقوامٍ يروى الغصن لَهُ * نسباً والرمح يُفنَّدُهُ
وبخَصْرٍ أوهن من جَلَدِى * وعوادى الهجر تبدِّدهُ
ماخنت هواك ولاخَطَرَتْ * سلوًى بالقلب تبرِّدهُ

وإنما ذكرت حياة أبى الحسن الحُصْرى ، وشيئاً من أخباره ، لأنى رأيت أكثر الناس يحسبونه صاحب زهر الآداب ، ولأنى أحب دائما أن أقدم للقارئ ما يُمتِعُ عقله ووِجْدانه من المعارف الأدبية ، لأيَّة مناسبة ؛ ولأن أبا الحسن الحصْرى ابن خالة أبى إسحق الحصْرى صاحب زهر الآداب ، وفى هذه القرابة مايدعو للتنويه به فى هذا المقام ، والظَّفَر للقارئ على أىّ حال

أبو اسحق الحصرى

أما أبو إسحق الحُصْرى فهو ابراهيم بن على بن تميم المتوفّى سنة ٤٥٣ هجرية ، وقد عُنِىَ به كثير من كُتّاب التراجم : فتكلم عنه ابن رشيق فى الأنموذج ، وابن بسّام فى الذخيرة ، والرشيد بن الزبير فى الجِنان ، وابن خلكان فى وَفَيات الأعيان

وقد كان شباب القيروان — فيما قالوا — يجتمعون عنده ، ويأخذون عنه ، وكان لديهم من المُكْرَمين

شعره ونثره

أورد ابن رشيق من شعره هذين البيتين :

إنى أُحِبُّكَ حُبًّا ليس يبلغُهُ * فَهْمٌ ولا ينتهى وصفٌ إلى صِفَتِهِ
أقصى نهاية علمى فيه معرفتى * بالعجزِ مِنّىَ عن إدراكِ مَعْرِفَتِهْ

وأورد له ابن بسّام هذين البيتين

أورد قلبى الردى * لامُ عِذَارٍ بَدَا
أسود كالكفر فى * فى أبيَضَ مثل الهدى

ولو نُقِلت إلينا من شعره طائفة صالحة لاستطعنا أن نعيّن منزلته بين الشعراء

أما نثره فمُستَمْلَح ، ويغلب فيه السَّجْع المقبول ، الخالص من شوائب الصنعة والتكلف ، والسجع فى الأصل حِلْية وزينة ، وانما يعاب عند الغُلُوّ والإغراق

وإليك أنموذجاً مما جاء من نثره فى مقدمة كتابه ؛ قال :

« ولم أذهب فى هذا الاختيار ، إلى مُطَوَّلات الأخبار ، كأحاديث صعصعة ابن صَوْحان ، وخالد بن صفوان ، ونظائرهما ، إذ كانت هذه (يريد الفِقَر الصغيرة) أجمل لفظا ، وأسهل حِفظا ، وهو كتاب يتصرف فيه الناظر من نثره ، إلى شعره ، ومطبوعه ، إلى مصنوعه ،

ومحاورته ، إلى مفاخرته ، ومناقلته ، إلى مساجلته ، وخِطابه المبهت ، إلى جوابه المسكت ، وتشبيهاته المصيبة ، إلى اختراعاته الغريبة ، وأوصافه الباهرة ، إلى أمثاله السائرة ، وجِدّه المعجِب ، إلى هزله المطرب ، وجزله الرائع ، إلى رقيقه البارع »

وهذا كما ترى سجعٌ يجمع بين دِقّة الصَّنْع ، ورِقّة الطبع ، فهو فى دقته مطبوع ، لا مصنوع

طريقته فى التأليف

الأدب لاموضوعَ له ، كما يقول أستاذنا الجليل الشيخ سيد المرصفى ، وكذلك كان يفهمه أبو إسحق الحُصْرى ، فهو لايحفِل بترتيب المسائل ، ولا بتبويب الموضوعات . وانما يتصرف من الجد إلى الهزل ، ومن الأوصاف إلى التشبيهات ، ومن الشعر إلى النثر ، ومن المطبوع إلى المصنوع ، وهذه الطريقة من أهم الطُّرُق فى التأليف ، وإن عابها من لا يفرق بين الموضوعات العلمية ، والموضوعات الأدبية

ذكروا أنه ترك كتابًا اسمه « المصون ، فى سر الهوى المكنون » فى مجلد واحد ، فيه مُلَح وآداب ، أما كتابه الخالد فهو « زهر الآداب وثمر الألباب » وإنه ليسجع حتى فى تسمية كُتبه ، وكذلك كان يفعل فى عهده المؤلفون

التعريف بزهر الآداب

كان المتقدمون لايصفون زهر الآداب إلا بأنه « جَمَع كلّ غَرِيبةٍ » وهو وصف صادق ، وإنى ذاكرٌ هنا بعض صفات هذا الكتاب ، وعلى الأخص الصفات التى تعيّن منهج مُؤلِّفه ، وتميّز اتجاه بعض الأفكار فى العصر الذى عاش فيه

وإنا لنجده :

أولا — يهتم ببراعة المطلع ، وحسن الختام ، فيبدأ كتابه بهذه الجملة « الحمد لله الذى اختص الانسان ، بفضيلة البيان ، وصلى الله على محمد خاتم النبيين ، المرسل بالنور المبين ، والكتاب المستبين ، الذى تحدّى الخلق أن يأتوا بمثله ، فعجزوا عنه ، وأقروا بفضله ، وعلى آله وسلم تسليما كثيراً »

ويختمه بهذه العبارة :

وقال ابن الأعرابى أمدح بيت قاله المحدَثون قول ابى نُواس

أخذت بحبلٍ من حِبال محمّدٍ * أمِنْتُ به من طارِقِ الحَدَثانِ

ثانيا — يُعنى عناية خاصة بالكلام عن الصحابة والتابعين ، فينقل أخبارهم ، ويدوّن آثارهم ، وكانت هذه فيما يظهر عادة إسلامية فى ذلك الحين

ثالثا — يجعل الكلام فى المصيبة بأبناء النبوة بابا من أبواب الأدب ، فينقل هذه التعابير :

« قد نُعِيَ سَلِيلٌ من سُلالة النبوة ، وفرع من شجرة الرسالة .

وعضو من أعضاء الرسول ، وجزء من أجزاء الوصيّ والبتول ، تجدّد في بيت الرسالة رُزءٌ جدّد المصائب ، واستعاد النوائب — انها لمصيبة تحيّفت جانب الوحى المنزّل ، وذكّرت بموت النبي المرسل » الخ الخ !!

ويتصل بهذا عنايته بأوصاف الأشراف . كنقله هذه العبارات:

« استقى عِرقه من منبع النبوة ، ورضعت شجرته من ثدى الرسالة وتهدّلت أغصانه عن نبعة الامامة ، وتبجحت أطرافه فى عَرْصَة الشرف والسيادة ، وتفقّأت بيضته عن سُلالة الطهارة ، قد جذب القرآن بضَبُعِه ، وشقّ الوحى عن بصره وسمعه » الخ الخ ! !

وهـذا الاتجاه يدل على وجهة سياسية خاصة ، فصلّتها بعض التفصيل فى كتاب « الأخلاق عند الغزالى » وإلاّ فان النبى يقول : من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه ، بل الله يقول : فاذا نُفخ فى الصور فلا أنساب بينهم ؟ ؟

رابعاً — يُبدئ الحضرى ويعيد فى الكلام عن البلاغة والبلغاء ، والشعر والشعراء ، والإنشاء والمنشئين ، وكذلك كان أهل عصره يهتمون بدرس النثر والشعر ، ونحن مدينون لهم بما يتصل بهذا الباب من المعارف الأدبية

خامساً — يذكر كثيرا من الآداب الاجتماعية التى كان يحمدها الناس لعهده ، فيذكر ما يجمل فى معاملة الملوك ، ويتحدث عن فضل الليل ، والحرص على الأدب ، وواجب النُسّاخ ، وما الى ذلك مما يتصل بما على المرء من الواجبات ، وماله من الحقوق

اغفال المجون

وقد جرى أبو اسحق الحصرى فى زهر الآداب على إغفال المُجُون ، فنجده يقول عن راشد بن أرشد « وله مذهب استفرغ فيه أكثر شعره ، وصُنتُ الكتاب عن ذكره » وقد صرحت بانكار هذا المنهج فى « مدامع العشاق » وبينت هناك أن حرص الحصرى على الاخلاق ضيَّع علينا ما أعرض عنه من الآثار الأدبية ، وكنا فى حاجة الى أن نعرف كل ماترك الاولون !

وأحب أن يعلم القارئ أن المجون لونٌ من ألوان الغذاء التى تحيا بها العقول ، فكما أن الأجسام تحتاج فى تغذيتها الى المواد المختلفة ، والعناصر المتنوعة ، من المِلْح ، والحلو ، والمُرّ ، فكذلك العقول تحتاج فى تغذيتها الى المعارف المتباينة : من جِدّ القول وهزله ، وحُلوه ومُرّه ، ولكنّ أكثر الناس لايفقهون !

على أن الحصرى لم يُخْلِ كتابه من المجون ، بل ومن فاحش المجون ، وأحيل القارئ على ماجاء فى ص ٢١١ من الجزء الأول ، ليرى كيف غُلِب المؤلف على أمره ، فأباح مالا يباح !

تهذيب كتب المتقدمين

يهتم كثير من علماء العصر بتهذيب كتب المتقدمين ، وهذا التهذيب ينحصر فى حذف المجون وضم بعض الموضوعات الى بعض ، وأنا أنكر

هذا الأسلوب ، والعهد قريب بما كتبه سيدي الاستاذ الدكتور طه حسين فى نقد مهذّب الأغانى الذى أظهره الاستاذ الكبير محمد بك الخضرى منذ أسابيع ، ويرجّح أن يترك المعاصرون هذه الطريقة المنكرة ، بعد تلك الحملة الصادقة ، التى أصماهم بها صاحب حديث الأربعاء

تهذيب زهر الاداب

ولقد رأيت أن أترك تلك الطريقة فى تهذيب زهر الآداب لأن المؤلف لم يرد أن يكون كتابه ذا فصول وأبواب ، وانما أراد أن يتصرف القارئ فيه من الشعر إلى النثر ، ومن الجد إلى الهزل إلى آخر ما قال

وقد ظلّ بين يدىّ نحو تسعة أشهر وأنا معتقل فى سنة ١٩٢٠ ، فقرأته ، ثم قرأته ، وعنيت بضبطه ، وتصحيح ماوقع فيه من الأغلاط ، ثم رأيت أن أفصّله ، والتفصيل فيما أريد هو أن أضع عنواناً لكل موضوع ، وما أكثر ما فى الكتاب من الموضوعات ، لأن المؤلف وضع قليلا من العناوين ، ثم أخذ يستطرد من معنى إلى معنى ، ومن فكاهة إلى فكرة ، من غير أن يهتم بالترتيب والتبويب

وأرجو أن لا يجد أستاذى الدكتور طه فى هذا الصُّنع تشويهاً لعمل المؤلف ، فقد أبقيت الكتاب كما هو ، وأبقيت على عناوينه وأبوابه وفِقَرِه وفصوله ، ووضعت ما أبدعت من العناوين فى بُنْط خاص ، فاذا

شاء القارئ أن يعرف كيف وضع الكتابَ مُؤلفُه فليرفع فقط ماجدّ من العناوين

أهمية هذا التفصيل

على أنى مطمئن إلى ماصنعت ، فقد كان الكتاب متقاذف الأرجاء ، بسبب ما كثر فيه من الاستطراد ، فأصبح بفضل هذا التفصيل ، محدود الموضوعات ، بحيث يجد فيه القارئ نحو ألف مسألة أدبية ، من غير أن يكلف نفسه عناء البحث والتنقيب .

ولم أحجم عن تكرار العنوان الواحد حين يقتضى المقام ذلك ، وربما أضفت كلمة يتميز بها العنوان الجديد

الضبط والشرح

كان زهر الآداب مطبوعا على هامش العقد الفريد ، من غير ضبط ولا شرح ، وكان يكفى أن يُطبع الكتاب طبعة أزهرية ليصبح مثالا فى المسخ والتشويه ، ولتقذى في قراءته العيون ، وتضل فى فهمه العقول ، فأنفقت من جُهْدى ومن وقتى ، فى تحقيق ماجناه مَرُّ السنين وعَبَثُ الجاهلين ، مالا أمُنُّ به على القارئ إلاّ وأنا آسفٌ محزون ، لأنى مدينٌ لمن طبعوه أولَ مرة على أىّ حال ، أحسن الله جزاءهم ، وتجاوز عمّا رماهم به الزمن من ألوان الضعف والقصُور

فى الطبعة القديمة كثير من الأغلاط ، ولا غرابة فى ذلك ، فقد كان الأدب يوم ظهرت قليل الأنصار ، وقد اعتمدت فى ضبط هذه

الطبعة على مراجعة الأصول التى أخِذ منها زهر الآداب ، وعلى ما أثق به من مختلف المعاجم والقواميس ، فان استطاع القارئ أن يلفتنى إلى خطأٍ فاتنى إصلاحه ، فانى بشكره خليق

أما الشرح فقد اجتهدت فى أن يكون غاية فى الايجاز ، لأن الإطناب فى شرح الكتب الأدبية من جملة العيوب ، وقد يمر الصفحة بلا شرح ، حين تستغنى عن ذلك ، لأني أمقت التكلُّف ، وأبغِض المتكلِّفين

وقد قسمت الكتاب إلى أربعة أجزاء ، وكان المؤلف قسّمه إلى ثلاثة ، وهى مسألة اعتبارية ، لأن الكتاب فى الأصل مبنى على التنقّل والاستطراد

قيمة زهر الاداب

كان المتقدمون يُعنَون بدراسة الكامل للمبرد ، والبيان والتبيين للجاحظ ، وأدب الكاتب لابن قتيبة ، والنوادر لأبى على القالى ، وكانت هذه الكتب أصول الأدب عندهم كما ذكر ابن خلدون ، وعندى أن زهر الآداب أغزر مادةً وأكبر قيمةً من جميع تلك المصنّفات ، لأن ذوق الحُصْرى ذوقٌ أدبىٌّ صِرْف ، أما أولئك فقد كانت أهواؤهم مُوزعةً بين اللغة ، والرواية ، والنحو ، والتصريف

إن زهر الآداب دائرة معارف أدبية ، شاء الله أن تسلم من جناية الليالى ، والحمد لله على أن كنت المُوَفَّق إلى إحياء هذا الأثر النفيس

محمد زكى عبد السلام مبارك

مقدمة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى اختص الانسان بفضيلة البيان ، وصلى الله على محمد خاتم النبيين ، المرسل بالنور المبين ، والكتاب المستبين ، الذى تحدّى الخلق أن يأتوا بمثله ، فعجزوا عنه ، وأقروا بفضله ، وعلى آله وسلم تسليما كثيراً (وبعد فهذا كتاب) اخترت فيه قطعة كافية من البلاغات : فى الشعر ، والخبر ، والفصول ، والفِقر [1] مما حسُن لفظه ومعناه ، واستُدِل بفحواه على مغزاه [2] ولم يكن شارداً حوشياً ، ولا ساقطا سوقياً [3] بل كان جميع ما فيه ، من ألفاظه ومعانيه ، كما قال البحترى

فى نظام من البلاغة ما شكَّ * امرؤٌ أنه نظامُ فريدِ [4]

حَزْنَ مستعمل الكلام اختياراً * وتجنبن ظُلْمة التعقيدِ

وركبن اللفظ القريب فادركْـ * ـن به غاية المراد البعيدِ

ولم أذهب فى هذا الاختيار ، الى مطوّلات الأخبار ، كأحاديث صعصعة بن صوحان ، وخالد بن صفوان ، ونظائرهما ، إذ كانت هذه أجمل لفظا ، وأسهل حفظا . وهو كتاب يتصرّف الناظر فيه من نثره ، إلى شعره ، ومطبوعه ، إلى مصنوعه ، ومحاورته ، إلى مفاخرته ، ومناقلتـه [5] إلى مساجلته [6] ، وخطابه

(١) الفقر : جمع فقرة بكسر الفاء ، وهى فصل أو بيت شعر ، وتقول : ما أحسن فقر كلامه ، أى نـكته ، وهى فى الأصل حلى تصاغ على شكل فقر الظهر

(٢) مغزى الكلام : هو المراد منه ، وفحواه هو مايفهم منه ذلك المراد

(٣) الحوشى : الوحشى ، وقد وصف زهير بأنه كان لايتتبع حوشى الكلام ـ والسوقى : نسبة الى السوقة ، وهم عامة الناس (٤) الفريد : هو الدر الذى يفصل بين الذهب فى القلادة المفصلة ، فالدر فيها فريد ، والذهب مفرد ، بتشديد الراء

(٥) ناقل الشاعر الشاعر : ناقضه ، ورجل نقل وذو نقل اذا كان جليلا مناقلا

(٦) المساجلة : المفاخرة

المبهت [١] الى جوابه المسكت ، وتشبيهاته المصيبة ، الى اختراعاته الغريبة ، وأوصافه الباهرة ، إلى أمثاله السائرة ، وجِدّه المعجب [٢] إلى هزله المطرب ، وجزله الرائع ، إلى رقيقه البارع (وقد نزعت) فيما جمعت عن ترتيب البيوت [٣] وعن إبعاد الشكل عن شكله ، وإفراد الشيء من مثله ، فجعلت بعضه مسلسلا [٤] وتركت بعضه مرسلا [٥] ليحصل محرَّر النقْد ، مقدَّر السَّرد [٦] قد أخذ بطرفى التأليف ، واشتمل على حاشِيَتَىْ التصنيف ، وقد يعزّ المعنى فألحق الشكل بنظائره ، وأعلق الأول بآخره ، وتبقى منه بقية أصرفها فى سائره [٧] ليسلم من التطويل الممل ، والتقصير المخل ، وتظهر فى التجميع إفادة الاجتماع ، وفى التفريق لذاذة الإمتاع ، فيكمل منه مايونق القلوب والأسماع [٨] إذ كان الخروج من جد إلى هزل ، ومن حزن الى سهل [٩] أنفى للكلل [١٠] وأبعد من الملل ، وقد قال اسماعيل ابن القاسم

لايصلح النفس اذ كانت مدابرةً * الا التنقل من حالٍ الى حال [١١]

وكان السبب الذى دعانى الى تأليفه ، وندبنى إلى تصنيفه ، ما رأيته من رغبة أبى الفضل العباس بن سليمان ، أطال الله مُدّته ، وأدام نعمته ، فى الأدب [١٢] وإنفاق عمره فى الطلب ، وماله فى الكتب ، وان اجتهاده فى ذلك حمله على أن ارتحل إلى المشرق بسببها ، وأغمَض فى طلبها [١٣] باذلا فى ذلك ماله ، مستعذبا فيه تعبه ، إلى أن أورد من كلام بلغاء عصره ، وفصحاء دهره ، طرائف طريفة ،

(١) المبهت : المحير (٢) المعجب : الذى يعجبك جماله (٣) البيوت كالأبيات : جمع بيت (٤) مسلسل : من السلسلة بفتح السين وهى اتصال الشيء بالشيء (٥) مرسل : غير مسلسل (٦) النقد : الوزن ، والسرد : النسج ، والتحرير والتقدير : الضبط (٧) سائره : باقيه (٨) يونق : يعجب (٩) الحزن ماغلظ من الأرض ويقابله السهل (١٠) الكلل : الاعياء ، ومثله الكلال (١١) مدابرة : ذات سأم وملال ، والمدابرة فى الأصل : الهزيمة (١٢) فى الأدب : متعلق بكلمة رغبة

(١٣) أغمض وغمض ذهب ، وغمض السيف فى اللحم غاب

وغرائب غريبة ، وسألنى أن أجمع له من مختارها كتابا يكتفى به عن جملتها ، وأضيف الى ذلك من كلام المتقدّمين : ما قاربه ، وقارنه ، وشابهه ، وماثله ، فسارعت الى مراده ، وأعنته على اجتهاده ، وألفت له هذا الكتاب ، ليستغنى به عن جميع كتب الآداب ، إذ كان موشحا من بدائع البديع[1] ، ولآلىء الميكالى ، وشهىّ الخوارزمى ، وغرائب الصاحب ، ونفيس قابوس ، وشذور أبى منصور[2] بكلام يمتزج بأجزاء النفس لطافة ، وبالهواء رقة ، وبالماء عذوبة . وليس لى فى تأليفه من الافتخار ، أكثر من حسن الاختيار ، واختيار المرء قطعة من عقله ، تدل على تخلّفه أو فضله ، ولاشك ان شاء الله فى استجادة ما استجدت ، واستحسان ما اوردت ، إذ كان معلوما أنه ما انجذبت نفس ، ولا اجتمع حس ، ولا مال سِر ، ولا جال فِكر ، فى أفضل من معنى لطيف ، ظهر فى لفظ شريف ، فكساه من حسن الموقع قبولا لا يُدفع ، وأبرزه يختال من صفاء السبك ، وصحة الديباجة ، وكثرة المائية ، فى أجمل حلة ، وأجل حلية

يستنبط الروح اللطيف نسيمهُ * أرجا ويؤكل بالضمير ويُشربُ[3]

وقد رغبت فى التجافى عن المشهور ، فى جميع المذكور ، من الاسلوب الذى ذهبت اليه ، والنحو الذى عوّلت عليه ، لأن أوّل ما يقرع الآذان ، أدعى إلى الاستحسان ، مما مجته النفوس لطول تكراره[4] ، ولفظته العقول لكثرة استمراره ، فوجدت ذلك يتعذر ، ولا يتيسر ، ويمتنع ، ولا يتسع[5] ويوجب ترك ماندر ، اذا اشتهر ؛ وهذا يوجب فى التصنيف دَخَلا[6] ، ويكسب التأليف خللا ، فلم أعرض إلا عما أهانه الاستعمال ، وأذاله الابتذال[7] ، والمعنى اذا استدعى القلوب الى

(١) موشح : مرصع (٢) البديع والميكالى والخوارزمى والصاحب وقابوس وأبو منصور : كل هؤلاء أعلام سيورد المؤلف طرفا من منظومهم ومنثورهم

(٣) يستنبط : يستخرج (٤) مجته : مقتته (٥) يتسع : يسهل

(٦) الدخل والدخل : العيب ، ونخلة مدخولة : عفنة الجوف (٧) أذاله : أهانه

حفظه ، ماظهر من مُستحسَن لفظه : من بارع عبارة[١] ، وناصع استعارة ، وعذوبة مورد ، وسهولة مقصِد ، وحسن تفصيل ، وإصابة تمثيل ؛ وتطابق أنحاء ، وتجانس أجزاء ، وتمكُّن ترتيب ، ولطافة تهذيب ، مع صحة طبع ، وجودة إيضاح يثقفه تثقيف القِداح ، ويصوره أفضل تصوير ، ويقدّره أكمل تقدير ، فهو مشرق فى جوانب السمع ، لايُخلقه عوده على المستعيد [٢]

وهو المشيَّع بالمسامع إن مضى * وهو المضاعف حُسْنُه ان كُرِّرا

وان كنت قد استدركت على كثير ممن سبقنى الى مثل ماجريت اليه ، واقتصرت فى هذا الكتاب عليه ، لِمُلَح أوردتها كنوافث السحر ، [٣] وفِقَر نظمتها كالغِنَى بعد الفقر ، من ألفاظ أهل العصر ، فى محلول النثر ، ومعقود الشعر ، وفيهم من أدركته بعمرى ، أو لحقه أهل دهرى ، ولهم من لطائف الابتداع وتوليدات الاختراع ، أبكار لم تقترعها الاسماع [٤] ، يصبو إليها القلب والطرف ، ويقطر منها ماء الملاحة والظَّرف ، وتمتزج بأجزاء النفس ، وتسترجع نافر الأنس تخللت تضاعيفه ؛ ووشحت تأليفه ؛ وطرزت ديباجه ، ورصّعت تاجه ، ونظمت عقوده ، ورقمت برُوده ، فَنورها يرف ، ونورها يشِف ، فى روض من الكلم مونِق ورونق من الحكم مشرِق

صفا ونفى عنه القذى فكأنهُ * إذا ما استشفته العيون تصعَّدا [٥]

فهو كما قلت.

بديعُ نثرٍ رقَّ حتى غدا * يجرى مع الروح كما تجرى
من مُذهب الوشْى على وجههِ * ديباجة ليست من الشعر [٦]

---

(١) من إضافة الصفه للموصوف ، أى عبارة بارعة ، وكذلك مابعده
(٢) لايخلقه : لايذهب بجدته ورونقه (٣) الملح : جمع ملحة ، وهى الكلمة المستملحة المستعذبة ، والنوافث : جمع نافثه ، وهى الساحرة (٤) افترع البكر فض بكارتها (٥) تصعد : ارتفع (٦) وشىء مذهب : مطرز بالذهب

كزهرة الدنيا وقد أقبلت * ترود فى رونقها النضر[١]

أو كالنسيم الغض غِبَّ الحيا * يختال فى أردية الفجر[٢]

ولعل فى كثير مما تركت ، ماهو أجود من قليل مما أدركت ، إذ كان اقتصاراً من كلٍّ على بعض ، ومن فيض على بَرْض[٣] ، ولكنى اجتهدت ، فى اختيار ما وجدت ، وقد تدخل اللفظة فى شفاعة اللفظات ، ويمر البيت فى خلال الأبيات وتعرض الحكاية فى عرض الحكايات ، يتم بها المعنى المراد ، وليست مما يستجاد ويبعث عليها فرط الضرورة اليها فى اصلاح خلل ، فمهما تره من ذلك فى هذا الاختيار ، فلا تعرض عنه بطرف الإنكار ، وما أقل ذلك فى جميع المسالك الجارية فى هذا الكتاب ، الموسوم بزهر الآداب وثمر الألباب ، لكنى أردت أن أشارك من يخرج من ضيق الاغترار ، الى فسحة الاعتذار

ويسىء بالاحسان ظناً لا كمن * يأتيك وهو بشره مفتون

والله المؤيد والمسدّد ، وهو حسبنا ونعم الوكيل

الزبرقان بن بدر وعمرو بن الاهتم

(روى) عن عبد الله بن عباس رضوان الله عليهما قال : وفد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الزبرقان بن بدر وعمرو بن الاهتم ، فقال الزبرقان : يارسول الله! أنا سيد تميم ، والمطاع فيهم ، والمجاب منهم ، آخذ لهم بحقهم ، وأمنعهم من الظلم ، وهذا يعلم ذلك ، يعنى عمرا ، فقال عمرو : أجل يارسول الله ، إنه مانع لحوزته ،[٤] ، مطاع فى عشيرته ، شديد العارضة فيهم[٥] ، فقال الزبرقان : أما إنه والله قد علم أكثر مما قال ، ولكنه حسدنى شرفى ! فقال عمرو ، أما أن

(١) ترود : تختال (٢) غب الحيا : عقب المطر (٣) فيض : كثير ، وبرض : قليل (٤) حوزة الرجل : مايحوزه ويملكه (٥) العارضه : البديهة وقوة الكلام

قال ما قال ، فوالله ما علمته إلا ضَيِّق العَطَن[1] ، زَمِن المروءة[2] ، أحمق الأب لئيم الخال . حديث الغنى ؛ فرأى الكراهة فى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم لمّا اختلف قوله ، فقال يارسول الله : رضيت فقلت أحسن ما علمت ، وغضبت : فقلت أقبح ما علمت ، وما كذبت فى الأولى ، ولقد صدقت فى الثانية ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن من البيان لسحراً ، وان من الشعر لحكمة ، ويروى لحكما ، والأول أصح ، والذى روى أهل الثبت[3]، من هذا الحديث أنه قدم رجلان من أهل المشرق فخطبا فعجب الناس لبيانهما ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن من البيان لسحرا ، أو من بعض البيان لسحرا ؛ وعمرو بن الاهتم هو عمرو بن سنان بن سمى بن سنان بن خالد بن منقر بن عبيد بن الحارث والحارث هو مقاعس بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناه ابن تميم. وسمى سنان الأهتم لأن قيس بن عاصم المنقرى سيد أهل الوبر ضربه بقوسه فهتم فاه . هذا قول أبى محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة . وقال غيره بل هتم فوه يوم الكلاب الثانى ، وهو يوم كان لبنى تميم على أهل اليمن ، وكان عمرو يلقب المكحل لجماله ، وبنو الاهتم أهل بيت بلاغة فى الجاهلية والاسلام ، وعبد الله بن عمرو بن الاهتم هو جدّ خالد بن صفوان وشبيب بن شيبة وكان يقال : الخطابة فى آل عمرو ، وكان شعره حُلَلاً منشّرَة عند الملوك تأخذ منه ماشاءت . وهو القائل

ذرينى فان البخل يا أم مالكٍ * لصالح أخلاق الرجال سَرُوقُ
لعمرك ما ضاقت بلادٌ بأهلها * ولكنّ أخلاق الرجال تضيقُ

(والزبرقان) اسمه حصن بن بدر بن امرئ القيس بن الحارث بن بهدلة

(١) العطن : المناخ حول الورد ، وضيق العطن كناية عن البخل
(٢) زمن : بالى

ابن عوف بن كعب بن سعيد . وسمى الزبرقان لجماله ، والزبرقان القمر ، وقيل لأنه كان يزبرق عمامته ، أى يصفرها فى الحرب ؛ وكانوا يسمون الكلام الغريب السحر الحلال ويقولون ، اللفظ الجميل من احدى النفثات فى العقد

غلام يتكلم فى حضرة عمر بن عبد العزيز

(وذكر) بعض الرواة أنه لما استُخلِفَ عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه قدِم عليه وفود أهل كل بلد ، فتقدم اليه وفد أهل الحجاز ، فاشرأب منهم غلام للكلام[1] فقال عمر : ياغلام ! ليتكلمْ من هو أسنّ منك ! فقال الغلام : يا أمير المؤمنين ! انما المرء بأصغريه قلبه ولسانه ، فاذا منح الله عبدَه لساناً لافظاً ، وقلباً حافظاً ، فقد أجاد له الاختيارَ ؛ ولو أن الأمور بالسن لكان هاهنا من هو أحقّ بمجلسك منك ! فقال عمر : صدقت ، تكلم فهذا السحر الحلال ! فقال يا أمير المؤمنين نحنُ وفدُ التهنئة ، لا وفد المرزئة ،[2] ولم تقدِمْنا اليك رغبةٌ ولا رهبة ، لانا قد أمنا فى أيامك ماخِفنا ، وأدركنا ماطلبنا ! فسأل عمر عن سن الغلام فقيل عشرُ سنين ، (وقد روى) أن محمد بن كعب القرظى كان حاضراً ، فنظر إلى وجه عمر قد تهلّل عند ثناء الغلام عليه ، فقال : يا أمير المؤمنين ، لا يغلبنّ جهلُ القوم يك ، معرفتك بنفسك ، فان قوماً خدعهم الثناءُ ، وغرهم الشكرُ ، فزلت أقدامهم ، فهووا فى النار[3] أعاذك الله أن تكون منهم ، وألحقك بسالف هذه الأمة ؛ فبكى عمر حتى خِيفَ عليه ، وقال : اللهم لاتخلِنا من واعظ !

(١) اشرأب : تطلع (٢) المرزئة : الاستجداء وطلب النوال (٣) هووا : سقطوا ، من هوى يهوِى على وزن ضرب يضرب ، بخلاف هوى يهوى على وزن علم يعلم فانه بمعنى أحب

السحر الحلال

(وقد روى) أن عمر قال للغلام: عظنى. فقال هذا الكلام. وفيه زيادة يسيرة ونقص * أخذ قول عمر (هذا السحر الحلال) أبو تمام فقال يعاتب أبا سعيد محمد بن يوسف الطائى

إذا ما الحاجة انبعثت يداها * جعلت المنع منك لها عقالا
فأين قصائد لى فيك تأبى * وتأنف أن أهان وأن أذالا
هى السحر الحلال لمجتليه * ولم أر قبلها سحراً حلالا

(وكتب) أبو الفضل بن العميد إلى بعض إخوانه جواباً عن كتاب ورد إليه «وصل ما وصلتنى به، جعلنى الله فداك، من كتابك، بل نعمتك التامة، ومنتك العامة، فقرت عينى بوروده، وشفيت نفسى بوفوده، ونشرته فحكى نسيم الرياض غب المطر، وتنفس الأنوار فى السحر (١)، وتأملت مفتتحه، وما اشتمل عليه من لطائف كلمك، وبدائع حكمك، فوجدته قد تحمل من فنون البر عنك، وضروب الفضل منك، جداً وهزلا، ملأ عينى، وغمر قلبى، وغلب فكرى، وبهر لبى، فبقيت لا أدرى: أسقوط در خصصتنى بها، أم عقود جوهر منحتنيها؟ كما لا أدرى أبكراً زففتها فيه، أم روضة جهزتها منه، ولا أدرى أخدوداً ضرجت حياء ضمنته؛ أم نجوماً طلعت عشاء أودعته، ولا أدرى أجدك أبلغ وألطف، أم هزلك أرفع وأظرف. وأنا أوكل بتتبع ما انطوى عليه نفسا لا ترى الحظ الا ما اقتنته منه، ولا تعد الفضل الا فيما أخذته عنه، وأمتع بتأمله عينا لا تقر الا بمثله، مما يصدر عن يدك، ويرد من عندك، وأعطيه نظراً لا يمله، وطرفا لا يطرف دونه، وأجعله مثالا أرتسمه وأحتذيه، وأمتع خلق برونقه، وأغذى نفسى ببهجته، وأمزج قريحتى برقته، وأشرح صدرى بقراءته،

(١) الأنوار: جمع نور بفتح النون وهو نوار الزهر

وإن كنتُ عن تحصيل ماقلتَه عاجزا ، وفى تعديد ما ذكرتَه متخلفا ، لقد عرفت أنه ما سمعتُ به من السحرِ الحلالُ » وقال بعض المحدثين يمدح كاتباً

واذا جرى قلمٌ له فى مُهْرَقٍ * عَجَلانَ فى رَفَلانِه ووجيفهِ (١)
نظمت مراشِفه قلائدَ نُظِّمَت * بنفيس جوهر لفظه وشريفهِ
بِدْعاً من السحر الحلال تولدتْ * عن ذِهنِ مصقول الذكاء مَشُوفهِ (٢)
مَثَلاً لضاربهِ وزادَ مسافرٍ * جُعِلت وتحفةَ قادمٍ لأليفهِ

وعلى ذكر قوله وتحفة قادم (قال اسحاق بن ابراهيم الموصلى) وصف رجل رجلا فقال (كان واللهِ سمحاً سهلا ، كأنما بينه وبين القلوب نسب ، أو بينه وبين الحياةِ سببٌ ، انما هو عيادةُ مريض ، وتحفةُ قادم ، وواسطة عِقد) وأخذ بعض بنى العباس رجلاً طالبياً فهمَّ بعقوبته ، فقال الطالبى : واللهِ لولا أن أفسد دينى بفساد دنياك لملكت من لسانى أكثرَ مما ملكت من سَوْطك ، واللهِ ان كلامى لفوقَ الشعر ، ودونَ السِّحر ، وان أيسرَه ليثقبُ الخردلَ ، ويحط الجندل (وقال) على بنُ العباس يصف حديث امرأة

وحديثُها السحرُ الحلالُ لو أنهُ * لم يجنِ قتلَ المسلم المتحرِّز (٣)
إن طال لم يُمْلَلْ وان هى أوجزَتْ * ودَّ المحدَّث أنها لم توجز
تشرَكُ العقول ونزهةٌ ما مثلها * للمطمئنّ وعقلةُ المستوفز (٤)

ألمَّ فى بيته الآخر بقول الطائى

(١) المهرق بفتح الراء الصحيفة والجمع مهارق — عجلان : مسرع — والرفلان : السير فى تبختر — والوجيف : السير السريع (٢) المشوف : المجلو (٣) المتحرز : المتحفظ (٤) الشرك : الفخ — العقلة : العقال — المستوفز : المستعجل — والشاعر يذكر أن حديث هذه المرأة نزهة المطمئن وعقال لمن يهم بالانصراف — وفى كتاب « أفنان الجمال » روائع من الشعر فى حلاوة الحديث

كَواعِبُ أترابٌ لغيداءَ أصبحتْ * وليس لها فى الحسن شَكْلٌ ولا تِرْبُ (١)
لها منظرٌ قَيْدُ النواظِرِ لم يَزَلْ * يروحُ ويغدو فى خَفَارَتِهِ الحُبُّ (٢)

وأول من استعار هذا المعنى امرؤ القيس بن حُجْرٍ الكِنْدى فى قوله

وقد أغتدى والطير فى وُكُناتِها * بمنجردٍ قَيْدِ الأوابدِ هَيْكَلِ (٣)

وقالت عُلَيَّة بنت المهدى

اشرب على ذكرِ الغزال * الأغيد الحلو الدَّلالْ
اشرب عليه وقل لهُ * ياغُلَّ ألباب الرجال (٤)

عليه بنت المهدى

وكانت علية لطيفة المعنى ، رقيقة الشعر ، حسنة مجارى الكلام ، ولها ألحان حسان ، وعَلِقت بغلام اسمه رشا ، وفيه تقول

أضحى الفؤاد بزينبا * صباً كئيباً مُتْعَبا
فجعلت زينب سترةً * وكتمت أمراً معجبا

فنُمِى الأمر إلى أخيها الرشيد فأبعده ، وقيل قتله ، وعلقت بعده بغلام اسمه طل ، فقال لها الرشيد : والله لئن ذكرته لأقتلنك ! فدخل عليها يوما على حين غفلة وهى تقرأ : فان لم يصبها وابل فطل فنهى عنه أمير المؤمنين ، فضحك وقال : ولا كل هذا (٥) وهى القائلة

(١) الكواعب : جمع كاعب وهى الفتاة تكعب ثديها ، أى نتأ كالكعب — أتراب : خدينات ، وتاربت الفتاة الفتاة : خادنتها ، قال كثير :

تتارب بيضا إذا استلعبت * كأم الظباء ترف الكباثا

وقد يراد بالأتراب الشبيهات فى السن والحسن — والغيداء : الناعمة
(٢) قيد النواظر : هو للنواظر كالقيد — الخفارة : الحماية (٣) الوكنات جمع وكنة وهى العش ، والمنجرد الفرس سقط شعره من الضمور ، والأوابد الوحوش النافرة ، والهيكل الضخم — ويحسن رجوع القارئ الى شرح جمهرة أشعار العرب الذى وضعه صاحب البدائع ليقف على كنه معلقه امرئ القيس (٤) الغل : هو الطوق يوضع فى عنق الأسير (٥) انظر غرام النساء بالنساء فى كتاب «مدامع العشاق»

ياعاذلى قد كنتُ قبلك عاذلاً * حتى ابتُليتُ فصرت صباً ذاهلا
الحب أول ما يكون مَجَانةً * فاذا تحكَّم صار شُغْلا شاغِلا(١)
أرضى فيغضب قاتلى فتعجبوا * يَرْضى القتيل ولا يُرضِّى القاتلا

والقائلة

وُضع الحب على الجوْر فلو * أنصف المعشوق فيه لسَمُجْ(٢)
ليس يُستَحْسَنُ فى نَعْتِ الهوى * عاشق يُحْسِنُ تأليف الحجج

وكأنها ذهبت فى الأول إلى قول العباس بن الأحنف

وأحسن أيام الهوى يومك الذى * تُروِّع بالهجران فيه وبالعَتْبِ
إذا لم يكن فى الحب سُخْطٌ ولا رِضَى * فأين حلاوات الرسائل والكُتْب

وقد زاد النميرى فى هذا فقال

راحتى فى مقالة العُذَّال * وشِفائى فى قِيلهم بعد قالِ
لايَطيب الهوى ولايَحسُنُ الحبُّ * لصبٍّ الا بخمس خِصال
بسماع الأذَى وعذل نصيحٍ * وعِتابٍ وهِجْرةٍ وتَقالِ(٣)

وقال بعض المحدثين

لولا اطِّراد الصيد لم تك لذةٌ * فتطارُدِى لى فى الوصال قليلا(٤)
هذا الشراب أخُو الحياة ومالهُ * من لذة حتى يصيب غليلا(٥)

(وقال آخر)

دع الصبّ يَصْلَى بالأذى من حبيبهِ * فان الأذى ممن تُحِبُّ سُرورُ(٦)
غُبارُ قَطِيعِ الشاء فى عينِ ذئبها * اذا ما تلا آثارهنّ ذَرُورُ(٧)

(وأنشد الأصمعى)

(١) المجانة : العبث (٢) سمج : قبح (٣) التقالى : التباغض
(٤) اطراد الصيد : جريه (٥) الغليل : الظمأ الشديد (٦) يصلى : يحترق
(٧) الذرور هو الملح يذر على اللحم ، والفلفل يوضع على الثريد ، وهو كذلك الدواء فى العين ، والمراد أن غبار الشاء فى عين الذئب هو كالتوابل توضع على الطعام

لاخَيْرَ فى الحبِّ وقْفاً لاتحركهُ * عوارض اليأس أو يرتاحه الطمعُ
لو كان لى صبرها أو عندها جزعى * لكنت أملك ما آتى وما أدَعُ
اذا دعا باسمها داعٍ ليُحزننى * كادت له شُعْبَة من مهجتى تقعُ(١)
لا أحمل اللومَ فيها والغرامَ بها * لاحمَّل الله نفساً فوق ماتسعُ

وهذا البيت كقول على بن العباس الرومى

لاتكثرنَّ ملامة العشاق * فكفاهمُ بلوجد والأشواقِ
إن البلاءَ يطاقُ غير مضاعفٍ * فاذا تضاعفَ كان غير مُطَاقِ
لاتطفئنَّ جوًى بلوم إنهُ * كالريح تُغْرى النار بالإحراق

ويشبه بيت عُلية الآخر بيت أنشد فى هذا بشعر رُوِى لأبى نواس ورواه قوم لعنان جارية الناطفى وهو

حُلو العتاب يَهيجهُ الإدلالُ * لم يَحْلُ إلا بالعتاب وصالُ
لم يَهْوَ قطُّ ولم يُسَمَّ بعاشقٍ * من كان يصرف وجهه التَّعْذَالُ(٢)
وجميع أسباب الغرام يسيرة * مالم يكن غدرٌ ولا استبدالُ
تصف القضيب على الكثيب قناتها * ولها من البدر المنير مثالُ
ولربَّ لابسةٍ قِناع ملاحةٍ * حسناءَ سار بحسنها الأمثالُ
كَسَتِ الحَدَاثةُ ظَرْفَها وجمالها * نُوراً فمالَه شبابها يختالُ(٣)
وكأنها والكأسُ فوق بنانها * شمسٌ يمُدُّ بها اليك هلالُ
حتى إذا ما استأنست بحديثها * وتكلمت بلسانها الجِرْيالُ(٤)
قلنا لها إن صدَّقت أقوالها * أفعالها وجرى بهنَّ الفالُ
قولى فليس تراك عينُ نميمةٍ * حضر النصيح وغابت العذّالُ
وضميرُ ما اشتملت عليه ضلوعنا * سِرٌّ لدى أبوابه أقفالُ

(١) شعبة : قطعة (٢) التعذال : اللوم ومثله العذل (٣) يختال : يترقرق
(٤) الجريال : الخمر ، يريد الشاعر أن يصف تلك الحسناء بعدم التحرز فى الحديث وقد لعبت برأسها الصهباء

وقد أخذ أبو الطيب المتنبى معنى قيد الأوابد فقال يصف كلباً

نَيْلَ المُنى وحكم نفس المُرْسِلِ * وعُقْلة الظَّبى وحتف المثقل (١)

كأنه من علمه بالمَقْتَلِ * علّم بقرْاط فصادَ الأكحلِ (٢)

(وقال فى بنى حمدان)

مُتَصَعْلِكين على كَثافةِ مُلكهمْ * متواضعين على عظيم الشانِ (٣)

يتقيّلون ظِلال كل مُطَهَّمٍ * أجَلَ الظليم وربقة السِّرحان (٤)

وقال أعرابى يصف فرساً : انه لدَرَك الطالب ، ومَنجى الهارب ، وقيد الرهان وزين الفِناء (وقال) بعض أهل العصر فى وصف غلام (وجهه قيد الابصار ، وأمد الأفكار ، ونهاية الاعتبار) وقال أبو القاسم اسماعيل بن عباد

وقد أغتدى للصّيد غُدوةَ أصْيَدٍ * أعاجِلُ فيها الوحشَ والوحشُ هُجَّدُ (٥)

فعنّتْ ظِباءٌ خِفن تحتِىَ مطلق اليدين به أيدى الوحُوش تُقَيَّدُ (٦)

فأدركتها والسيف لمعة بارقٍ * ولم يُغْنها إحضارها حين تجهَدُ (٧)

وقد رُعتها اذ كان شعرىَ رائعاً * وطَرْف مشيبى عن عذارىَ أرمَدُ (٨)

وما بلغت حد الثلاثين مدّتى * وهذا طِراز الشيب فيه يُمَدّد (٩)

(١) المثقل : هى الظبية استبان حملها (٢) بقراط : من كبار الأطباء القدماء ، والأكحل عرق فى اليد (٣) متصعلك : متظاهر بالفقر : والكثافة : والضخامة

(٤) مطهم : مضمر دقيق الجسم — الظليم : ذكر النعام ، والربقة : الرباط ، والسرحان الذئب — والمعنى أنهم يتقيلون ظلال كل جواد فى عدوه أجل الظليم وقيد الذئب (٥) الأصيد : من يرفع رأسه كبرا (٦) عنت : عرضت ، ومطلق اليدين وصف للفرس بالسرعة (٧) الاحضار : نوع من السير ، وتجهد : تتعب

(٨) أرمد : كليل البصر ، يريد أن الشيب لم يسم ببصره الى عذاره

(٩) الطراز : الموضع الذى تنسج فيه الثياب الجياد

حسن الحديث

وأبيات ابن الرومى من أجود ماقيل فى حسن الحديث ، وقد توسع الشعراء فى هذا الباب وكثر إحسانهم ، كما كثر افتنانهم ؛ وسأجرى شأوا فى مختار ماقيل فى ذلك وأعود إلى ما بدأت به . قال القُطامى واسمه عُمَيْر بن شبيم الثعلبى وسمى القطامى لقوله

يَحُطهنّ جانباً فجانبا * حطّ القُطامى القطا القوارِبا

وقال أبو عبيدة ويقال للصقر قطامى وقطانى

وفى الخُدُور غمامات بَرَقْنَ لنا * حتى تصيّدْننا من كل مُصْطادِ
يقتلننا بحديث ليس يعلمهُ * من يتّقينَ ولامكنونه بادِ (١)
فهنّ ينبذْن من قول يُصِبْنَ بهِ * مواقع الماء من ذى الغُلّة الصّادى (٢)

وقال أبو حية النميرى واسمه الهيثم بن الربيع

وخبّرك الواشون أنّ لن أحبكمْ * بلى وستُور الله ذات المحارمِ
وإن دماً لو تعلمين جنيتهِ * على الحىّ جانى مثلهِ غيرُ سالمِ
أصدُّ وما الصدُّ الذى تعلمينهُ * عزاءً بنا الا ابتلاع العلاقمِ (٣)
حياءً وتقْيا أن تشيعَ نميمةٌ * بنا وبكم أفٌّ لأهل النمائم (٤)
أما إنه لو كان غيرك أرقلَتْ * إليه القنا بالراعِفات اللهاذمِ (٥)
ولكنه والله ما ظل مُسْلَماً * لغُرّ الثنايا واضحات الملاغمِ (٦)

---

(١) يتقين : يخفن — باد : ظاهر (٢) مواقع الماء من الظمآن كناية عن الأحشاء ، والمراد أن حديثهن يشفى الصب المغرم كما يطفئ الماء لوعة الغليل !
(٣) العلاقم : جمع علقم ، وهو الحنظل وكل شئ مر (٤) تقيا : خوف — أف لأهل النمائل : تبا لهم ! (٥) أرقلت : أسرعت — الراعفات والرواعف : الرماح تسيل الرعاف بضم الراء وهو الدم — اللهاذم : القواطع (٦) الغر : البيض — الملاغم : هى طرف الأنف وماحوله الى الشفتين ، والوضوح : البياض والاشراق

إذا هنَّ ساقَطْنَ الأحاديث للفتى * سقُوط حَصَى المَرْجان من كف ناظمِ
رَمَيْن فأنفذْنَ القلوب ولا ترى * دماً مائراً إلا جرى فى الحيازمِ[1]

(وقال أيضاً)

حديثٌ إذا لم تخش عيناً كأنهُ * إذا ساقطته الشّهد أو هو أطيبُ
لو أنك تستشفى به بعد سكْرَةٍ * من الموت كادت سكرة الموت تذهبُ

إلى هذا يتطرق قول الآخر وان لم يكن منه

أقول لأصحابى وهم يعذلونني * ودَمْعُ جُفُونى دائم العَبَرات
بذكر منىً نفسى فبلّوا إذا دنا * خروجى من الدنيا جُفُوف لهَاتى[2]

وقال سديف مولى بنى هاشم يصف نساء

وإذا نطقن تَخَالُهنَّ نواظماً * دُرًّا يُفَصِّلُ لُؤلؤاً مكنونا
واذا ابتسمن فانهن غمامةٌ * أو أقحوان الرمل بات مَعِينا[3]
وإذا طَرَفن طرفن عن حدق المها * وفضلْنَهنّ محاجراً وجفونا[4]
وكأن أجياد الظباء تمُدّها * وخُصُورهنّ لطافةً ولُدُونا[5]
وأصحّ مارأتِ العيون محاجراً * ولهنّ أمرضُ ما رأيتُ عيونا
وكأنهنَّ إذا نهضن لحاجةٍ * ينهضن بالعُقَدات من يبرينا[6]

(١) مائر : سائل — الحيازم جمع حيزوم وهو ما اكتنف الحلقوم من جانب الصدر (٢) اللهاة : اللحمة المشرفة على الحلق — وهذا البيتان من الشعر الرائع وفى معناها عقد فصل ممتع فى (مدامع العشاق) عنوانه : لوعة الشوق — فليرجع اليه القارئ إن شاء (٣) الأقحوان : زهر أبيض تشبه به الثغور الناصعة البياض — والمعين : الممطور ، والمطر يزيد الزهر نضرة (٤) طرفن : حركن عيونهن — والمها : الغزلان (٥) الأجياد : جمع جيد بكسر الجيم وهو العنق واللدون واللدانة بضم اللام : الرقة (٦) العقدات : جمع عقدة وهى السفح والكثيب ، ويبرين : اسم مكان

(وقال الطائى)

تُعطيكَ منطِقَها فتعلم أنهُ * لجنَى عذُوبَته يمرُّ بثَغْرها
وأظُنُّ حَبْل وصالها لمحبها * أوهَى وأضعفُ قوّةً من خصرها

أخذه أبو القاسم بن هانىء فقال يمدح جعفر بن على ، إلا أنه قلبه

قد طيّبَ الأفواهَ طِيبُ ثنائهِ * من أجل ذا نجد الثغورَ عذابا
وكأنما ضَرَبَ السماءَ سُرادِقاً * بالزّاب أو رفع النجومَ قِبابا (١)
أرضاً وطئت الدُّرَّ رَضْراضاً بها * والمسك تُرباً والرياض جَنابا (٢)

(وقال الطائى)

بسطت إليك بنانةً أسْرُوعا * تصف الفراقَ ومُقْلةً يَنْبُوعا (٣)
كادتْ لعِرفان النوى ألفاظُها * من رِقة الشكوى تكون دُمُوعا

(ومن جيِّد هذا المعنى وقديمه قول النابغة الذبيانى)

لو أنها عرَضتْ لأشمط راهبٍ * عبَد الاله صرورةٍ متعبِّدِ (٤)
لرنا لِبَهجتها وطيب حديثها * ولخالَهُ رُشداً وان لم يَرْشُدِ
نظرت اليك بحاجةٍ لم تقضها * نظر السقيم الى وجوه العُوَّدِ (٥)

(ومن مشهور الكلام قول الآخر)

وكنتُ إذا مازرت سُعْدَى بأرضها * أرى الأرض تُطوى لى ويدنو بعيدُها
مِنَ الخفِراتِ البيض وَدَّ جليسُها * إذا ما انقضت أحدُوثة لو تعيدُها (٦)

---

(١) الزاب : اسم موضع (٢) الرضراض والرضرض : صغار الحصى
(٣) الاسروع دود أحمر الرأس تشبه به الأنامل المخضبة (٤) الأشمط : من يخالط بياض شعره سواد — صرورة ، وصارورة ، وصرور : لم يتزوج ، للواحد والجمع
(٥) العود : جمع عائد ، والمراد أنها تنظر بتكسر وفتور كما ينظر السقيم الى وجوه العواد — انظر (سحر العيون) فى كتاب « أفنان الجمال » (٦) الخفرات : من الخفر : وهو الحياء

تَحَلَّلُ أحقادى إذا ما لقيتُها * وتُرْمَى بلاجُرْمٍ عَلَىَّ حُقُودُها (١)

(وقال بشار)

وكأنَّ رَجْعَ حديثِها * قِطَعُ الرِّياض كُسِينَ زَهْرا
حَوراء إن نظرتْ اليـ * ـكَ سقتْكَ بالعينَيْن خَمْرا (٢)
تُنسى الغوِىَّ معَادَهُ * وتكون للحكماء ذِكْرا
وكأنهـا بَرْدُ الشرا * ب صَفَاءُ وافقَ فيه قَطْرا (٣)
وكأنَّ تحت لسانِها * هَارُوتَ ينفثُ فيه سِحْرا
وتخال ما جُمِعَتْ عليـ * ـه ثيابُها ذَهَباً وعِطْرا (٤)

وسمع بشار قول كُثيِّر بن عبد الرحمن

ألا إنمـا ليلى عصا خيزُ رَانةٍ * اذا غمَزُوها بالأكُفِّ تلينُ

فقال : قاتل الله أبا صخر ! يزعم أنها عصا ويعتذر بأنها خيز رانة ، ولو قال عصا مُخ أو عصا زبد ، لكان قدهجن مع ذكر العصا ، هلاّ قال كما قلت

ودعجاء المحاجر من مَعَدٍّ * كأنَّ حديثها ثَمَرُ الجِنانِ (٥)
إذا قامت لحاجتها تثنَّت * كأن عِظامها من خيزُرَانِ

وبعد قول كثير : ألا إنما ليلى عصا خيزرانة *

تمتَّعْ بهـا ماسا عفتك ولا يكنْ * عليك شَجًى فى الصَّدْرِ حين تَبِينُ
وإنْ هى أعطتك اللِّيان فانهـا * لآخرَ من خُلاَّنِها ستلينُ
وإن حلفَتْ لا ينقض النأىُ عهدَهَا * فليس لمخضُوبِ البنانِ يمينُ

(١) تحلل : تتحلل وتذوب — والاحقاد والحقود جمع حقد ، والجرم : الذنب
(٢) حوراء : من الحور ، وهو شدة بياض العين مع شدة سواد سوادها
(٣) المراد من القطر يوم المطر ، وفيه يحلوالشراب (٤) يصف جسمها بأنه قطعه من الذهب والعطر (٥) دعجاء : حوراء

وقال البحترى

ولما التقينا واللوى موعدٌ لنا * تعجَّب رائي الدُّر حسنًا ولا قِطُهْ
فمن لُؤلؤٍ نجنيه عند ابتسامها * ومن لؤلؤ عند الحديث تساقِطُهْ

وقال المتنبى

أمنْعِمةٌ بالعَوْدةِ الظبيةُ التى * بغير ولىٍّ كان نائلُها الوسمى (١)
ترشَّفْتُ فاهَا سُحْرَةَ فكأننى * ترشَّفْتُ حَرَّ الوجدمن باردِ الظَّلْمِ (٢)
فتاةٌ تَساوَى عِقدها وكلامها * ومَبْسمها الدرىُّ فى النثر والنظم

الشعر والبيان

عاد الحديث الأول ، قال أبو القاسم عبد الرحمن بن اسحاق الزجاجى حدثنا يوسف بن يعقوب قال : أخبرنى جدى قراءة عليه عن أبى داود عن محمد بن عبيد الله عن أبى اسحاق عن البراء يرفعه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن من الشعر لحكما ، وإنّ من البيان لسحرا ، قال أبو القاسم هكذا روينا الخبر ، وراجعت فيه الشيخ فقال ، نعم هو : ان من الشعر لحكما ، بضم الحاء وتسكين الكاف ، قال ووجهه عندى إذا روى هكذا : إن من الشعر ما يلزم المقول فيه كلزوم الحكم للمحكوم عليه ، إصابةً للمعنى ، وقصداً للصواب ، وفى هذا يقول أبو تمام

ولَولاَ سبيلٌ سنَّها الشعر مادَرَى * بُغَاةُ النَّدى من أين تُؤْتَى المكارمُ (٣)
يُرَى حكمةً ما فيه وهو فكاهةٌ * ويُرْضَى بما يقضى به وهو ظالمُ

انتهى كلام أبى القاسم * وقد وجدنا فى الشعر أبياتاً يُجرى على رسمها ،

---

(١) الوسمى : المطر الأول والولى الذى يليه (٢) الظلم بفتح الظاء الثغر ، قال كعب بن زهير

تجلو عوارض ذى ظلم إذا ابتسمت * كأنه منهل بالراح معلول

وفى أساس البلاغه : الظلم كأنه ظالمة تركب متون الاسنان من شدة الصفاء
(٣) البغاة : الطلاب

ويُمضى على حكمها . فقد كان بنو أنف الناقة إذا ذَكَرَ أحد عند أحد منهم أنف الناقة فضلا عن أن ينسبهم اليه ، اشتد غضبهم عليه ، فما هو إلا أن قال الحطيئة يمدحهم

سِيرى أمامَ فان الأكثرين حصًى * والأطيبين اذا ما يُنْسَبُون أبا
قومٌ اذا عقدوا عَقْداً لجارهمُ * شَدّوا العَناج وشدوا فوقه الكَرَبا[1]
قومهمُ الأنفُ والأذناب غيرهمُ * ومن يسوّى بأنف الناقة الذنَبا

فصار أحدهم اذا سئل عن انتسابه لم يبدأ إلا به ، وأنف الناقة هو جعفر ابن قريع بن عوف بن كعب بن زيد مناة بن تميم ، وكان بنو العجلان يفخرون بهذا الاسم ، ويتشرّفون بهذا الوَسْم ، إذ كان عبد الله بن كعب جدّهم إنما سمى العجلان لتعجيله القِرى للضيفان: وذلك أن حيًّا من طيئ نزلوا به ، فبعث اليهم بقِراهم عَبْداً له ، وقال له اعجل عليهم ، ففعل العبد فأعتقه لعجلته ، فقال القوم ما ينبغى أن يسمى الا العجْلان ، فسمى بذلك فكان شرفا لهم ، حتى قال النجاشى واسمه قيس بن عمرو بن مالك بن حزن بن الحارث بن كعب يهجوهم

أولئكَ أخوال اللّعين وأسْرةُ الهجـ * ـين ورَهْط الواهن المتذلل[2]
وما سمى العجلان إلا لقولِهِ * خذ القُعْبَ واحْلُبْ أيها العبد واعجلِ

فصار الرجل منهم اذا سئل عن نسبه قال كعبى ، ويكنى عن العجلان ، وزعمت الرواة أن بنى العجلان استعدوا على النجاشى لما قال هذا الشعر عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وقالوا هجانا ، قال : وما قال فيكم ؟ فأنشدوه قوله

إذا الله عادى أهل لؤم ورِقّةٍ * فعادى بنى العجلان رهط ابن مقبلِ

فقال إن الله لا يعادى مسلما ، قالوا فقد قال

قبيلته لا يغدرون بذمّةٍ * ولا يظلمون الناس حبّة خَرْدَل[3]

(١) العناج : حبل الدلو وزمام الناقة ، والكرب أيضاً من حبال الدلو ، والمراد أنهم اذا عقدوا عقدا ربطوه بحبل بعد حبل ، وهذا كناية عن وثاقة العهد
(٢) الأسرة والرهط بمعنى القوم ، والهجين : غير الشريف ، والواهن : الضعيف
(٣) يريد أنهم لا يقدرون لضعفهم على ظلم أحد

فقال وددت أن آل الخطاب كانوا كذلك ! قالوا فقد قال

تعاف الكلابُ الضاريات لحومَهُمْ * وتأكل من عوف بن كعب بن نهشلِ

فقال: كفى ضَيَاعًا مَن تأكل الكلاب لحمه! قالوا فقد قال

ولا يردون الماء الا عشيةً * اذا صدر الوُرَّادُ عن كلِّ منهَلِ (١)

فقال: ذلك أصفى للماء ، وأقل للزحام! قالوا فقد قال

وما سمِّيَ العجلان الا لقوله * خذ القعب واحلب أيها العبد واعجلِ

فقال : سيد القوم خادمهم ! وكان عمر رضى الله عنه أعلم بما فى هذا الشعر ولكنه درأ الحدود بالشبهات

جمرات العرب

وهؤلاء بنو نمير بن عامر بن صعصعة من القوم أحد جمرات العرب وأشرف بيوت قيس بن عيلان بن مضر . وجمرات العرب ثلاثة : وانما سموا بذلك لانهم يتوافرون فى أنفسهم ، لم يدخلوا فيهم غيرهم ، والتجمير فى كلام العرب التجميع ، وهم بنو عامر وبنو الحارث بن كعب ، وبنو ضبة بن أد . فطفئت جمرتان وهما بنو ضبة لانها حالفت الرباب ، وبنو الحارث لانها حالفت مَذحِج ، وبقيت نمير لم تحالف ، فهى على كثرتها ومنعتها . وكان الرجل منهم اذا قيل له ممن أنت ، قال نميرى كما ترى ! إدلالاً بنسبه ، وافتخاراً بمنصبه ، حتى قال جرير ابن الخطفى لعبيد بن حصين الراعى أحد بنى نمير بن عامر

فغُضَّ الطرف انك من نُمَيْرٍ * فلا كعباً بلغت ولا كلابا

كعب وكلاب ابنا ربيعة بن عامر بن صعصعة. فصار الرجل منهم اذا قيل له ممن أنت ؟ يقول عامرى ، ويكنى عن نمير ، ومرّت امرأة بقوم من بنى نمير فأحدُّوا النظر اليها فقال منهم قائل والله انها لرشْحَاء (٢) فقالت يابنى نمير والله

(١) يريد أنهم لا يستطيعون ورود الماء الا اذا انصرف عنه الناس (٤) رشحاء : كثيرة العرق ، وذلك من عيوب النساء

ما امتثلتم فىَّ واحدة من اثنتين ، لاقول الله عز وجل : قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ، ولا قول الشاعر * فغضَّ الطرف انك من نمير * البيت — وسايَرَ شريك بن عبد الله النميرى يزيد بن عمر بن هبيرة الفزارى ، فبرزت بغلة شريك[1] فقال له يزيد : غض من لجامها ، فقال إنها مكتوبة أصلح الله الامير ، فضحك ، وقال : ماذهبت حيث أردت ، وانما عرّض بقوله غضَّ من لجامها بقول جرير * فغض الطرف انك من نمير * فعرض له شريك بقول ابن دارة

لاتأمننَّ فزاريًّا خلوتَ به * على قَلُوصِكَ واكتبها بأسيارِ[2]

وبنو فزارة يُرمون بإتيان الابل ، ولذلك قال الفرزدق ليزيد بن عبد الملك لما ولى عمر ابن هبيرة العراق

أميرَ المؤمنين لأنْتَ مَرْءٌ * أمينٌ ليس بالطمع الحريصِ
أوَلّيتَ العراق ورافِدَيْهِ * فزاريا أحذَّ يد القميص[3]
ولم يك قبلها راعى مخاضٍ * ليأمنَهُ على وركَىْ قلوصِ[4]
تفهَّق بالعراق أبو المثنى * وعلَّم قومهُ أكل الخبيص[5]

الرافدان : دجلة والفرات ، وقال بعض النميريين يجيب جريرا عن شعره

نميرٌ جمرة العرب التى لم * تزل فى الحرب تلتهب التهابا
وانى إذ أسُبُّ بها كليباً * فتحت عليهمُ للخسف بابا
ولولا أن يقال هجا نميراً * ولم نسمع لشاعرهم جوابا
رغبنا عن هجاء بنى كليبٍ * وكيف يشاتم الناس الكلابا

(١) برزت : سبقت (٢) اكتبها : مأخوذ من الكتبة بضم الكاف وسكون الباء وهو سير يكتب به حياء الناقة لئلا ينزى عليها . وكتب الناقة يكتبها بكسر التاء وضمها فى المضارع ختم حياءها (٣) أحذ ، مقطوع وقطع يد القميص كناية عن السارق (٤) القلوص : الناقة ، والخوف على وركى الناقة كناية عن الخوف عليها من أن يأتيها الفزارى ! (٥) تفهق : عاش عيشة الترف — الخبيص : طعام يعمل من التمر والسمن

فما نفع نميرا ، ولا ضرّ جريرا ، بل كان كما قال الفرزدق

ما ضرّ تغلب وائلٍ أهجوتها * أم بُلْت حيث تناطح البحرانِ

وقال أبو جعفر محمد بن منذر مولى بنى صبير بن يربوع فى هجائه لثقيف

وسوف يزيدكم ضعَةً هجائى * كما وضع الهجاء بنى نميرِ

وسمع الراعى منشدا ينشد

وعاوٍ عوى من غير شىء رميتُهُ * بقافيةٍ أنفاذها تقطر الدما (١)

خَرُوجٍ بأفواه الرواة كأنها * فَرَى هندوانىّ اذا هُزَّ صمَّمَا (٢)

فارتاع له ، وقال : لمن هذا ؟ قيل لجرير ، قال لعن الله من يلومنى أن يغلبنى مثل هذا ! وقد بنى الشعر لقوم بيوتا شريفة ، وهدم لآخرين أبنية منيفة

وماهو إلا القول يُسْرى فتغتدى * له غُرَرٌ فى أوجهٍ ومواسِمُ

قال أبو عبيدة معمر بن المثنى التميمى : سمعت أبا عَمْرو بن العلاء ورجل يقول : إنما الشعر كالميسَم (٣) فقال : وكيف يكون ذلك كذلك ، والميسم يذهب بذهاب الجلد ، ويدْرُس مع طول العهد ، والشعر يبقى على الأبناء ، بعد الآباء ، ما بقيت الأرض والسماء ! والى هذا نحا الطائى فى قوله

وانى رأيت الوَسْمَ فى خُلُق الفتى * هو الوَسْمُ لا ما كان فى الشَّعْر والجلدِ

وقال عمر رحمة الله عليه : تعلموا الشعر ، فان فيه محاسن تُبتغى ، ومساوىء تُتقى . وقال أبو تمام

إن القوافى والمساعى لم تزل * مثل النظام اذا أصاب فريدا

هى جوهرٌ نثرٌ فان ألَّفته * فى الشعر كان قلائداً وعقُودا

من أجل ذلك كانت العرب الأُلى * يدعون هذا سُؤْدَداً مجْدُودا

وتنِدُّ عندهم العلى الا اذا * جُعِلَتْ لها مِرَرُ القصيد قُيُودا (٤)

---

(١) أنفاذ : جمع نفذ بفتحتين وهو الشق تحدثه الطعنة النافذة (٢) الهندوانى السيف ، والفرى : الشق والصدع (٣) الميسم : المكواة (٤) المرر : جمع مرة بكسر الميم وهى إحكام الفتل ، وتند : تنفر وتشرد

(وقال على بن الرومى)

أرى الشعر يُحيى الناس والمجد بالذى * تُبقّيه أرواحٌ له عطِراتُ
وما المجد لولا الشعر الا معاهدٌ * وما الناس الا أعظم نخِراتُ

شذور من كلام الرسول

رجعت الى ماقطعت ، مما هو أحق وأولى ، وأجل وأعلى ، وهو كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم : الكريم النَّجْر [1] ، العظيم القدر ، الذى هو النهاية فى البيان ، والغاية فى البرهان ، المشتمل على جوامع الكلم ، وبدائع الحِكم ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنا أفصح العرب ، بَيْد أنى من قريش ، واستُرضعت فى سعد بن بكر ! وليس بعض كلامه بأولى من بعض بالاختيار ، ولا أحق بالتقديم والإيثار ؛ ولكنى أورد ما تيسر منه فى أول هذا الكتاب استفتاحا ، وتيمناً بذلك واستنجاحا ، (وهذه شذور) من قوله صلى الله عليه وسلم الصريح الفصيح ، العزيز الوجيز ، المتضمن بقليل من المبانى ، كثير المعانى ، قوله للانصار : إنكم لتقلون عند الطمع ، وتكثرون عند الفزع ، وقوله عليه السلام : المسلمون تتكافأ دماؤهم ، ويسعى بذمتهم أدناهم ، وهم يد على مَن سواهم — الناس كإبل مائة لاتجد فيها راحلة — اياكم وخضراء الدِّمن [2] كل الصيد فى جوف الفَرا [3] قاله لأبى سفيان بن حرب — الناس معادن خيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الاسلام اذا فقهوا — المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا — أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم — المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبى زور — المرأة كالضِّلع ان

(١) النجر : الأصل (٢) الدمن : جمع دمنة وهى مربط الابل والخيل ينبت فيها النبات فيكون رائع الخضره لكثرة الماء والسماد ، وخضراء الدمن كناية عن المرأة الوسيمة تدرج من بيت السوء (٣) الفرا : حمار الوحش ، (كل الصيد فى جوف الفرا) مثل ، ومعناه أن من نال الأمر العظيم كان جديرا بأن ينسى ماسواه مما ينال الناس

رُمْتَ قِوامها كسرتها [١] وان داريتها استمتعت بها — اليد العلياخير من اليد السفلى — مطل الغنى ظلم — يد الله مع الجماعة — الحياء شُعبة من الايمان — مثل أبى بكر كالقطر ، أينما وقع نفع — لاتجعلونى فى أعجاز كتبكم كقدح الراكب [٢] — أربعة من كنوز الجنة : كتمان الصدقة والمرض والمصيبة والفاقة — جنة الرجل داره — الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا — كفى بالسلامة داء — إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم ، فسعوهم بأخلاقكم — ماقلّ وكفى خير مما كثر وألهى — كلٌّ مُيسَّر لما خلق له — اليمين حِنث أو مندمة — [٣] دع مايريبك الى مالا يريبك — انصر أخاك ظالماً كان أو مظلوماً — احترسوا من الناس بسوء الظن — الندم توبة — انتظار الفرج عبادة — نعم صومعة الرجل بيته — المستشير مُعان والمستشار مؤتمن — المرء كثير بأخيه — إن للقلوب صدأ كصدإ الحديد ، وجلاؤها الاستغفار — اليوم الرِّهان وغدا السِّباق ، والجنة الغاية — كل من فى الدنيا ضيف ، وما فى يده عارية ، والضيف مرتحل ، والعارية مؤدّاة (ومن جوامع كلمه عليه الصلاة والسلام) مارواه أهل الصحيح عن علقمة بن وقاص الليثى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرىء مانوى ، فمن كانت هِجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ، ومن كانت هِجرته الى دنيا يصيبها ، أو امرأة يتزوجها ، فهجرته الى ماهاجر اليه! قال أبو القاسم حمزة بن محمد الكنانى سمعت أهل العلم يقولون : هذا الحديث ثلث الاسلام ، والثلث الثانى مارواه النعمان بن بشير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : الحلال بيِّن ، والحرام بين ، وبينهما أمور مشتبهات ، فمن تركها كان أوفى لدينه وعرضه ، ومن واقعها كان الراتع حول الحمى ، ألا وإن لكل ملك حمى ألا وإن حمى الله محارمه [٤] قال والثالث مارواه مالك بن شهاب عن على بن حسين

(١) القوام بالكسر : التقويم (٢) الأعجار : الأواخر (٣) الحنث بكسر الحاء : الذنب ، والمعنى أنك حين تقسم تقع بين الذنب أو الندم (٤) الحمى : الشىء المحمى الممنوع

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : مِن حُسن إسلام المرء تركه مالا يعنيه . وقد سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم الشعر وأثاب عليه ، وندب حسان بن ثابت اليه[١] ، وقال: ان الله ليؤيده بروح القدس ما نافَحَ عن نبيه [٢] ولما انتهى شعر أبى سفيان بن الحارث بن عبد المطلب الى النبى صلى الله عليه وسلم شقَّ عليه [٣] فدعا عبد الله بن رواحة فاستنشده فأنشده فقال : أنت شاعر كريم ، ثم دعا كعب ابن مالك فاستنشده فأنشده فقال : أنت تحسن صفة الحرب ، ثم دعا بحسان بن ثابت فقال : أجب عنى ، فأخرج لسانه فضرب به أرنبته [٤] ثم قال والذى بعثك بالحق ما أحب أن لى به مقولاً فى معد ، ولو أن لسانا فرى الشَّعر لفراه [٥] ثم سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يَمَسَّ من أبى سفيان ، فقال : وكيف وبينى وبينه الرحم التى قد علمت! فقال أسلُّك منه كما تُسل الشعرة من العجين! فقال اذهب الى أبى بكر وكان أعلم الناس بأنساب قريش ، وسائر العرب ، وعنه أخذ جبير بن مطعم علم النسب، فمضى حسان اليه فذكر له معايبه ، فقال حسان بن ثابت

وإن سنام المجد من آل هاشم * بنو بيت مخزوم ووالدُك العبْدُ

ومَن ولَدَتْ أبناء زهرةَ منهمُ * كرامٌ ولم يقرب عجائزك المجد [٦]

ولستَ كعباسٍ ولا كابن أمِّهِ * ولكن لئيم لا يقوم له زَند [٧]

وإن امرءًا كانت سُمَيَّةُ أمُّهُ * وسَمْراءُ مغمورٌ اذا بلغ الجَهْدُ [٨]

وأنت زنيمٌ نِيط فى آل هاشم * كما نِيطَ خلْفَ الراكب القدَحُ الفَرْدُ [٩]

فلما بلغ هذا الشعر أبا سفيان قال : هـذا كلام لم يغب عنه ابن أبى قحافة ،

(١) ندب : دعا (٢) نافح : دافع (٣) شق عليه : عظم عليه (٤) الأرنبة طرف الأنف (٥) يفرى الشعر : يمحوه ، ومحو الشعر كناية عن غاية الايذاء

(٦) العجائز : جمع عجوز (٧) الزند : موصل طرف الذراع فى الكف

(٨) الجهد : التعب. و بلوغه شدته، وهذا كناية عن السعى المجد، والمغمور: الخامل

(٩) زنيم : دعى معلق بمن ليس منه . ونيط بكسر النون : علق

يعنى ببنى بيت مخزوم عبد الله وأبا طالب والزبير بن عبد المطلب بن هاشم أمهم فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم وأخواتهم برة وأميمة والبيضاء وهى أم حكيم والبيضاء جدة عثمان بن عفان أم أمه وقوله (ومن ولدت أبناء زهرة منهم كرام) يعنى أميمة وصفية أم الزبير بن العوام أمهما هالة بنت أهيب بن عبد مناف بن زهرة وقوله (ولست كعباس ولا كابن أمه) أم العباس نتيلة امرأة ابن جعفر بن واسط وأخوه لأمه ضرار بن عبد المطلب وقوله (وان امرأ كانت سمية أمه وسمراء) سمية أم أبى سفيان ، وسمراء أم أبيه ، وليس هـذا موضع إطناب فى رفع الانساب . وكان عبد الأعلى بن عبد الرحمن الاموى عتب على بعض ولد الحارث فقال له مُعرِّضا بما قال حسان

إخالُ بالعمِّ وبالجدِّ * مفتخراً بالقدَحِ الفرْدِ(١)
الْهَجْ بحسان وأشعارهِ * فانها أدْعَى الى المَجْدِ
لولا سيوف الأزد لم تؤمنوا * ولم تقيموا سُورَةَ الحمدِ

فتوعّدوه فخافهم ، فقال :

بنى هاشم عفواً عفا الله عنكمُ * وان كان ثوبى حَشْوُ ثنييه مُجرِمُ
لكم حَرَمُ الرحمن والبيت والصَّفا * وجَمْعٌ وما ضمَّ الحطيم وزمزَمُ
فان قلتمُ بادَهْتَنَا بعظيمةٍ * فأحلامكم منها أجلُّ وأعظمُ

وأسلم أبو سفيان رحمه الله وشهد مع النبى صلى الله عليه وسلم يوم حنين ، وكان ممسكا بلجام بغلته حين فرَّ الناس ، وهو أحد الذين ثبتوا ، وهم على ما ذكره أبو محمد عبد الملك ابن هشام أبو بكر وعمر وعلى والعباس وأبو سفيان بن الحارث وابنه والفضل وربيعة بن الحارث وأسامة بن زيد وأيمن بن أم أيمن بن عبيد قتل يومئذ ، وبعض الناس يعد فيهم قثم بن العباس ولا يعد ابن أبى سفيان وكان أبو سفيان من أشعر قريش وهو القائل

لقد عَلِمَتْ قريشٌ غيرَ فخرٍ * بأنّا نحن أجْوَدُهم حِصَانا

(١) إخال بكسر الهمزة : أظن ، والمعنى : أظنك مفتخرا بالقدح الفرد

وأكثرهم دُروعاً سابغاتٍ * وأمضاهم اذا طعنوا سِنانا[١]

وأدفعهم عن الضراء عنهم * وأبْيَنُهم إذا نطقوا لسانا

(ويروى) أن ابن سيرين قال: بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفره قد شنق ناقته بزمامها، حتى وضعت رأسها عند مقدمة الرحل، إذ قال: يا كعب ابن مالك، احدبنا! فقال كعب:

قضينا من تِهامة كل حقٍّ * وخيبر ثم أجمعنا السيوفا[٢]

نخيِّرها ولو نطقت لقالت * قواطعهنَّ دوسا أو ثقيفا

فقال عليه السلام: والذى نفسى بيده لهى أشد عليهم من رشق النبل! ويقال إن دوسا أسلمت فرَقا من كلمة كعب هذه[٣]، وقالوا: اذهبوا فخذوا لأنفسكم الأمان، من قبل أن ينزل بكم ما نزل بغيركم!

قصة النضر بن الحارث

وقتل النبى صلى الله عليه وسلم النضر بن الحارث وكان ممن أسِر يوم بدر وكان شديد العداوة لله ولرسوله، وقتله على بن طالب رضى الله عنه صبرا[٤] فعرضت للنبى صلى الله عليه وسلم أخته قُتَيلة بنت الحارث وفى بعض الروايات أن قتيلة أخته فأنشدته

يا راكباً إن الأثيلَ مظِنةٌ * من صبح غاديةٍ وأنت موفقُ

أبلغ بها ميتاً بأن تحيةً * ما إن تزال بها النجائب تعنَق[٥]

منّى اليه وعَبرة مسفوحةً * جادت بوا كفها وأخرى تخنُقُ[٦]

هل يسمعنّى النضر ان ناديتهُ * إن كان يسمع ميِّت لا ينطق

ظلّت سيوفُ بنى أبيه تنوشهُ * لله أرحامٌ هناك تشقّقُ[٧]

(١) سابغات: طويلة ضافية (٢) أجمعنا: أزحنا (٣) فرقا: خوفا
(٤) صبراً: حبسا (٥) تعنق: من العنق، بفتحتين، وهو السير الحثيث
(٦) الوا كف: الدائم الجريان (٧) تنوشه: تناله بالطعن

قسراً يقادُ إلى المنية مُتعباً * رَسْفَ المقيّدِ وهوعانٍ مُوثَقُ[١]
أمحمـد ها أنت صِنْو كريمةٍ * فى قومها والفَحْلُ فحل مُعْرِقُ[٢]
ما كانَ ضَرَّكَ لو مننتَ وربما * منَّ الفتى وهو المَغيظُ المُحنَقُ[٣]
فالنضر أقرب مَنْ قتلت قرابةً * وأحقهم ان كان عِتق يُعتَقُ
أو كنت قابلَ فديةٍ فَلْيُفْدَيَنْ * بأعزِّ ما يُغلى به من ينفقُ

فذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رق لها ودمعت عيناه ، وقال لأبى بكر : لو كنت سمعت شعرها ما قتلته ! والنضر هذا هو النضر بن الحارث بن علقمة بن كلدة بن عبد مناف بن عبد الدار . قال الزبير بن بكار وسمعت بعض أهل العلم يغمز فى أبيات قتيلة بنت الحارث ويقول إنها مصنوعة

وفاة رسول الله

(ودخل) أبو بكر الصديق رضوان الله عليه ، على النبى عليه السلام وهو مُسجّى بثوب[٤] فكشف عنه الثوب وقال : بأبى أنت وأمى ! طِبْتَ حيًّا وطبت ميتاً ، وانقطع لموتك مالم ينقطع لموت أحد من الانبياء من النبوة ، فعظُمْتَ عن الصفة ، وجللت عن البكاء ، وخصصت حتى صرت مسلاة ، وعممت حتى صرنا فيك سواء ، ولولا أن موتك كان اختياراً منك ، لجدنا لموتك بالنفوس ، ولولا أنك نهيت عن البكاء لأنفدنا عليك ماء الشؤون[٥] ، فأما مالا نستطيع نفيه عنا فكمد وإدناف[٦] يتحالفان ولا يبرحان ، اللهم فأبلغه عنا السلام ، اذكرنا يامحمد عند ربك ، ولنكن من بالك ، فلولا ماخلّفت من السكينة

(١) قسرا : قهرا — والرسف : مشى المقيد — عان : أسير — موثق : مقيد
(٢) صنو : ابن — معرق : أصيل (٣) من : صفح ، والمحنق : المملوء بالغيظ (٤) مسجى : مغطى (٥) الشئون : عروق الدمع (٦) الادناف : المرض الثقيل

لم نُقم لما خلَّفت من الوحشة ، اللهم أبلغ نبيك عنا واحفظه فينا. ثم خرج (قوله) رضى الله عنه (لولا أن موتك كان اختياراً منك) انما يريد قول النبى صلى الله عليه وسلم : لم يُقبض نبى حتى يرى مقعده من الجنة ثم يُخيَّر. قالت عائشة رضى الله عنها فسمعته وقد شخص بصره وهو يقول : فى الرفيق الاعلى ! فعلمت أنه خُيِّر ، فقلت لا تختارنا إذَن ، وقلت هو الذى كان يحدثنا ، وهو صحيح (وكان) أبو بكر لما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أرضه بالسُّنح[1] فتواترت اليه الرسل فأتى ، قد ذهل الناس ، فكانوا كالخرَس ، وتفرقت أحوالهم ، واضطربت أمورهم ، فكذب بعضهم بموته ، وصمت آخرون فما تكلموا إلا بعد التغير ، وخلط آخرون فلاثوا الكلام بغير بيان ،[2] وحق لهم ذلك للرزية العظمى ، والمصيبة الكبرى ، التى هى بيضة العقْر[3] ، ويتيمة الدهر ، ومدى المصائب ، ومنتهى النوائب ، فكل مصيبة بعدها جَلَلٌ عندها[4] ، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لتعزِّ المسلمين فى مصائبهم المصيبة بى (وكان عمر) بن الخطاب رضى الله عنه ممن كذب بموته وقال : مامات ولير جعنّه الله فليقطعن أيدى المنافقين وأرجلهم ، يتمنون لرسول الله صلى الله عليه وسلم الموت ، وانما واعده ربه ، كما واعد موسى وهو يأتيكم (وأما عثمان) رضى الله عنه فكان ممن أخرِس ، فجعل لا يكلم أحداً ، يُؤْخَذُ بيده ويُجاء به فينقاد (وأما على) رضى الله عنه فلبط به الأرض[5] فقعد ولم

(١) السنح : بضم السين وسكون النون موضع قرب المدينة وكان به منزل ابى بكر رضى الله عنه (٢) لاثوا : خلطوا (٣) بيضه العقر : مثل للحادث الذى يندر أن يتكرر ، وهى فى الاصل بيضة الدجاجة التى لا تبيض بعدها (٤) جلل : من أسماء الأضداد و يطلق على الأمر العظيم كما يطلق على الأمر الصغير ، ومن أمثلة إطلاقه على الامر الخطير قول الشاعر

قومى هموا قتلوا أميم أخى فاذا رميت يصيبنى سهمى
فلئن عفوت لأعفون جللا ولئن ضربت لأوهنن عظمى

(٥) لبط به الأرض ، ولبط به : سقط من قيام كأنما صرع . والعبارة الثانية بصيغة المفعول .

يبرح البيت حتى دخل أبوبكر وهو فى ذلك جَلْد العقل والمقالة [١]، فأكب عليه، وكشف عن وجهه، وقبّل جبينه وبكى بكاء شديداً وقال الكلام الذى قدّمته، ولما خرج الى الناس وهم فى شديد غَمَراتهم، وعظيم سَكَراتهم، قام فخطب خطبة جُلُّها الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم قال فيها أشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، وأشهد أن الكتاب كما نزل، وأن الدين كما شرع، وأن الحديث كما حدّث، وأن القول كما قال، وأن الله هو الحق المبين. فى كلام طويل، ثم قال: أيها الناس من كان يعبد محمداً فان محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فان الله حىّ لا يموت، وان الله قد تقدّم اليكم فى أمره، فلا تدَعُوه جزعا، وان الله قد اختار لنبيه ماعنده على ماعندكم، وقبضه الى ثوابه، وخلّف فيكم كتابه، وسنة نبيه، فمن أخذبهما عرف، ومن فرق بينهما أنكر، ياأيها الذين آمنوا كونوا قوّامين بالقسط ولا يشغلنكم الشيطان بموت نبيكم، ويفتننكم عن دينكم، فعاجلوه بالذى تُعجزونه، ولا تستنظروه فيلحق بكم، فلما فرغ من خطبته قال: ياعمر! بلغنى أنك تقول مامات نبى الله، أما علمت أنه قال فى يوم كذا وكذا وفى يوم كذا وكذا قال الله تبارك وتعالى: إنك ميت وإنهم ميتون، فقال عمر والله لكأنى لم أسمع بها فى كتاب الله قبل مانزل بنا، أشهد أن الكتاب كما نزل، وان الحديث كما حدث، وأن الله حىّ لا يموت، وإنا لله وانا اليه راجعون! ثم جلس الى جنب أبى بكر رحمه الله (قالت عائشة) رضوان الله عليها لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم نَجَم النفاق [٢]، وارتدت العرب، وكان المسلمون كالغنم الشاردة، فى الليلة الماطرة، فحمل أبى مالو حملته الجبال لهاضها [٣] فو الله إن اختلفوا فى مُعظِم الاذهب بحظه، ورشده، وغنائه، وكنت اذا نظرت الى عمر علمت أنه انما خُلِقَ للاسلام فكان والله أحوذيا نسيج وحده [٤] قد أعد

(١) جلد: ثابت (٢) نجم: نشأ (٣) هاضها: دكها وحطمها
(٤) أحوذى: حاذق قاهر الأمور لا يشذ عليه شىء

للأمور أقرانها (وحدث) أبو بكر بن دريد عن عبد الاول بن مزيد قال حدثني في مجلس يزيد بن هارون بالبصرة قال لما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم دُفِن ورجع المهاجرون والأنصار الى رحالهم ، ورجعت فاطمة الى بيتها ، فاجتمع اليها نساؤها فقالت

اغبرّ آفاق السماء وكُوِّرت * شمس النهار وأظلم العصرانِ[1]
فالارض من بعد النبي كئيبةٌ * أسفا عليه كثيرة الرجفان[2]
فليبكهِ شرقُ البلاد وغربُها * وليبكه مُضَرٌ وكل يمانى
وليبكه الطُّور المعظّم جوُّهُ * والبيت ذو الأستار والاركانِ
ياخاتم الرسل المبارك ضوءهُ * صلى عليك منزل الفُرْقان

مناقب أبي بكر

(وكان أبو بكر) رضى الله عنه اذا أثنى عليه يقول : اللهم أنت أعلم بي من نفسي ، وأنا أعلم بنفسي منهم ، فاجعلني خيراً مما يَحْسَبُون ، واغفرلى برحمتك مالا يعلمون ، ولا تؤاخذنى بما يقولون. وقال رحمه الله فى بعض خطبه: إنكم فى مَهَل ، من ورائه أجل ، فبادروا فى مَهَل آجالكم ، قبل أن تنقطع آمالكم ، فتردكم الى سوء أعمالكم. وذكر أبو بكر الملوك فقال : إن الملك اذا مَلَك زهده الله فى ماله ، ورغّبه فى مال غيره ، وأشْرِب قلبه الإشفاق ، فهو يسخط على الكثير ، ويحسد على القليل ، جَذْل الظاهر ، حزين الباطن ، حتى اذا وجبت نفسه [3] ونضب عمره ، وضحا ظله [4] ، حاسبه الله فأشد حسابه ، وأقل الأنصار عنه عقوبة (وذكر) انه وصل الى أبي بكر مال من البحرين ، فساوى فيه بين الناس ، فغضبت الأنصار ، وقالوا له: فضلنا ! فقال أبو بكر صدقتم ، إن أردتم أن أفضلكم صار ماعملتموه

(١) كورت : سقط (٢) الرجفات : الاضطراب (٣) وجبت نفسه : فاضت روحه ، ونضب : نفد (٤) ضحا ظله : مات

للدنيا ، وان صبرتم كان ذلك لله عز وجل! فقالوا: والله ماعملنا الا لله تعالى، وانصرفوا فرقى أبو بكر المنبر فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبى صلى الله عليه وسلم ثم قال : يامعشر الأنصار ان شئتم أن تقولوا إنا آوينا كم فى ظلالنا ، وشاطرناكم فى أموالنا، ونصرناكم بانفسنا، لقلتم ، وان لكم من الفضل مالايحصيه العدد ، وان طال به الأمد ، فنحن وأنتم كما قال طفيل الغنوى

جزى الله عنا جعفراً حين أزلقت * بنا نعلنا فى الواطئين فزلّتِ (١)

أبوا أن يملونا ولو أن أمنا * تلاقى الذى يلقون منا لملّتِ (٢)

هُمُ أسكنونا فى ظلال بيوتهم * ظلال بيوت أدفأتْ وأظلّتِ

(فقر من كلامه رضى الله عنه) صنائع المعروف تقى مصارع السوء — الموت أهون مما بعده ، وأشد مما قبله — ليست مع العزاء مصيبة ، ولا مع الجزع فائدة — ثلاث من كنّ فيه كن عليه : البغى ، والنكث ، والمكر — إن الله قرن وعده بوعيده ، ليكون العبد راغبا وراهبا

رثاء أبى بكر

(ولما توفى رضى الله عنه) وقفت عائشة على قبره فقالت : نضر الله وجهك بالبيت ، وشكر لك صالح سعيك ، فلقد كنت للدنيا مذلاً بادبارك عنها ؛ وللآخرة معزا باقبالك عليها ، ولئن كان أجل الحوادث بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم رزؤك ، وأعظم المصائب بعده فقدك ، إن كتاب الله ليعد بحسن الصبر عنك حسن العوض منك ، وأنا أستنجز موعود الله تعالى بالصبر فيك ، وأستقضيه بالاستغفار لك ، أما لئن كانوا قاموا بأمر الدنيا لقد قمت بأمر الدين لما وهى

---

(١) زلت : سقطت (٢) هذا البيت غاية الغايات فى وصف المواساة والبر الموصول *

شعبه (١) وتفاقم صدعه (٢) ورجفت جوانبه (٣) ، فعليك سلام الله توديع غير قالية لحياتك ، ولا زارية على القضاء فيك (٤) . وقال أبو بكر لبلال لما قتل أمية بن خلف وقد كان يسومه سوء العذاب بمكة فيخرجه الى الرمضاء (٥) فيلقى عليه الصخرة العظيمة ليفارق دين الاسلام فعصمه الله من ذلك

هنيئاً زادك الرحمن خيراً * فقد أدركت ثارك يابلالُ
فلا نكساً وجدتَ ولا جباناً * غداة تنوشك الأسل الطوال (٦)
اذا هاب الرجال ثبتَّ حتى * تخالط أنت ما هاب الرجال
على مضض الكلوم بمشرفيٍّ * جلا أطراف متنيه الصقال (٧)

عمر بن الخطاب

(وكتب عمر بن الخطاب رضى الله عنه) الى ابنه عبد الله: أما بعد فانه من اتقى الله وقاه ، ومن توكل عليه كفاه ، ومن شكر له زاده ، ومن أقرضه جزاه ، فاجعل التقوى عماد قلبك ، وجلاء بصرك ، فانه لا عمل لمن لا نية له ، ولا أجر لمن لا حسبة له ، ولا جديد لمن لا خَلَق له (ودخل) عدى بن حاتم على عمر فسلم وعمر مشغول فقال: يا أمير المؤمنين ! أنا عدى بن حاتم ! فقال: ما أعرفني بك ! آمنت إذ كفروا ، ووفيت إذ غدروا ، وعرفت اذ أنكروا ، وأقبلت اذ أدبروا ! (وقال) رجل لعمر : من السيد ؟ قال الجواد حين يُسأل ، الحليم حين يُستجهل ،

(١) وهى شعبه : تفرق شمله ، قال الطرماح « شت شعب الحى بعد التئام »
(٢) تفاقم صدعه : اتسع كسره ، والصدع فى الأصل كسر الزجاجة
(٣) رجفت : اضطربت (٤) زارية : عاتبة (٥) الرمضاء : هى الحجارة التى اشتد عليها وقع الشمس فحميت ، قال الشاعر

المستجير بعمرو عند كربته كالمستجير من الرمضاء بالنار

(٦) النكس : الذل ، والأسل : الرماح (٧) الكلوم : الجروح ، والمشرفى : السيف

الكريم المجالسة لمن جالسه ، الحسن الخلق لمن جاوره . وقال رضى الله عنه : ما كانت الدنيا همّ رجل قط إلا لزم قلبه أربع خصال : فقر لا يدرك غناه ، وهمّ لا ينقضى مداه ، وشغل لا ينفد أوله ، وأمل لا يبلغ منتهاه (فصول قصار من كلامه) رضى الله عنه : من كتم سره كان الخيار فى يده — أشقى الولاة من شقيت به رعيته — أعقل الناس أعذرهم للناس — ما الخمر صِرفا[1] بأذهب لعقول الرجال من الطمع — لا يكن حبك كَلَفا ، ولا بغضك تلفا — مُرْ ذوى القرابات أن يتزاوروا ، ولا يتجاوروا — قلما أدبر شئ فأقبل — أشكو إلى الله ضعف الأمين ، وخيانة القوى — تكثّروا من العيال فانكم لا تدرون بمن ترزقون — لو أن الشكر والصبر بعيران ما باليت أيهما أركب — من لا يعرف الشر كان أجدر أن يقع فيه (وقال) معاوية ابن أبى سفيان لصعصعة بن صوحان ، صف لى عمر بن الخطاب فقال : كان عالما برعيته ، عادلا فى قضيته ، عاريا من الكبر ، قبولا للعذر ، سهل الحجاب ، مصون الباب ، متحريا للصواب ، رفيقا بالضعيف ، غير محاب للقريب ، ولا جاف للغريب (وروى) أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه حج فلما كان بضَجْنان[2] قال لا إله إلا الله العلى العظيم ، المعطى من شاء ما شاء ، كنت فى هذا الوادى فى مدرعة صوف أرعى إبل الخطاب ، وكان فظاً يتعبنى إذا عملت ، ويضربنى إذا قصرت وقد أمسيت الليلة ليس بينى وبين الله أحد ، ثم تمثل

لا شئ مما ترى تبقى بشاشتهُ * يبقى الإله ويودى المال والولدُ[3]
لم تُغن عن هرمزٍ يوماً خزائنهُ * والخلد قد حاولت عاد فما خلدوا
ولا سليمان إذ تجرى الرياح لهُ * والجن والانس فيما بينها تَرِدُ
أين الملوك التى كانت نوافلها * من كل صوب إليها وافد يَفِدُ
حوض هنالك مورود بلا كذب * لابد من وردهِ يوماً كما وردوا

(١) الخمر الصرف : الخالصة (٢) ضجنان : جبل قرب مكة (٣) يودى : يذهب

(وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه يوم فتح مكة)

ألم تر أن الله أظهر دينهُ * على كل دين قبل ذلك حائدِ [١]

وأسلبه من أهل مكة بعد ما * تداعوا إلى أمر من الغى فاسدِ

غداةَ أجال الخيل فى عَرَصاتها * مسوَّمة بين الزبير وخالد [٢]

فأمسى رسول الله قدعزَّ نصرُهُ * وأمسى عداه من قتيل وشاردِ

يريد الزبير بن العوام حوارى رسول الله صلى الله عليه وسلم وخالد بن الوليد سيف الله تعالى فى الارض

عاتكة بنت زيد

ولما قتله أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة ، قالت عاتكة بنت زيد بن عمرو ابن نفيل زوجته ترثيه

عَيْنُ جُودِى بِعَبْرَةٍ ونحيبِ * لاتَمِلِّي على الأمين النجيبِ

فجعتنى المنون بالفارس المُعْ * لَم يوم الهَياج والتثويبِ [٣]

عصمة الناس والمعين على الدهـ * ـروغيث المحروم والمحروبِ [٤]

قل لأهل الضراء والبؤس موتوا * قدسقته المنون كأس شَعوب [٥]

(وقالت أيضاً ترثيه)

وفجعنى فيروز لادرَّ درَّهُ * بأبيضَ تالٍ للكتاب منيبِ

رؤوفٍ على الأدنى غليظ على العدى * أخى ثقة فى النائبات نجيبِ

متى مايقل لايكذب القول فعلهُ * سريع الى الخيرات غير قَطوبِ

وعاتكة هـذه هى أخت سعيد بن زيد أحد العشرة الذين شهد لهم النبى

(١) حائد : مائل (٢) مسومة : وضعت عليها العلامات (٣) الفارس المعلم هوالذى علق عليه صوف ملون فى الحرب ، والتثويب : الدعاء (٤) المحروب : المسلوب (٥) شعوب : هى المنية ، لأنها تشعب الشمل وتبدده

صلى الله عليه وسلم بالجنة ، وكانت تحت عبد الله بن أبي بكر ، فأصابه سهم في غزوة الطائف فمات منه ، فتزوجها عمر رضي الله عنه فقُتل عنها ، فتزوجها الزبير ابن العوام فقُتل عنها ؛ فكان علي رضي الله عنه يقول: من أحب الشهادة الحاضرة فليتزوّج بعاتكة !

عثمان بن عفان

(ومن كلام عثمان بن عفان رضي الله عنه) ما يَزَع الله بالسلطان أكثر مما يزع بالقرآن [1] — سيجعل الله بعد عسر يسرا ، وبعد عِيٍّ بيانا ؛ وأنتم الى إمام فعّال ، أحوج منكم الى امام قوّال ، قاله في أول خلافته وقد صعد المنبر وأُرتِجَ عليه [2] وكتب الى علي رضي الله عنه وهو محصور : أما بعد فقد بلغ السيل الزُّبى وتجاوز الحزام الطُّبيين [3] وطمع فيَّ من لا يدفع عن نفسه ، ولم يعجزك كلئيم ، ولم يغلبك كمغلَّب [4] فأقبل الىّ ، معي كنت أو عليّ ، على أيّ أمريْك أحببت فان كنتُ مأكولاً فكن أنت آكلي * وإلاّ فأدركني ولما أمزَّق

وهذا البيت للمزق العبدي ، وبه سمي المزق واسمه شأس ، وانما تمثل به عثمان رضي الله عنه ، وحُذاق أهل النظر يدفعون هذا ويستشهدون على فساده بأحاديث تناقضه ليس هذا موضعها . قالوا وكان عثمان رضي الله عنه أتقى لله أن يسعى في أمره عليّ ، وعليّ أتقى لله أن يسعى في أمر دم عثمان ، وهذا من قوله عليه السلام : أشقى الناس من قتله نبي أو قتل نبيا * وقد ذكر بعض أهل العلم انه لا يُعرف لعثمان شعر وأنشد له بعضهم

---

(١) يزع : يزجر ويردع (٢) أرتج عليه باب الكلام (٣) الزبى : جمع زبية وهي الرابية لا يعلوها ماء ، وبلوغ السيل الزبى كناية عن اشتداد الأمر — الطبي : بالضم والكسر حلمات الضرع وبلوغ الحزام الطبيين كناية أيضاً عن الشدة (٤) مغلب : غلب كثيراً ، ولم يغلبك كمغلب : يستعمل في المدح والذم ، قال امرؤ القيس

فانك لم يفخر عليك كعاجز ضعيف ولم يغلبك مثل مغلب

غنى النفس يغنى النفس حتى يكفها * وان عضها حتى يضر بها الفقرُ
وما عُسرةٌ فاصبر لها إن تتابعت * بباقيةٍ الاَّ سيتبعها يُسرٌ

وقول عثمان رضى الله عنه فيما روى (ولم يغلبك كمغلّب) من قول امرىء القيس

فانك لم يعجز عليك كفاجرٍ * ضعيف ولم يغلبك مثل مغلَّبِ

وقال أبو تمام وذكر الخمر

وضعيفة فاذا أصابت فرصةً * قتلت كذلك قدرة الضعفاء

علي بن ابي طالب

ومن كلام علي بن أبي طالب قوله رضى الله عنه : لاتكن ممن يرجو الآخرة بغير عمل ، ويؤخر التوبة لطول الأمل ، ويقول فى الدنيا بقول الزاهدين ، ويعمل فيها بعمل الراغبين ، إن أعطى منها لم يشبع ، وان مُنع لم يقنع ، يعجز عن شكر ما أوتى ، ويبتغى الزيادة فيما بقى ، ينهى ولا ينتهى ، ويأمر بما لايأتى ، يحب الصالحين ولا يعمل أعمالهم ، ويبغض المسيئين وهو منهم ، يكره الموت لكثرة ذنوبه ، ويقيم على ما يكره الموت له ، إن سقم ظل نادما ، وان صح أمن لاهيا ، يعجب بنفسه اذا عوفى ، ويقنط اذا ابتلى ، تغلبه نفسه على ما يظن ، ولا يغلبها على ما يستيقن ، ولا يثق من الرزق بما ضمن له ، ولا يعمل من العمل بما فرض عليه ، ان استغنى بَطِر وفُتن ، وان افتقر قنَط وحزِن ، فهو من الذنب والنعمة موقِر ، يبتغى الزيادة ولا يشكر ، يتكلف من الناس ما لم يؤمر ، ويضيع من نفسه ما هو أكثر ، ويبالغ اذا سأل ، ويقصر اذا عمل ! يخشى الموت ، ولا يبادر الفوت ، يستكثر من معصية غيره ، ما يستقل أكثره من نفسه ، ويستكثر من طاعته ، مايستقله من غيره ، فهو على الناس طاعن ، ولنفسه مداهن ، اللغو مع الاغنياء ، أحب اليه من الذكر مع الفقراء ، يحكم على غيره لنفسه ، ولا يحكم عليها لغيره ، وهو يطاع ويعصى ، ويستوفى ولا يُوفى — وسئل رضى الله عنه عن مسألة فدخل مبادراً ، ثم خرج فى حذاء ورداء ، وهو يتبسم ، فقيل له : ياأمير المؤمنين ، انك

كنت اذا سئلت عن مسئلة كنت فيها كالسكة المحماة [١] فقال انى كنت حاقنا ولا رأى لحاقن [٢] (ثم أنشأ يقول)

إذا المشكلات تصدين لى * كشفت حقائقها بالنظر
وان برقت فى مخيل الصوا * ب عمياء لايجتليها الذكر [٣]
مقنعةً بأمور الغيوب * وضعت عليها صحيح الفكر
لساناً كشقشقة الارحبى * أو كالحسام اليمانى الذكر [٤]
وقلباً اذا استنطقته الفنون * أمرَّ عليها بواهى الدرر
ولست بإمّعة فى الرجال * أسائل عن ذاوذا ما الخبر [٥]
ولكننى ذرب الاصغرين * أبيّن مع مامضى ما غبر [٦]

وقال معاوية رضى الله عنه لضرار الصرائى يا ضرار، صِفْ لى عليا، فقال: أعفنى يا أمير المؤمنين، قال لتصفنّه، فقال، أما إذا ذنتَ فلابدّ من صفته * كان والله بعيد المدى، شديد القوى، يقول فصلا [٧]، ويحكم عدلا، يتفجرُ العلمُ من جوانبه، وتنطق الحكمة من نواحيه، يستوحشُ من الدنيا وزهرتها، ويستأنس بالليل وظلمته، كان والله غزير الدمعة، طويل الفكرة، يقلب كفه، ويخاطب نفسه يعجبه من اللباس ما قصُر، ومن الطعام ما خشُن، وكان فينا كأحدنا، يجيبُنا إذا سألناه، وينبئنا اذا استنبأناه، ونحن مع تقريبه إيانا، وقربه منا، لانكاد نكلمه لهيبته، ولانبتدئه لعظمته، يعظم أهل الدين، ويحب المساكين، لا يطمع القوىُ فى باطله، ولا ييأس الضعيف من عدله، وأشهد لقد رأيته فى بعض مواقفه وقد أرخى الليل سدُوله، وغارت نجومه، وقد مَثَل فى محرابه، قابضا على لحيته،

(١) السكة: الحديدة (٢) الحاقن: هو الذى احتبس بوله (٣) مخيل: مظنون، وهو هنا السحاب تخاله ماطرا لرعده وبرقه (٤) الارحبى: الجمل، وشقشقته: هديره (٥) الامعة: الرجل الذى لاخطر له (٦) ذرب الأصغرين: حديد القلب واللسان (٧) القول الفصل: هو الحق

يتململ تململ السليم(١) ويبكى بكاء الحزين ، ويقول : يادنيا اليك عنى! غرّى غيرى الىّ تعرّضتِ ، أم الىّ تشوّقت ، هيهات قد باينتك ثلاثا لارجعة لى عليك، فعمرك قصير ، وخطَرك حقير ، وخطبك يسير ، آه من قلة الزاد ، وبعد السفر ، ووحشة الطريق ! فبكى معاوية حتى أخضلت دموعه لحيته ، وقال : رحم الله أبا الحسن فلقد كان كذلك ، فكيف حزنك عليه ياضرار ؟ قال حزنُ من ذُبح واحدُها فى حِجرها ! وقال على رضوان الله عليه : رحم اللهُ عبداً سمع فوعَى ، ودعى الى الرشاد فدنا ، وأخذ بحُجْزة هادٍ فنجا (٢) ، وراقب ربه ، وخاف ذنبه ، وقدّم خالصا ، وعمل صالحا ، واكتسب مذخوراً ، واجتنب محذوراً ، ورمى غرضا ، وكابر هواه ، وكذّب مناه ، وحذِر أجلا ، ودأب عملا ، وجعل الصبرَ رغبةَ حياته والتقى عدّة وفاته ، يظهر دون ما يكتم ، ويكتفى بأقل مما يعلم ، لزم الطريقة الغرّاء والمحجة البيضاء ، واغتنم المهل ، وبادر الأجل ، وتزوّد من العمل * ولما رجع رضى الله عنه من صفين فدخل أوائل الكوفة إذا قَبْرٌ ، فقال قبر من هذا ؟ فقيل خباب ابن الأرت فوقف عليه وقال : رحم الله خبابا ! أسلم راغبا ، وهاجر طائعا ، وعاش مجاهداً ، وابتلى فى جسمه أحوالا ، ولن يضيع الله أجر من أحسن عملا . ومضى فاذا هو بقبور فوقف عليها وقال : السلام عليكم أهل الديار الموحشة ، والمحال المقفرة ، أنتم لنا سلف ، ونحن لكم تبع ، وبكم عما قليل لاحقون ، اللهم اغفر لنا ولهم ، وتجاوز عنا وعنهم بعفوك ! طوبى لمن ذكر المعاد ، وعمل للحساب ، وقنع بالكفاف ، ثم التفت رضى الله عنه الى أصحابه فقال : أما انهم لو تكلموا لقالوا : وجدنا خيرَ الزاد التقوى * وذم رجل الدنيا بحضرة على رضى الله عنه فقال : دار صدق لمن صدقها ، ودار نجاة لمن فهم عنها ، ودار غِنًى لمن تزود منها مهبط وحى الله ، ومُصلّى ملائكته ، ومسجد أنبيائه ، ومَتْجر أوليائه ، ربحوا

(١) السليم : الملدوغ ، سمى بذلك تفاؤلا (٢) الحجزة : الحضن ، واخذ بحجزة فلان : استظهر به واستعانه

فيها الرحمة ، وا كتسبوا فيها الجنة ، فمن ذايدمها ، وقد آذنت ببينها ، ونادت بفراقها ، وذكرت بسرورها السرور ، وببلائها البلاء ، ترغيبا وترهيبا ، فيا أيها الذامّ لها ، المعلل نفسه بغرورها ، متى خدعتك الدنيا ، أم بماذا استذمت اليك [1] أبمصرع آبائك فى البِلى ؟ أم بمضجَع أمهاتك فى الثرى ؟ كم مرّضت بكفيك ، وكم علات بيديك ، تطلب له الشفاء ، وتستوصف الأطباء ، غداة لا ينفعه بكاؤك ولا يغنى دواؤك (فقر من كلامه رضى الله عنه) رأى الشيخ خير من مَشْهد الغلام [2] الناس أعداء ما جهلوا — بقية عمر المؤمن لا ثمن لها ، يدرك بها ما أفات — نقل هذا الكلام بعض أهل العصر وهو أبو الفتح على بن محمد البستى

بقية العمر عندى مالها ثمن * وان غدا وهو محبوبٌ من الثمنِ
يستدرك المرء فيها ما أفات ويحـ * ـي ما أمات ويمحو السوء بالحسَنِ

— الدنيا بالأموال ، والآخرة بالأعمال ، لا تخافنّ الا ذنبك ، ولا ترجوَنّ إلا ربك — وجهوا آمالكم ، الى من تحبه قلوبكم — الناس من خوف الذل فى ذل — من أيقن بالخلف ، جاد بالعطية — بقية السيف أنمى عدداً وأنجب ولداً (وقد تبينت صحة ما قال فى بنيه وبنى المهلب) إنّ من السكوت ماهو أبلغ من الجواب — الصبر مطية لا تكبو ، وسيف لا ينبو [3] — خيرُ المال ما أغناك ، وخير منه ما كفاك ، وخيرُ اخوانك من واساك ، وخير منه من كفاك شره

وقال بعض أهل العصر ما يشاكل هذا وهو أبو الحسن محمد بن لنكك البصرى

عدّيا فى زماننا * عن حديث المكارمِ
من كفى الناسَ شرّهُ * فهو فى جُودِ حاتم

أبو الطيب

إنا لفى زمن ترك القبيح بهِ * من أكثر الناس احسانٌ وإجمالُ

(١) استذمت اليك : فعلت ما تذمها عليه (٢) مشهد الغلام : مايشهده ويراه رأى العين
(٣) الكبوة : السقطة ، والنبوة : عدم الاصابة . ويقولون : لكل جواد كبوة ، ولكل سيف نبوة

إذا قدرت على عدوك فاجعل العفو عنه شكرا للقدرة عليه ✱ قيمةُ كل امرئٍ ما يحسن ذكر أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ هذه الكلمة فى كتاب البيان فقال : فلو لم نقف من هذا الكتاب ، إلا على هذه الكلمة ، لوجدناها شافية ، كافية ، ومجزئة مغنية ، بل لوجدناها فاضلةً عن الكفاية ، غيرَ مقصرة عن الغاية ، وأفضل الكلام ما كان قليله يغنيك عن كثيره ، ومعناه ظاهراً فى لفظه ، وكأن الله قد ألبسه من ثياب الجلالة ، وغشاه من نور الحكمة ، على حَسَب نية صاحبه ، وتقوى قائله ، فاذا كان المعنى شريفا ، واللفظ بليغا ، وكان صحيح الطبع ، بعيداً من الاستكراه ، منزها عن الاختلال ، مصونا عن التكلف صنع فى القلوب صنيع الغيثِ فى التربة الكريمة ، ومتى فُصّلت الكلمة على هذه الشريطةِ ، ونفذت من قائلها على هذه الصفة ، كساها الله من التوفيق ، ومنحها من التأييد ، مالا يمتنع من تعظيمها به صدور الجبابرة ، ولا يذهل عن فهمها معه عقول الجهلة ✱ ومن دعائه رضى الله عنه فى حروبه : اللهم أنت أرضى للرضى ، وأسخط للسخط ، وأقدر على أن تغير ما كرهت ، وأعلم بما تقدر ، لا تغلب على باطل ، ولا تعجز عن حق ، وما أنت بغافل عما يعمل الظالمون . وقال على رضى الله عنه

لِمَنْ رايةٌ سوداء يخفق ظلها ✱ اذا قيل قَدِّمْها حُصينٌ تقدَّما
فيوردها فى الصف حتى تردها ✱ جِهاضُ المنايا تقطرُ الموتَ والدما
جزى الله قوما قاتلوا فى لقائهم ✱ لدى الروع قوماً ما أعزوا وأكرما
وأطيب أخباراً وأفضل شيمةً ✱ إذا كان أصوات الرجال تغمغما (١)

حصين الذى ذكر هو أبو ساسان الحصين بن المنذر بن الحارث بن وعلة الرقاشى وكان صاحب رايته يوم صفين . ويروى عنه أنه قال بعد وفاة فاطمة رضى الله عنها

أرى عالل الدنيا علىَّ كثيرةً ✱ وصاحبها حتى الممات عليلُ
لكل اجتماع من خليلين فرقةٌ ✱ وان الذى دُون الممات قليل
وإنَّ افتقادى فاطماً بعد احمدٍ ✱ دليل على أن لا يدوم خليلُ

(١) التغمغم : الصوت عند القتال

ولما قتل عبدود سقط فانكشفت عورته ، فتنحى عنه وقال

آلى ابنُ عبد حين شد أليّةً * وحلفت فاستمعوا من الكذّاب (١)
ألا يفرّ ولا يملّلَ فالتقى * أسدان يضطربان كل ضراب (٢)
اليوم يمنعنى الفرار حفيظتى * ومُصمِّمٌ فى الرأس ليس بناب (٣)
أعرضت حين رأيته متقطراً * كالجذع بين دكادكٍ وروابى (٤)
وعففت عن أثوابه ولو انني * كنت المقطّر بزّنى أثوابى (٥)
نصر الحجارة من سفاهة رأيهِ * ونصرت دين محمد بصواب (٦)
لاتحسبنّ الله خاذلَ دينهِ * ونبيه يامعشر الاحزاب

فى أبيات غير هذه ، وبعض الرواة ينفيها عن على رضى الله عنه

فى يوم الاحزاب

وعمرو هذا هو ابن عبدود بن نضر بن مالك بن حسل ابن عامر بن لؤى ، وكان قد جزع المزاد ، وهو موضع حفر فيه الخندق يوم الأحزاب ، وفى ذلك يقول الشاعر :

عمرو بن ودّ كان أول فارسٍ * جزع المزاد وكان فارس يلميلِ (٧)

ولما صار مع المسلمين فى الخندق دعا البراز وقال :

ولقد بححت من الندا * ءبجمعهم هل من مُبارِزْ (٨)
ووقفت إذ نكل الشجا * ع بموقف البطل المناجز (٩)
إنى كذلك لم أزل * متسرعا نحو الهزاهز (١٠)

(١) آلى : أقسم ، والأليّة : اليمين (٢) يملل : يتقلب ، والضراب : المطاردة (٣) الحفيظة : الحمية والغضب عند حفظ الحرمة — والمصمم : السيف لاينبو (٤) متقطر : صريع ، والدكادك : جمع دكداك وهو الرمل المتلبد بالارض (٥) بز : سلب (٦) نصر الحجارة كناية عن عبادة الأوثان (٧) جزع المزاد : اجتازه (٨) بح صوته : ضعف من كثرة النداء (٩) نكل نكص ، والمناجز : المبادر الى القتال (١٠) الهزاهز : الشدائد والحروب لأنها تهزهز الرجال

ان السماحة والشجا * عة فى الفتى خير الغرائز [1]

فبرز على بن أبى طالب رضى الله عنه فقال : ياعمرو ! انك عاهدت الله لقريش أن لايدعوك أحد الى خلتين الا أخذت إحداهما ، فقال أجل ! قال فانى أدعوك الى الله والى رسوله والى الاسلام ، قال لاحاجة لى بذلك ، قال فانى أدعوك الى المبارزة ، فقال ياابن أخى ما أحب أن أقتلك ! قال على لكنى والله أحب أن أقتلك ، فحمِىَ عمرو فاقتحم عن فرسه وعرقبه [2] ثم أقبل الى على

فتجاولا كغمامتين تكنّفت * متنيْهما ريحا صباً وشمال [3]

فى موقف كادت نفوس كُماتهِ * تبتز قبل تورّد الآجال [4]

وعلت بينهما غبرة سترتهما فلم يرع المسلمين الا التكبير ، فعلموا أن علياً قتله. ولما قُتِلَ عمرو جاءت أخته فقالت : من قتله ؟ فقيل على بن أبى طالب فقالت : كفء كريم ! ثم انصرفت وهى تقول :

لو كان قاتل عمرٍو غير قاتلهِ * لكنت أبكى عليه آخر الابدِ

لكنّ قاتله من لا يُعابُ بهِ * وكان يُدْعى قديماً بيضة البلدِ

من هاشم فى ذُراها وهى صاعدةٌ * إلى السماء تميت الناس بالحسد

قوم أبى الله إلا أن يكون لهم * مكارمُ الدين والدنيا بلا أمد

يا أم كلثوم ابكيهِ ولا تدعى * بكاءَ مُعْوِلةٍ حرّى على ولد

أم كلثوم بنت عمرو بن عبد ودّ. وبيضة البلد تمدح به العرب وتذم ، فمن مدح به جعله أصلا ، كما ان البيضة أصل الطائر ، ومن ذم به أراد أن لاأصل له . قال الراعى يهجو عدى بن الرقاع العاملى

يامن توعّدنى جهلا بكثرتهِ * متى تهددنى بالعز والعددِ

أنت امرؤ نال من عرضى وعزتهُ * كعزة العير يرعى تلعة الأسد [5]

(١) الغرائز : الطباع ، واحدها غريزة (٢) عرقبه : قطع عرقوبه (٣) تجاولا تصاولا (٤) الكماة : جمع كمى وهو الشجاع (٥) العير : الحمار ، وتلعة الاسد : الرابية التى يحميها ، وليس للحمار عزة فى تلعة الأسد ، وإنما هو مثال الهوان !

لو كنت من أحديهجى هجوتكمُ * يا ابن الرقاع ولكن لست من أحدِ
تأبى قضاعة أن ترضى لكم نسباً * وابنا نزار فانتم بيضة البلدِ

وقال أبو عبيدة عاملة بن عدى بن الحارث بن مرة بن أد بن زيد بن يشجب يطعن فى نسبه من قحطان ويقال هو عاملة بن معاوية بن قاسط بن أهيب فلذلك قال الراعى هـذا ويقال إن جندل بن الراعى قالها وقد قال يحيى بن أبى حفصة الاموى فى عاملة

ولسـنا نبالى نأى عاملة التى * أجدّ بها من نحو بُصرى انحدارها
تدافعها الأحياء حتى كأنها * ثياب بدا للمشـترين عوَارها
قذفنا بها لما نأت قذف حاذفٍ * بسود حصًى خفَّت عليه صغارها

ويشبه قول على رضى الله عنه (وعففت عن أثوابه) قول عنترة بن شداد العبسى

هلاَّ سألت الخيل يا ابنة مالكٍ * ان كنت جاهلةً بما لم تعلمى
يخبرك من شهد الوقيعة أننى * أغشى الوغى وأعف عند المغنم

وقال حبيب بن أوس الطائى

ان الاسودَ أسودَ الغاب همَّتُها * يوم الكريهة فى المسلوب لا السلَبِ[1]

كلام الصحابة والتابعين

قد علقت بذيل ما أوردته ، وألحقت بطرف ما جردته ، من كلام سـيد الأولين والآخرين ، ورسول رب العالمين ، صلى الله عليه وسلم وعلى آله الأخيار الطيبين ، قطعة من كلام الخلفاء الراشدين ، قدمتها أمام كل كلام ، لتقدمهم على الخلق ، وأخذهم بقصب السبق[2] ، وهم كما قال بعض المتكلمين ، يصف قوما من الزهاد الواعظين : جلوا بكلامهم الأبصار العليلة ، وشحذوا بمواعظهم الاذهان

(١) السلب : الغنيمة . ويجمع على أسلاب (٢) السبق : هو السباق ، وأخذ قصب السبق كناية عن الفوز

الكليلة ، ونبهوا القلوب من رقدتها ، ونقلوها عن سوء عادتها ، فشفوا من داء القسوة ، وغباوة الغفلة ، وداووا من العمى الفاضح ، ونهجوا لنا الطريق الواضح ، وآثرت أن ألحق بعد ذلك جملة من سليم كلام الصحابة والتابعين ، رضى الله عنهم أجمعين ، وأدرج فى درج كلامهم ، وأثناء نثرهم ونظمهم ، ما التف عليه ، والتفت اليه ، وتعلق بأغصانه ، أو تشبث بأفنانه ، كما تقدم ، وأخرج الى صفات البلاغات ، وآخذ بعد ذلك فى نظم عقود الآداب ، ورقم برود الالباب

من كل معنى يكاد الميت يفهمهُ * حُسناً ويعبده القرطاس والقلمُ

قال معاوية بن أبى سفيان رحمه الله : أفضل ما أعطى الرجل العقل والحلم فاذا ذُكِّر ذكر ؛ واذا أساء استغفر ، واذا وعد أنجز وصف معاوية الوليد بن عُتبة فقال : انه لبعيدُ الغور ، ساكنُ الفور ، (١) وان العود من لحائه (٢) والولد من آبائه ، والله انه لنبات أصل لايخلف ، ونجل فحل لايقرف (٣)

قوة معاوية

ومرض معاوية مرضاً شديداً فأرجف به مصقلة بن هبيرة وساعده قوم على ذلك ، ثم تماثل وهم فى إرجافهم (٤) فحمل زياد مصقلة إلى معاوية وكتب إليه: «إنه يجمع مُرّاقاً من مراق العراق (٥) فيرجفون بأمير المؤمنين ، وقد حملته إليه ليرى

(١) الغور : القعر من كل شىء ، و بعد الغور كناية عن أصالة الرأى وعمق التفكير — الفور : الغضب ، و يقال: فلان ثار ثائره ، وفار فائره ، اذا اشتد غضبه . و بنو فلان تفور علينا قدرهم ، قال الشاعر :

تفور علينا قدرهم فندمها ونفثؤها عنا اذا حميها غلا

وسكون الفور : كناية عن الحلم (٢) اللحاء : القشر ، ومنه قولهم (لحاء الله) أى قشره ، واذا قشر الانسان هلك ! (٣) لايقرف : من القراف بالكسر وهو داء يقتل البعير ، يريد أنه قوى متين لاتقربه الأدواء (٤) الاء رجاف : الخوض فى أخبار الفتن . ومنه (والمرجفون فى المدينة) — (٥) مراق : جمع مارق وهو الخارج على الجماعة

رأيه فيه » فقدم مصقلة وجلس لمعاوية للناس ؛ فلما دخل عليه قال : أدن منى ! فدنا منه فأخذه بيده فجذبه فسقط مصقلة ؛ فقال معاوية

أبقى الحوادث من خلي * لك مثل جندلة المراجم (١)
صلباً إذا خار الرجا * ل أبل ممتنع الشكائم (٢)
قد رامنى الاعداء قبـ * ـلك فامتنعت عن المظالم

قال مصقلة يا أمير المؤمنين : قد أبقى الله منك ماهو أعظم من ذلك حلماً وكلأ ومرعًى لأوليائك ، وسماً ناقعاً لأعدائك ، كانت الجاهلية فكان أبوك سيد المشركين ، وأصبح الناس مسلمين ، وأنت أمير المؤمنين ! وقام فوصله معاوية وأذن له فى الانصراف الى الكوفة . فقيل له كيف تركت معاوية ؟ فقال : زعمتم أنه لما به (٣) والله لقد غمزنى غمزة كاد يحطمنى ، وجذبنى جذبة كاد يكسر عضواً منى !

الاحنف بن قيس

ودخل الاحنف بن قيس على معاوية وافداً لأهل البصرة ودخل معه النمر ابن قطبة وعلى النمر عباءة قطوانية (٤) وعلى الأحنف مدرعة صوف وشملة ، فلما مثلا بين يدى معاوية اقتحمتهما عينه (٥) فقال النمر يا أمير المؤمنين ! إن العباءة لا تكلمك ، وإنما يكلمك من فيها ! فأومأ إليه فجلس ، ثم أقبل على الاحنف فقال : ثم مه ؟ فقال يا أمير المؤمنين ، أهل البصرة عدد يسير ، وعظم كبير ، مع تتابع من المحول ، واتصال من الدحول ، (٦) فالمكثر فيها قد أطرق ، والمقل

(١) الجندلة : الصخرة — والمراجم : المناضل (٢) خار : ضعف — والأبل : الألد الجدل — والشكائم : جمع شكيمة وهى الحديدة المعترضه فى فم الفرس ، وفلان شديد الشكيمة : أنف أبى لا ينقاد (٣) زعمتم أنه لما به : يريد زعمتم أنه ضعف لما به من السقم (٤) نسبه الى قطوان وهو موضع بالكوفة
(٥) اقتحمهما : احتقر (٦) الدحول : جمع دَحل وهو الثأر

قد أملق[1] ، وبلغ منه المحنق . فان رأى أمير المؤمنين أن ينعش الفقير ، ويجبر الكسير ، ويسهل العسير ، ويصفح عن الذحول ، ويداوى المحول ، ويأمر بالعطاء ، ليكشف البلاء ، ويزيل اللأواء[2] وإن السيد من يعم ولا يخص ومن يدعو الجفلى ، ولا يدعو النقرى[3] ، إن أحسن اليه شكر ، وأن أسيء إليه غفر ، ثم يكون وراء ذلك لرعيته عماداً يرفع عنها الملمات ، ويكشف عنها المعضلات . فقال له معاوية هاهنا يا أبا بحر : ثم تلا (ولتعرفنهم فى لحن القول) ومن جميل المحاورات مارواه المدائنى قال: وفد أهل العراق على معاوية رحمه الله ومعهم زياد وفيهم الأحنف فقال زياد يا أمير المؤمنين أشخصت إليك أقواماً الرغبة ، وأقعد عنك آخرين العذر ، فقد جعل الله تعالى فى سعة فضلك ، ما يجبر به المتخلف ، ويكافأ به الشاخص ، فقال معاوية مرحباً بكم يامعشر العرب ، أما والله لئن فرقت بينكم الدعوة ، لقد جمعتكم الرحم ، إن الله اختاركم من الناس ، ليختار نامنكم ، ثم حفظ عليكم نسبكم ، بأن تخير لكم بلاداً تجتاز عليها المنازل ، حتى صفاكم من الأمم كما تصفى الفضة البيضاء من خبثها[4] . فصونوا أخلاقكم ، ولا تدنسوا أنسابكم ، وأعراضكم ، فان الحسن منكم أحسن لقربكم منه ، والقبيح منكم أقبح لبعدكم عنه : فقال الأحنف: والله يا أمير المؤمنين ما نعدم منكم قائلا جزيلا ، ورأيا أصيلا ، ووعدا جميلا ، وان أخاك زيادا لمتبع آثارك فينا ، فنستمتع الله بالأمير والمأمور ، فانكم كما قال زهير ، فانه ألقى على المداحين فصول القول

ومايك من خير أتوه فانما * توارثه آباء آبائهم قبل
وهل ينبت[5] الخطى الا وشيجه * وتغرس الا فى منابتها النخل[6]

(١) أملق من الاملاق وهو الفقر (٢) اللأواء : الشدة (٣) يدعو الجفلى يدعو الجماعة ، والنقرى دعوة الفرد . قال طرفة

نحن فى اللأواء ندعو الجفلى لاترى الآدم منا ينتقر

(٤) الخطى : نسبة الى الخط وهو مرفأ السفن بالبحرين وتنسب اليه الرماح لأنها تباع به لا أنه منبتها — والوشيج : عروق القصب

شعر زهير

وهذان البيتان لزهير بن أبي سلمى المزني في قصيدة يقول فيها

وفيهم مقاماتٌ حِسانٌ وجُوهُها * وأنديةٌ ينتابها القول والفعل
على مكثريهم رزق من يعتريهمُ * وعند المقلين السماحةُ والبذلُ
سعى بعدهم قوم لكي يدركوهمُ * فلم يفعلوا أولم يَلُمُّوا ولم يألوا (١)

قال بعض أهل العلم بالمعاني : أعجب بقوله ولم يألوا ، لأنه لما ذكر السعي بعدهم ، والتخلف عن بلوغ مساعيهم ، جاز أن يتوهم السامع أن ذلك لتقصير الطالبين في طلبهم ، فأخبر أنهم لم يألوا وأنهم كانوا غير مقصرين ، وأنهم مع الاجتهاد في المتأخرين ، ثم لم يرض بأن يجعل مجدهم طارفا فيهم ، ولا جديدا لديهم ، حتى جعله إرثا عن الآباء ، يتوارثه سائر الابناء ، ثم لم يرض أن يكون في الآباء ، حتى جعله موروثا عن آبائهم ، وهذا لو تكلفه متكلف في المنثور ، دون الموزون ، لما كان له هذا الاقتدار ، مع هذا الاختصار . وكانت قريش معجبة بشعر زهير ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم إنا قد سمعنا كلام الخطباء والبلغاء وكلام ابن أبي سلمى فما سمعنا مثل كلامه من أحد ، فجعلوا ابن أبي سلمى نهاية في التجويد ، كما ترى ، وذكر أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : إن من من أشعر شعرائكم زهيرا ، كان لا يعاظل بين الكلام (٢) ولا يتبع حُوشِيَّه ، ولا يمدح الرجل الا بما يكون في الرجال . وأخذ معنى قول زهير « سعى بعدهم قوم لكي يدركوهم » طُرَيح بن اسماعيل الثقفي فقال لأبي العباس عبد الله بن محمد بن علي السفاح

قد طلب الناسُ ما بلغتَ ولَمْ * يألوا فما قاربُوا وقد جَهِدوا (٣)
فهم ملوكٌ مالم يَرَوك فان * لاح لهم منك بارقٌ خَمَدُوا

---

(١) لم يألوا : لم يقصروا (٢) يعاظل : يكرر ويردد (٣) جهدوا : تعبوا

تعروهُمُ رِعْدةٌ لديك كما * قُرقِفَ تحت الدَّجنَّةُ الصَّرِدُ (١)

لاخوف ظلم ولا قِلىَ خُلُقٍ * لكن جلالا كساكه الصمد (٢)

ما يُبقك الله للانام فما * يفقد من العالمين مفتقد (٣)

وقال معاوية رحمه الله : المروءة احتمال الجريرة (٤) واصلاح أمر العشيرة ، والنُّبل الحلم عند الغضب ، والعفو عند المقدرة (فِقَر من كلامه رضى الله عنه) مارأيت تبذيرا قط إلا والى جنبه حق مضيَّع — أنقص الناس عقلا من ظلم من هو دونه — أولى الناس بالعفو أقدرهم على العقوبة — التسلط على المماليك من لؤم المقدرة وسوء المملكة . وقال يحيى بن خالد : ماحَسُنَ أدَبُ رجل إلا ساء أدبُ غلمانه . وقال معاوية : إصلاح ما فى يدك أسلم من طلب مافى أيدى الناس — غضبى على من أملك ، وما غضبى على من لاأملك ؟

التهنئة والتعزية

ولما توفى معاويةُ رحمه الله واستُخلف يزيدُ ابنه ، اجتمع الناسُ على بابه ، ولم يَقْدِروا على الجمع بين تهنئة وتعزية ، حتى أتى عبد الله بن همام السلولىُ فدخل عليه فقال : ياأميرَ المؤمنين ، آجرك الله على الرزية ، وبارك لك فى العطية ، وأعانك على الرعية . فلقد رُزئت عظيما ، وأعطيت جسيما ، فاشكرِ الله على ما أعطيت ، واصبر له على ما رُزيت ، فقد فقدت خليفة الله ، ومُنحت خلافة الله ، ففارقت جليلا ووُهبت جزيلا ، إذ قضى معاوية نَحْبَه ، فغفر الله ذنبه ، ووُليت الرياسة ، فأعطيت السياسة ، فأوردك الله موارد السرور ، ووفقك لصالح الأمور ، وأنشده

(١) قرقف : على صيغة المفعول أرعد — والدجنة : الظلمة — والصرد : الذى يشكو قسوة البرد (٢) القلى : البغض (٣) مايبقك الله : إن يبقك (٤) الجريرة : الجناية ، واحتمال الجريرة كناية عن دفع الدية لئلا يؤخذ الجانى بجنايته

اصبرْ يزيدُ فقدْ فارقت ذا ثقةٍ * واشكرحباء الذى بالملك أصفاكا[1]
لارُزءَ أصبح فى الأقوام نعلمهُ * كما رُزئت ولا عقبى كعقباكا
أصبحت والىَ أمرِ الناسِ كلهم * فأنت ترعاهمُ واللهُ يرعاكا
وفى معاويةَ الباقى لنا خلفٌ * اذا نُعيت ولا نسمعْ بمنعاكا

يريد أبا ليلى معاويةَ بن يزيد ، وولى بعد أبيه شهوراً ثم انخلعَ عن الأمر ، فقال القائل « والملكُ بعد أبى ليلى لمنْ غلبا » وأول من فتح البابَ فى الجمع بين تهنئة وتعزية عبد الله بنُ همام فولجهُ الناس ، ومن جيد ما قيل فى ذلك قصيدة أبى تمام الطائى يمدح الواثق ويرثى المعتصم يقول فيها

ان أصبحتْ هضبات قدس أزالها * قدرٌ فما زالت هضاب شمامِ[2]
أو يفتقد ذو النون فى الهيجا فقد * دفع الالَه لنا عن الصَّمصام
أو كنت منا غاربا غدوا فقد * رحنا باسمى غارب وسنام[3]
تلك الرزية لارزيةَ مثلها * والقَسْم ليس كسائر الاقسام[4]

وهذا المعنى كثير ، وكان معاوية رحمه الله قد ترك قول الشعر فى آخر عمره ، فنظر يوماً إلى جاريةٍ فى داره ذات خَلْق رائع ، فدعاها فوجدها بِكراً فاقترعها ، وأنشأ يقول :

سنمت غوايتى فأرحت حلمى * وفىَّ على تحملىَ اعتراضُ
على أنى أجيب إذا دعتنى * ذوات الدل والحدق المِراضُ

كلمات مأثورة

فقر لجماعة الصحابة والتابعين رضى الله عنهم (ابن عباس) الرخصة من الله صدقة ، فلا تردوا صدقته[5] لكل داخل هيبة فابدأوا بالتحية ، ولكل طاعم حشمة

(١) الحباء : العطاء (٢) شمام : اسم جبل لباهلة (٣) الغارب : الكاهل
(٤) القسم : النصيب (٥) الرخصة : تسهيل الله للعبد فيما يخففه عليه

فابدأوا باليمين (ابن مسعود) رحمه الله : الدنيا كلها هموم فما كان منها فى سرور فهو ربح (عمرو بن العاص) من كثر إخوانه كثر غرماؤه . وقال : أكرموا سفهاءكم فانهم يكفونكم العار والنار (المغيرة بن شعبة) العيش فى بقاء الحشمة وفى كل شىء سرف إلا فى المعروف . هذا كقول الحسن بن سهل وقد أنفق فى دخول ابنته بوران على المأمون أموالا عظيمة ، فقيل له لاخير فى السرف ، قال : لاسرف فى الخير ، فرد اللفظ واستوفى المعنى (معاذ بن جبل) الدين هدم الدين (زياد) ارض من أخيك إذا ولى ولاية بعشر ودد قبلها (مصعب بن الزبير) التواضع من مصائد الشرف (الأحنف بن قيس) من لم يصبر على كلمة سمع كلمات ؛ وقيل له: من السيد ؟ قال : الذى اذا أقبل هابوه ، وإذا أدبر عابوه (وله) سرك من ذمك (وله) من تسرع إلى الناس بما يكرهون قالوا فيه مالا يعلمون (وله): الكامل من عدت هفواته ، وقال يزيد بن محمد المهلبى

ومن ذا الذى ترضى سجاياه كلها ... كفى المرء نبلاً أن تعد معايبه

(الحسن البصرى) ألا تستحيون من طول مالا تستحيون ! ابن آدم راحل إلى الآخرة كل يوم مرحلة — ما أنصفك من كلفك إجلاله ، ومنعك ماله — بدن لايشتكى مثل مالا يزكى — ان امرأ ليس بينه وبين آدم أب حى لمعرق فى الموتى (قال الطائى)

تأمل رويداً هل تعدن سالماً * إلى آدم أم هل تعد ابن سالم

وقال أبو نواس

وما الناس إلا هالك وابن هالك * وذو نسب فى الهالكين عريق

اذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت * له عن عدو فى ثياب صديق

(وكان المأمون) يقول : لو قيل للدنيا صفى نفسك ما عدت هذا البيت وهو مأخوذ من قول مزاحم العقيلى

قضين الهوى ثم ارتمين قلوبنا * بأسهم أعداء وهن صديق

عمر بن عبد العزيز رحمه الله : ما الجزع مما لابد منه ، وما الطمع فيما لايرجى ؟ لاتكن ممن يلمن ابليس فى العلانية ويواليه فى السر (الشعبى) إنى لأستحيى من الحق إذا عرفته أن لا أرجع اليه (قطعة من كلام لبنى على بن أبى طالب أهل البيت رضى الله عنهم) وهم كلام يعرض فى حلى البيان ، وينقش فى فص الزمان ، ويحفظ على وجه الدهر ، ويفضح قلائد الدر ، ويخجل نور الشمس والبدر ، ولم لا يطؤون ذيول البلاغة ، ويجرون فضول البراعة ، وأبوهم الرسول ، وأمهم البتول [1] وكلهم قد غذى بدر الحكم [2] وربى فى حجر العلم

ما منهم إلا مردّى بالحجى * أو مبشر بالأحوذية مؤدم [3]

آخر

نمته العرانين من هاشم * الى النسب الأصرح الاوضح [4]

الى نبعة فرعها فى السماء * ومغرسها فى ذرى الأبطح [5]

وهم كما قال مسلم بن بلال العبدى وقد قيل له: خطب جعفر بن سليمان خطبة لم ير أحسن منها ، فلا يدرى أوجهه أحسن أم خطبته ، فقال : أولئك قوم بنور الخلافة يشرقون ، وبلسان النبوّة ينطقون ، وفيهم يقول القائل

لو كان يوجد عرف مجد قبلهم * لوجدته منهم على أميال

إن جئتهم أبصرتَ بين بيوتهم * كرماً يقيك مواقف التسآل

نور النبوّة والمكارم فيهم * متوقد فى الشّيب والأطفال

---

(١) البتول : لقب لمريم عليها السلام لانها انقطعت عن الزواج وظلت عذراء ، ثم قيل لفاطمة البتول تشبيها بها فى المنزلة عند الله (٢) الحكم : بضم الحاء هو الحكمة ، ومنه (وآتيناه الحكم صبيا) (٣) الأحوذية : الحذق والخفة — وهو مبشر بالاحوذية ومؤدم : يعنى أن بشرته وأدمه أى جلده حشى بالمهارة والنشاط

(٤) العرانين : الاوائل (٥) الابطح : مسيل واسع فيه دقاق الحصى

وسئل سعيد بن المسيب: من أبلغ الناس؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال السائل: إنما أعنى من دونه، فقال: معاوية وابنه، وسعيد وابنه، وان ابن الزبير لحسَن الكلام، ولكن ليس على كلامه مُلَح. فقال له رجل: فأين أنت من على وابنه، وعباس وابنه؟ فقال انما عَنَيت من تقاربت أشكالهم، وتدانت أحوالهم، وكانوا كسهام الجعبة [1] وبنو هاشم أعلام الانام، وحكام الاسلام

وصف قريش

(فصل لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ فى ذكر قريش وبنى هاشم)

قد علم الناس كيف كرم قريش وسخاؤها، وكيف عقولها ودهاؤها؛ وكيف رأيها وذكاؤها، وكيف سياستها وتدبيرها، وكيف إيجازها وتحسيرها [2] وكيف رجاحة أحلامها إذا خفّ الحليم، وحِدَّة أذهانها اذا كَلّ الحديد [3] وكيف صبرها عند اللقاء، وثباتها فى اللأواء، وكيف وفاؤها اذا استُحسن الغدر، وكيف جودها اذا حُبّ المال، وكيف ذكرها لأحاديث غد، وقلة صدودها عن جهة القصد [4] وكيف إقرارها بالحق، وصبرها عليه، وكيف وصفها له، ودعاؤها اليه، وكيف سماحة أخلاقها، وصونها لأعراقها، وكيف وصلوا قديمهم بحديثهم، وطريفهم بتليدهم، وكيف أشبه علانيتهم سرهم، وقولهم فعلهم، وهل سلامة صدر أحدهم، الا على قدر بعد غوره؟ وهل غفلته الا فى وزن صدق ظنه؛ وهل ظنه الا كيقين غيره؟؟ (وقال عمر) انك لا تنتفع بعقله حتى تنتفع بظنه. قال أوس بن حَجَر

الألمعىُّ الذى يظنّ بك الظنّ كأنْ قد رأى وقد سمعا

(١) الجعبة: الكنانة توضع فيها السهام والنشاب (٢) التحسير: الايذاء، والمراد وصف قريش بأنها تكبت الاعداء (٣) الحديد: القوى الذهن (٤) القصد: الاعتدال

وقال آخر

مليحٌ نجيحٌ أخو مازنٍ * فصيح يحدث بالغائبِ

وقال بلعاء بن قيس

وأبغى صواب الرأى أعلم أنهُ * إذا طاش ظن المرء طاشت مقادِرُهْ

بل قد علم الناس كيف جمالها وقوامها ، وكيف نماؤها وبهاؤها ، وكيف سَرْوُها ونجابتها (١) وكيف بيانها وجهارتها (٢) وكيف تفكيرها وبداهتها ، فالعرب كالبدن وقريش روحها ، وقريش روح وبنو هاشم سِرُّها ولُبُّها ، وموضع غاية الدين والدنيا منها ، وهاشم ملح الأرض وزينة الدنيا ، وحى العالم ، والسنام الأضخم ، والكاهل الأعظم ، ولباب كل جوهر كريم ، وسر كل عنصر شريف والطينة البيضاء ، والمغرس المبارك ، والنصاب الوثيق ، ومعدن الفهم ، وينبوع العلم ، ونهلان ذو الهضاب فى الحلم (٣) والسيف الحُسام فى العزم (٤) مع الأناة والحزم ، والصفح بعد المقدرة ، وهم الأنف المقدم ، والسنام الأكرم ، وكالماء الذى لا ينجسه شئ ، وكالشمس التى لا تخفى بكل مكان ، وكالذهب لا يعرف بالنقصان ، وكالنجم للحيران ، والبارد للظمآن ، ومنهم الثقلان ، والأطيبان ، والسبطان ، وأسد الله ، وذو الجناحين ، وذو قرنيها ، وسيد الوادى ، وساقى الحجيج ، وحليم البطحاء ، والبحر والحبر ، والأنصار أنصارهم ، والمهاجر من هاجر اليهم أو معهم ، والصِّدِّيق من صدقهم ، والفاروق من فرق بين الحق والباطل فيهم ، والحوارى حواريهم ، وذو الشهادتين لأنه شهد لهم ، ولا خير إلا لهم أو فيهم أو معهم ، أو يضاف اليهم ، وكيف لا يكون كذلك ومنهم رسول رب العالمين ، وإمام الأولين والآخرين ، ونجيب المرسلين ، وخاتم النبيين ، الذى لم يتم لنبى نبوة إلا بعد التصديق به ، والبشارة بمجيئه ، الذى عم برسالته ما بين الخافقين ،

(١) السرو : الشرف (٢) الجهارة : قوة الصوت (٣) نهلان : اسم جبل
(٤) الحسام : القاطع

وأظهره الله على الدين كله ولو كره المشركون (قال الحسن بن على) عليهما السلام لحبيب بن مسلمة الفهرى : رب مسير لك فى غير طاعة الله ! قال : أما مسيرى الى أبيك فليس من ذلك ! قال : بلى ! لقد قعد بك فى دينك ، فلو أنك إذ فعلت شراً قلت خيراً كنت كمن قال الله عز وجل (خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا) ولكنك كما قال (كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون) وكان الحسن عليه السلام جواداً كريما لا يرد سائلاً ولا يقطع نائلا ، وأعطى شاعراً مالا كثيراً فقيل له : أتعطى شاعراً يعصى الرحمن ، ويقول البهتان ؟ فقال: إن خير ما بذلت من مالك ، ما وقيت به عرضك ، وان من ابتغاء الخير ، اتقاء الشر . وقد روى مثل ذلك عن الحسين رضى الله عنه وقيل : إن شاعراً مدحه فأجزل ثوابه فلم على ذلك ، فقال أترانى خفت أن يقول لست ابن فاطمة الزهراء بنت رسول الله ولا ابن على بن أبى طالب ، ولكنى خفت أن يقول لست كرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا كعلى رضى الله عنه فيصدَّق ويُحمل عنه ، ويبقى مخلداً فى الكتب ، محفوظاً على ألسنة الرواة ، فقال الشاعر : أنت والله يا ابن رسول الله أعرف بالمدح والذم منى

رثاء الحسن بن على

ولما تُوفى الحسن أدخله قبره الحسين ومحمد بن الحنفية وعبد الله بن عباس رضى الله عنهم ، ثم وقف محمد على قبره وقد اغرورقت عيناه وقال : رحمك الله أبا محمد ! فلئن عزت حياتك ، فلقد هدّت وفاتك ، ولنعم الروح روح تضمنه بدنك ، ولنعم الجسد جسد تضمنه كفنك ، ولنعم الكفن كفن تضمنه لحدك ، وكيف لا تكون كذلك ، وأنت سليل الهدى ، وخامس أصحاب الكسا ، وخَلَف أهل التقى ، جدك النبى المصطفى ، وأبوك على المرتضى ، وأمك فاطمة الزهراء ، وعمك جعفر الطيار فى جنة المأوى ، وغذتك أكف الحق ، وربيت فى حِجْر الاسلام ، ورضعت ثدى الايمان ، فطبت حيا وميتا ، فلئن كانت الأنفس غير طيبة لفراقك ، إنها غير شاكة أن قد خُيِّرت لك ، وإنك وأخاك لسيدا شباب

أهل الجنة فعليك يا أبا محمد منا السلام ، وقام رجل من ولد أبي سفيان بن الحارث ابن عبد المطلب على قبره فقال : إن أقدامكم قد نقلت ، وإن أعناقكم قد حملت الى هذا القبر ولياً من أولياء الله يبشر نبي الله بمقدمه ، وتفتح أبواب السماء لروحه ، وتبتهج الحور العين بلقائه ، ويأنس به سادة أهل الجنة من أمته ، ويوحش أهل الحجا والدين فقده ، رحمة الله عليه ، وعنده تحتسب المصيبة به

المصيبة بأبناء النبوة

(ألفاظ لأهل العصر فى ذكر المصيبة بأبناء النبوة) قد نُعِيَ سليل من سلالة النبوة ، وفرع من شجرة الرسالة ، وعضو من أعضاء الرسول ، وجزء من أجزاء الوصيّ والبتول ، كتبت وليتنى ما كتبت ، وأنا ناعى الفضل من أقطاره وداعى المجد الى شق ثوبه وصِداره ، ومخبر أن شمس الكرم واجبة [1] والمآثر مودّعة ، وبقايا النبوّة مرتفعة ، وآمال الامامة منقطعة ، والدين منخذل واجم ، وللتقوى دَمْعَان هامٍ وساجم . كتابى وقد شلت يمين الدهر ، وفقئت عين المجد ، وقصر باع الفضل ، وكسفت شمس المساعى ، وخسف قمر المعالى ، وتجدد فى بيت الرسالة رزء جدد المصائب ، واستعاد النوائب ، كل هذا افتقد من حط الكرم بربعه ، ثم أدرج فى برده ، وامتزج المجد به ، فدفن بدفنه ، إنها لمصيبة عمت ببيت الرسالة ، وغضت طرف الامامة ، وتحيفت جانب الوحى المنزل وذكرت بموت النبى المرسل . كتبت والدهر ينعى مهجته ، والمجد يندب بهجته ، ومهابط الوحى والرسالة تحنى ظهورها أسفا ، وما آق الامامة والوصية والرسالة تذرى دموعها لهفا ، وذلك أن حادث قضاء الله استأثر بفرع النبوة ، وعنصر الدين والمروءة

(١) وجبت الشمس : غابت

بين أخوين

ووقع بين الحسن ومحمد بن الحنفية لجاء ، ومشى الناس بينهما بالتمائم ، فكتب اليه محمد بن الحنفية : أما بعد فان أبي وأبك على بن أبي طالب ، لا تفضلني فيه ولا أفضلك ، وأمي امرأة من بني حنيفة ، وأمك فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلو مُلئت الأرض بمثل أمي لكانت أمك خيراً منها فاذا قرأت كتابي هذا فاقدم حتى تترضاني ، فانك أحق بالفضل مني

وخطب الحسين بن على رضوان الله عليهما غداة اليوم الذى استُشهد فيه فحمد الله تعالى وأثنى عليه ثم قال : ياعباد الله اتقوا الله ، وكونوا من الدنيا على حذر ، فان الدنيا لو بقيت على أحد ، لكانت الانبياء أحق بالبقاء ، وأولى بالرضاء بالقضاء ، غير أن الله تعالى خلق الدنيا للفناء ، فجديدها بال ، ونعيمها مضمحل ، وسرورها مكفهر (١) ، والمنزل تلعة ، والدار قلعة ، (٢) فتزودوا فان خير الزاد التقوى ، واتقوا الله لعلكم تفلحون

معاوية والحسين

وكان لمعاوية بن أبي سفيان عين بالمدينة يكتب اليه بما يكون من أمور الناس وقريش فكتب اليه : إن الحسين بن على أعتق جارية له وتزوجها ، فكتب معاوية الى الحسين : من أمير المؤمنين معاوية الى الحسين بن على . أما بعد فانه بلغني أنك تزوجت جاريتك ، وتركت أكفاءك من قريش ، ممن تستحسنه للولد ، وتمجد به في الصهر ، فلا لنفسك نظرت ، ولا لولدك انتقيت ! فكتب اليه الحسين ابن على : أما بعد فقد بلغني كتابك وتعييرك إياى بأني تزوجت مولاتي وتركت أكفائي من قريش ، فليس فوق رسول الله منتهى فى شرف ، ولا غاية فى نسب وانما كانت ملك يميني خرجت عن يدى بأمر التمست فيه ثواب الله تعالى ، ثم

(١) مكفهر : مغبر (٢) التلعة ماارتفع من الارض ، والقلعة : الحصن

ارتجعتها على سنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، وقد رفع الله بالاسلام الخسيسة ، ووضع عنا بهم النقيصة ، فلا لوم على امرئ مسلم إلا فى أمرٍ مأثم ، وانما اللوم لوم الجاهلية: فلما قرأ معاوية كتابه نبذه إلى يزيد فقرأه وقال : لشدَّ ما فخر عليك الحسين ! قال لا ولكنها ألسنة بنى هاشم الحداد التى تفلق الصخر ، وتغرف من البحر !

والحسين رضى الله عنه هو القائل

لعمرك إننى لأحب داراً * تحلّ بها سُكينة والرَّبابُ

أحبهما وأبذل كلَّ مالى * وليس للائمٍ عندى عتابُ

سُكينة ابنته والرباب أمها وهى بنت امرئ القيس بن الجرول الكلبية

ابن أبي ربيعة وسكينة

وفى سُكينة يقول عمر بن عبدالله بن أبى ربيعة المخزومى كذبا عليها [1]

قالت سكينة والدموع ذوارفٌ * تجرى على الخدين والجلبابِ

ليت المغيرىَّ الذى لم أجزهِ * فيما أطال تصيُّدِى وطلابى

كانت تردّ لنا المنى أيامنا * إذ لا نُلام على هوًى وتصاب

خُبِّرْت ماقالت فبتُّ كأنما * يُرْمى الحشى بنوافذ النشاب

أسُكين ما ماء الفرات وطيبهُ * منى على ظمأٍ وفقد شرابِ

بألذّ منكِ وإن نأيتِ وقلما * ترعى النساء أمانه الغيَّابِ

إن تبذلى لى نائلاً أشفى بهِ * داءَ الفؤاد فقد أطلتِ عذابى

وعصيت فيك أقاربى وتقطعت * بينى وبينهمُ عُرَى الأسبابِ

فتركتنى لا بالوصال مُتَّعاً * منهم ولا أسعفتنى بثوابِ

فقعدت كالمُهريق فضلة مائهِ * فى حرِّ هاجرةٍ للمع سرابِ

وكانت سكينة من أجمل نساء زمانها وأعقلهنّ ، وكان مصعب بن الزبير

(١) انظر كتاب «حب ابن أبى ربيعة وشعره» لترى عبث هذا الشاعر بالنساء

قد جمع بينها وبين عائشة بنت طلحة بنت عبد الله فلما قتل مصعب قالت سكينة

فان تقتلوهُ تقتلوا الماجد الذى * يرى الموت إلا بالسيوف حراما
وقبلك ما خاض الحسين منيةً * إلى القوم حتى أوردوه حِماما

فضل البيان

وقال على بن الحسين رحمه الله : لو كان الناس يعرفون جملة الحال فى فضل الاستبانة ، وجملة الحال فى فضل التبيين ، لأعربوا عن كل ما يتلجلج فى صدورهم ولو جدوا من بَرد اليقين ما يغنيهم عن المنازعة الى كل حال سوى حالهم على أن إدراك ذلك كان لا يعدمهم فى الأيام القليلة العِدة ، والفكرة القصيرة المدة ، ولكنهم من بين مغمور بالجهل ، ومفتون بالعُجْب ، ومعدول بالهوى عن باب التثبت ، ومصروف بسوء العادة عن فضل التعلم ، وقال رضى الله عنه : المِراء يفسد الصداقة القديمة ، ويحُل العقدة الوثيقة ، وأقل مافيه أن تكون به المغالبة ، والمغالبة من أمتن أسباب القطيعة . ومن دعائه : اللهم ارزقنى خوف الوعيد ، وسرور رجاء الموعود ، حتى لا أرجو إلا ما رجّيت ، ولا أخاف ما خوّفت

الفرزدق وعلى بن الحسين

وحج هشام بن عبد الملك ، أو الوليد أخوه ، فطاف بالبيت وأراد استلام الحجر فلم يقدر ، فنُصب له منبر فجلس عليه ، فبينا هو كذلك إذ أقبل على ابن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنه فى إزار ورداء ، وكان أحسن الناس وجها ، وأعطرهم رائحة ، وأكثرهم خشوعا ، وبين عينيه سجادة كأنها رُكبة عنز [1] وطاف بالبيت وأتى ليستلم الحجر فتنحى له الناس هيبةً وإجلالا ، فغاظ ذلك هشاما ، فقال رجل من أهل الشام : من الذى أكرمه الناس هذا

(١) المراد بالسجادة أثر السجود

الإكرام ، وأعظموه هذا الإعظام ؟ فقال هشام : لا أعرفه ، لئلا يعظم فى صدور أهل الشام ، فقال الفرزدق وكان حاضراً

هـذا ابن خير عباد الله كلهم * هـذا التقىُّ النقىُّ الطاهر العَلَمُ
هذا الذى تعرف البطحاء وطأتهُ * والبيت يعرفه والحِلُّ والحرَمُ
إذا رأته قريشٌ قال قائلها * إلى مكارم هذا ينتهى الكرَمُ
يكاد يُمسكه عرفانَ راحتهِ * رُكنُ الحطيم اذا ما جاء يستلمُ (١)
فى كفهِ خيزران ريحهُ عَبِقٌ * فى كف أروَعَ فى عرنينه شَمَمُ (٢)
يُغضى حياءً ويُغضَى من مهابتهِ * فما يُكلَّم إلا حين يبتسم
مُشتقةٌ من رسول الله نبعتهُ * طابت عناصرُه والخِيمُ والشِّيمُ (٣)
يُنمَى الى ذِرْوة العز التى قصُرت * عن نيلها عَرَبُ الاسلام والعجَمُ (٤)
ينجابُ نور الهدى عن نور غُرَّتهِ * كالشمس ينجاب عن إشراقها القَتَمُ (٥)
حمَّال أثقال أقوام اذا افترحوا * حلو الشمائل تحلو عنده نَعَمُ
هذا ابن فاطمة إن كنت جاهلَهُ * بجدّه أنبياء الله قد خُتموا
الله فضَّلهُ قِدْما وشرَّفهُ * جرى بذاك له فى لوحه القَلَمُ
مَنْ جدُّهُ دان فضل الأنبياء لهُ * وفضل أمته دانت له الأممُ
عم البرية بالاحسان فانقشعتْ * عنها الغيابة والاملاقُ والظلَمُ (٦)
كِلتا يديه غياثٌ عمَّ نفعهُما * تستوكفان ولا يعروهما العُدُمُ (٧)
سهل الخليقة لا تُخشى بوادرُهُ * تزينه الاثنتان الحلم والكرم
لا يخلف الوعد ميمون بغرَّتهِ * رحب الفناء أريبٌ حين يعتزم (٨)

(١) يريد أن ركن الحطيم يكاد يمسكه لعرفان راحته و يقينه بأنها من سلالة الرسول (٢) أروع : ذكى الروع ، بضم الراء ، وهو الفؤاد . والعرنين الأنف ، والشمم الارتفاع (٣) الخيم : الأصل (٤) ينمى : ينسب (٥) القتم والقتام الغبار (٦) الغيابة : غيبة الرشد ، والاملاق الفقر (٧) تستوكفان : تجريان والعدم بضم العين الفقر (٨) الأريب : وافر العقل

ما قال لا قطّ الا فى تشهده * لولا التشهد كانت لاءه نَعَمُ
من معشر حبهم دِينٌ وبغضهمُ * كُفْرٌ وقربهم منجًى ومعتصَمُ
يُستَدْفَعُ السوء والبلوى بحبهمُ * ويسترَبُّ به الاحسان والنِّعَمُ (١)
مقدَّمٌ بعد ذكر الله ذكرهمُ * فى كل بدء ومختومٌ به الكلِمُ
إن عُدَّ أهل التقى كانوا أئمتَهُمْ * أوقيل مَنْ خير أهل الارض قيل هُمُ
لا يستطيع جوادٌ بعد غايتهم * ولا يدانيهم قومٌ وان كرُموا
هم الغيوث اذا ما أزمةٌ أزَمَتْ * والأُسْدُ أسد الشرى والبأس محْتَدِمُ (٢)
يأبى لهم أن يحلّ الذمُّ ساحتَهم * خِيمٌ كريمٌ وأيدٍ بالندى هَضُمُ (٣)
لا ينقص العسر بسطا من أكفهمُ * سيان ذلك إن أثروا وإن عدموا
أى الخلائق ليست فى رقابهمُ * لأولية هذا أوله نِعَمُ (٤)
من يعرف الله يعرف أوليته * فالدين من بيت هذا ناله الأمم
وليس قولك من هذا بضائرهِ * العُرْبُ تعرف من أنكرت والعجَمُ

وقد روى أن الحزين الكنانى وفد على عبد الله بن عبد الملك بن مروان وهو أمير على مصر فأنشده قصيدة منها

لمّا وقفتُ عليه فى الجموع ضُحًى * وقد تعرضت الحجّابُ والخدمُ
حيّيته بسلام وهو مرتفقٌ * وضجة القوم عند الباب تزدحمُ (٥)

فى كفه خيزران والبيت الذى يليه. ويقال انها لداود بن سلم فى قثم بن العباس ابن عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب وهو الذى يقول فيه الأخطل

ولقد غدوت على التجّار بمسجِح * هَرِتٍ عواذلهُ هرير الأكلُبِ (٦)
لَدْنٍ تقبّله النعيم كأنما * مُسِحَتْ ترائبُهُ بماء مُذْهَبِ (٧)

(١) يسترب : يصلح (٢) الشرى : جانب الفرات (٣) هضم : جمع هضيم وهو كثير الانفاق (٤) المراد بالأولية الآباء والأجداد (٥) مرتفق: متكئ على مرفقه (٦) هرت : صاحت (٧) الترائب : موضع القلادة من الصدر والمذهب الممزوج بالذهب

لبّاس أردية الملوك تروقُهُ * من كل مُرتقَب عُيون الرَّبرَب (١)
ينظرن من خَلَلِ السُّتُور إذا بدا * نظر الهجان الى الفتيق المُصعَب (٢)

ويقال بل قالها فى على بن الحسين اللعين الشَّنَفَرى ، وسمى اللعين لأن عمر سمعه ينشد شعراً والناس يصلون ، فقال من هذا اللعين ؟ فعلق به هذا الاسم ، وليقله من شاء ، فقد أحسن ماشاء وأجاد وزاد (٣)

هيبة اللقاء

وقال ذو الرمة فى بلال بن أبى بردة بن أبى موسى الاشعرى

مِنَ آل أبى موسى ترى الناس حَوْلَهُ * كأنهم الكِروان عينَّ بازِيا (٤)
فما يعرفون الضّحك الا تبسّما * ولا ينبسون القول الا تناجيا (٥)
وما الفحش منه يرهبون ولا الخنا * عليه ولكنْ هَيْبَةٌ هِىَ ماهيا
فَفى السِّنِّ كَهْلُ الحِلْمِ يُسْمَعُ قولُهُ * يُوازِن أدناهُ الجبال الرواسيا

ومن أجود ماللمحدثين فى ذلك قول أبى عبادة البحترى فى الفتح بن خاقان

ولما حضرنا سُدَّةَ الإذن أُخِّرَتْ * رجالٌ عن الباب الذى أنا داخلُهْ
فأفضيتُ من قُربٍ الى ذى مهابةٍ * أقابِلُ بدر التّم حين أقابلُهْ
بَدَا لىَ محمودَ السجيةِ شُمِّرَت * سَرابيلُهُ عنه وطالت حَمائلُهْ (٦)
كما انتصب الرُّمْحُ الرُّدَينىُّ ثُقِّفَتْ * أنابيبُهُ واهتزَّ للطعن عامِلُهْ (٧)
وكالبدر وافتهُ لتمِّ سُعودِهِ * وتمَّ سناه واستهلت منازِلُهْ

(١) الربرب : الظباء والمرادبها النساء (٢) المصعب : الجمل الذى لم يركب ، والفتيق السمين ، والهجان الابل البيض (٣) يريد أن الشعر جيد بغض النظر عمن ينسب اليه من الشعراء (٤) الكروان بكسر الكاف جمع الكروان بفتحها مع سكون الراء وهو طائر مغرد، تجد ماقاله عنه الشعراء فى كتاب « مدامع العشاق » والبازى الصقر (٥) ينبسون : ينطقون (٦) السرابيل : الثياب، والحمائل جمع حمالة بالكسر وهى علاقة السيف (٧) عامل الرمح : صدره

فسلمت فاعتاقت جنانى هيبة * تنازعنى القول الذى أنا قائله
إلى مسرف فى الجود لو أن حاتماً * لديه لأضحى حاتم وهو عاذله
فلما تأملت الطلاقة واثنى * الىّ ببشر آنستنى مخايله
دنوت فقبلت الندى من يد امرئ * جميل محياه سباط أنامله
صفت مثل ما تصفو المدام خلاله * ورقت كما رق النسيم شمائله

ووقعت حرب بالجزيرة بين بنى تغلب فتولى الاصلاح بينهم الفتح بن خاقان، فقال البحترى فيما تعلق بعضه بذكر الهيبة

بنى تغلب أعززْ علىّ بأن أرى * ديارَكمُ أمستْ وليس لها أهلُ
خلتْ دِمنة من ساكنيها وأوحشتْ * مرابعُ من سنجار يهمى بها الوبلُ (١)
إذا ما التقوا يومَ الهياج تحاجزوا * وللموت فيما بينهم قِسمة عدلُ
كفىٌّ من الأحياء لاقى كفيَّه * ومثلٌ من الأقوام راجعَهُ مثلُ (٢)
إذا ما أخٌ جرَّ الرماحَ انتهى له * أخٌ لا يليدٌ فى الطِّعان ولا وَغلُ (٣)
نحوطهمُ البيض الرقاق وضُمَّرٌ * عِتاقٌ وأنسابٌ بها يدرك النبلُ (٤)
بطعنٍ يكبُّ الدارعين دِراكُه * وضرب كما ترغو المخزَّمة البُزلُ (٥)
تجافى أمير المؤمنين عن التى * علمتم وللجانين فى مثلها الثُّكلُ (٦)
وكانت يد الفتح بن خاقان عندكم * يدَ الغيث عند الارض أجدبها المحلُ (٧)
ولولاهُ طُلَّتْ بالعُقوق دماؤكم * فلا قَوَدٌ يُعطى الاذلُّ ولا عقلُ (٨)

(١) سنجار : مدينة فى نواحى الجزيرة بينها وبين الموصل ثلاثة أيام ، والوبل المطر الشديد ، ويهمى ينسكب (٢) كفى : نظير (٣) الوغل : الضعيف النذل (٤) البيض الرقاق : السيوف المرهفة ، والضمر العتاق : الخيول الضامرة الكريمة ، والنبل : الثأر (٥) الدارعون : لابسو الدروع ، ودراكه : تتابعه ، وترغو : تصيح ، والمخزمة : التى وضع فى شدقها الخزام ، والبزل جمع بازل . وهو البعير يبلغ تسع سنين (٦) الثكل : الفقد (٧) المحل : الجدب (٨) طلت : هدرت ، والعقل : الدية

تلافَيْتَ يافتحُ الأراقمَ بعد ما * سقاهم بأوحى سُمِّهِ الأرقم الصِّلُّ (١)
وهبت لهم بالسلم باقى نفوسهمْ * وقد أشرفوا أن يستتمَّهم القتلُ
أتاك وفودُ الشكر يثنون بالذى * تقدَّم من نُعماك عندهم قبْلُ (٢)
فلم أرَ يوماً كان أكثر سُؤْدَداً * من اليوم ضمَّتهم الى بابك السُّبْلُ (٣)
ترآءوْك من أقصى السماط فقصَّروا * خُطاهم وقد جازُوا السُّتورَ وهم عُجْلُ (٤)
ولما قضَوْا صدْر السلام تهافَتُوا * على يد بسَّامٍ سجيَّتُه البذلُ
إذا شرعوا فى خطبةٍ قطعتهمُ * جلالة طَلْق الوجه جانبه سهلُ (٥)
اذا نكسوا أبصارهمْ من مهابةٍ * ومالوا بلحظٍ خِلتَ أنهمُ قُبْلُ (٦)
نصبت لهم طرفاً حديداً ، ومنطقاً * سديداً ، ورأياً مثل ما انتُضِىَ النصل (٧)
وسلت سخيمات الصدور فعالك ال * كريم وأبرا غِلها قولك الفصْلُ (٨)
بك التأم الشَّعْبُ الذى كان بينهم * على حين بعدٍ منه واجتمع الشَّمْلُ (٩)
فما برحوا حتى تعاطَتْ أكفُّهم * قِراك فلا ضِغْنٌ لديهم ولا دَخل (١٠)
وجرُّوا ذيول العُصب تضفو ذيولها * عطاء كريم ما تكاءده بخل
وما عمَّهم عمرو بن غنم بنسبةٍ * كما عمَّهم بالأمس نائلُك الجزل
فمهما رأوا من غبطة فى اصطلاحهم * فمنك بها النعمى جرت ولك الفضل

عمرو بن غنم بن تغلب بن وائل بن قاسط

(١) أوحى: أسرع ، والسم الوحى السريع والأرقم الصل : الحية التى لا تنفع فيها الرقى (٢) السبل : جمع سبيل وهو الطريق والمراد به الحاجة (٣) عجل : جمع عاجل وهو المسرع (٤) طلق الوجه : وافر البشر (٥) قبل : جمع أقبل ، وهو الذى ينظر بانحراف كأنما ينظر الى أنفه (٦) النصل : السيف
(٧) السخيمات : جمع سخيمة وهى الحقد (٨) التأم الشعب : اجتمع
(٩) القرى بكسر القاف ما يتناوله الضيفان ، والدخل الغل (١٠) تكاءده : منعه

عاقبة الحرب

وللطائيين فى ذلك أشعار كثيرة مختارة ، منها قول البحترى يحذّر عاقبة الحرب

أمَا لربيعة الفَرس انتهاءٌ * عن الزلزال فيها والحرُوبِ[1]
وكانوا وقّعُوا أيام سِلْمٍ * على تلك الضغائن والندُوب[2]
إذا ما الجرْحُ رُمَّ على فسادٍ * تبيَّن فيه تفريطُ الطبيبِ
رَزِيّةُ هالكٍ جلبت رزايا * وخَطْبٌ باتَ يكشف عن خطُوب
يُشقُّ الجَيْبُ ثم يجىء أمرٌ * يُصغّرُ فيه تشقيق الجيُوبِ
وقبرٍ عن أيامنِ برقعيد * إذا هى فاخرت أفق الجنوب[3]
تَسُحُّ ترابَهُ أبداً عليها * عِهاداً من مُراق دم صبيب
فهل لابنَىْ عدىٍّ من رشيدٍ * يَرُدّ شريد حَمْلِهما الغريب
أخاف عليهما إمرارَ مَرْعًى * من الكلإِ الذى عُقباه تُوبى[4]
وأعلمُ أن حربهما خَبالٌ * على الداعى اليها والمجيب
لعلَّ أبا المعمّر يتّليها * ببعد الهم والصدر الرحيب[5]
فكم من سُؤدَدٍ قدبات يعطى * عطية مكثرٍ فيها مطيب
أهيثم يا ابن عبد الله دعوى * مشير بالنصيحة أو مُهيب[6]
تناس ذنوب قومك إن حفظ الذ * نوب اذا قَدَمْنَ من الذنوب[7]
فلَلسِّهْمُ السديد أحب غِبًّا * الى الرامى من السهم المصيب[8]
متى أحرزتَ نصر بنى عبيدٍ * إلى اخلاص ودّ بنى حبيب

(١) ربيعة الفرس : ابوقبيلة وهو ابن نزار بن معد بن عدنان (٢) الندوب جمع ندب وهو الجرح (٣) برقعيد : بلدة بالموصل (٤) توبى : تهلك ،
(٥) يتليها : يتبعها (٦) مهيب : داعى (٧) فى هذا البيت حكمة بالغة
(٨) غبا : عاقبة

فقد أصبحت أغلب تغلبيّ * على أيدى العشيرة والقلوبِ

يناسب قوله * اذا ما الجرح رم على فساد * قول أبى الطيب المتنبى لعلى ابن ابراهيم التنوخى أحد بنى القصيص

فلا تَغْرُرْكَ ألسنةٌ مَوالٍ * تقلّبهن أفئدةٌ أعادى

وكن كالموت لايرثى لباكٍ * بكى منه ويروى وهو صادى

فان الجُرْح ينغر بعد حينٍ * اذا كان البناء على فساد[1]

وفى هذه القصيدة

كأنّ الهامَ فى الهَيْجا عيونٌ * وقد طُبعت سيوفك من رُقادِ

وقد صُغْتَ الأسِنّةَ من همومٍ * فما يخْطُرْنَ الا فى فؤادِ

كأن البيت الأول من هذين ينظر الى قول مسلم بن الوليد من طرف خفى

ولو أن قوماً يَخْلقون منيةً * من بأسهم كانوا بنى جبريلا

قومٌ إذا احمرَّ الهجير من الوغى * جعلوا الجماجم للسيوف مقيلا[2]

وانما أخذه من قول منصور النميرى وذكر سيفاً

ذَكَرٌ بروقه الدّماء كأنما * يعلو الرجال بأرجُوانٍ فاقعِ[3]

وترى مَسَاقِطَ شَفْرَتَيْهِ كأنها * مِلْحٌ تَبَدَّدَ من وراء الدارعِ

وتراه مُعْتَمّاً إذا جرّدْتَهُ * بدم الرجال على الأديم الفاقعِ[4]

وكأنّ وقعتَهُ بجمجمة الفتى * خَدَرُ المُدَامة أو نُعاس الهاجعِ[5]

أردت هذا البيت ، وقول النميرى (وتراه معتما إذا جرته) يشير إليه قول أبى الطيب وذكر سيفاً

---

(١) ينغر : يجيش بالدم (٢) احمرار الهجير ، وهو وقت الظهر ، كناية عن سيل الدماء فيه (٣) سيف ذكر من الذكرة بضم الذال وهى الحدة — فاقع : شديد الصفرة (٤) معتم : جمد الدم عليه حتى صار له كالعمامة (٥) يصف إمالة السيف للرءوس ويشبه فعله بفعل المدام والنعاس

يبس النجيعُ عليه فهو مجرَّدٌ * من غمدهِ وكأنما هو مُغْمَدُ[1]

رَيّانُ لو قَذَف الذى أسقيتهُ * لجرى من المهجات بحر مُزبد[2]

وبنو عبيد وبنو حبيب اللذان ذكرها البحترى هم بنو عبيد بن الحارث ابن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب وحبيب بن الهجرس بن تيم بن سعد بن جشم بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب وفيهم حبيب بن حرقة بن تغلب بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم فلا أدرى أيهما أراد

قتال الاقارب

وقال البحترى

أسِيتُ لأخوالى ربيعة أنْ عفَتْ * مصانعها منها وأقْوَت ربُوعها[3]

بِكُرْهَىَ أن باتت خلاءً ديارُها * ووحشاً مغانيها وشتَّى جميعُها

إذا افترقوا من وقعةٍ جمعتهُمُ * دماءٌ لأخرى مايُطل نجيعها[4]

تذم الفتاة الرُّودُ شيمة بعلها * إذا بات دون الثأر وهو ضجيعها[5]

حَمِيّةُ شعب جاهلىٍّ وعزة * كلابية أعيا الرجالَ خضوعها

وفرسان هيجاءٍ تجيش صدورهم * بأحقادها حتى تضيق دروعُها

تُقِلّ من وِترٍ أعزَّ نفوسها * عليها بأيدٍ ماتكاد تطيعها[6]

اذا احْتَرَبَتْ يوماً ففاضت دماؤها * تذكرت القربى ففاضت دموعها

شواجِرُ أرماح تقطَّع بينها * شواجر أرحامٍ ملومٌ قَطوعها[7]

فكنتَ أمين الله مولى حياتها * ومولاك فتحٌ يوم ذاك شفيعها

---

(١) النجيع : الدم المتجمد (٢) مزبد : يجرى بالزبد (٣) أسيت : حزنت — أقوت : خلت (٤) يطل : يهدر (٥) الرود : الجميله الوافرة الحياء (٦) الوتر : الثأر (٧) الشواجر : القواطع ، أو الرابط ، فهى من أسماء الأضداد

وقال أبو تمام الطائى

مهلاً بنى مالك لاتجلبُنَّ الى * حىِّ الأراقم ذُؤلول ابنة الرقَم (١)
لم يألكمْ مالكٌ صفحاً ومغفرةً * لو كان ينفخ قَيْنُ الحىِّ فى فَحَم (٢)
أخرجتموة بكُرهٍ من سجيّتِهِ * والنار قد تُنْتَضَى من ناضر السلَم (٣)
أوطأتموه على جمر العقوق ولو * لم يُحْرج الليث لم يخرج من الأجَم (٤)
لولا مناشدة القربى لغادركم * حصائد المرهفَين السيف والقلم
لاتجعلوا البغى ظهراً انه جملٌ * من القطيعة يرعى وادىَ النقم

وقال أيضاً

مهلاً بنى عمرو بن غُنمٍ انكم * هدَف الأسنّة والقنا تتحطَّم (٥)
مامنكمُ الا مردَّى بالحجى * أو مُبْشَرٌ بالأحوذية مُؤدَم (٦)
عمرو بن كلثوم بن مالك بن عتاب بن سعد سهمكم لايُسهم (٧)
خُلقت ربيعة من لَدُنْ خلقت يداً * جُشم بن بكر كفها والمعصم (٨)
تغزو فتغلب تغلبٌ مثل اسمها * وتسيح غنمٌ فى البلاد فتغنمُ
وستذكرون غداً صنائع مالكٍ * ان جلَّ خطب أو تُدُوفع مغرم (٩)
مالى رأيت ثراكمُ ببسالةٍ * مالى أرى أطوادكم تتهدم (١٠)
ماهذه القربى التى لاتُصطفى * ماهذه الرحم التى لاتُرْحَم

(١) الأراقم : حى من تغلب ، وابنة الرقم : الحية ، والذؤلول السم ، يريد لاتقدموا السم بأنفسكم الى حى الأراقم ليقتلوكم به (٢) القين : الحداد
(٣) تنتضى : تستخرج ، والسلم اسم شجر (٤) الأجم : مأوى الأسد
(٥) الهدف : الغرض (٦) مردى بالحجا : يتخذه رداء ، والأحوذية الخفة والنشاط ، ومبشر بها ومؤدم : اتخذ منها بشرته وأدمه ، والأدم الجلد
(٧) لايسهم : لايغلب (٨) من لدن : من منذ (٩) الصنائع : جمع صنيع وهو المعروف (١٠) من معانى البسالة الهلاك ، ورأيت ثراكم ببسالة أى فى بسالة

حَسَدَ القرابة للقرابة قرحةٌ * أعيت عوائدها وجرح أقدم (١)

تلكم قريش لم تكن آباؤها * تهفو ولا أحلامها تتقسم (٢)

حتى اذا بُعث النبيُّ محمدٌ * فيهم غدت شحناؤهم تتضرم (٣)

عزبت عقولهمُ وما من معشرٍ * إلا وهم منهم ألبُّ وأحزمُ (٤)

لما أقام الوحى بين ظهورهم * ورأوا رسول الله أحمد منهمُ

ومن الحزامة لو تكون حزامةٌ * أن لا تؤخرَ من به تتقدمُ (٥)

ومالك هو ابن طوق بن مالك بن عتاب بن زفر بن مرة بن شريح بن عبد الله ابن عمرو بن كلثوم بن مالك بن سعد بن جشم بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم ابن تغلب وفيه يقول دعبل يهجوه

الناس كلهمُ يغدو لحاجتهِ * من بين ذى فرح فيها ومهمومِ

ومالكٌ ظل مشغولا بنسبتهِ * يرمّ منها بناءً غير مرموم (٦)

والتكثير من المعنى المعترض يزيح عن ثغرة الغرض (٧) لكنى أجرى منه الى غاية الإجادة ، وأقصد قصد الإفادة ، ثم أعود حيث أريد

وقال ابن الخياط المكى واسمه عبد الله بن سالم فى باب الهيبة فى مالك بن أنس الفقيه رحمة الله عليه وقيل إن هذا من قول ابن المبارك

يأبى الجواب فما يُراجع هيبةً * والسائلون نواكس الأذقانِ (٨)

أدب الوقار وعزّ سلطان التقى * فهو المهيب وليس ذا سلطانِ

(١) يريد من العوائد النكسات التى تعود بها القروح (٢) لا تتقسم أحلامها : لا تتفرق آراؤها (٣) الشحناء : البغضاء (٤) عزبت : غابت — ألب : أعقل (٥) الحزامة : الحزم (٦) يرم : يصلح (٧) الثغرة : الطريق (٨) نواكس الأذقان : مطرقون الى الأرض خشوعا

شعر أبي تمام

وقول الفرزدق * يكاد يمسكه عرفان راحته * قد نجاذبه جماعة من الشعراء

قال أشجع بن عمر السلمي لجعفر البرمكي

حبذا أنت قادماً ترد الثا * م فتختال بين أرحُل غيرك

ان أرضاً تسرى اليها لواسطا * عت لسارت اليك من قبل سيْرك

واليه أشار أبو تمام الطائى فى قوله

دِيمةٌ سَمحة القِيادِ سكوبُ * مُستغيث بها الثرى المكروبَ

لو سعت بقعة لإعظام نُعمَى * لسعى نحوها المكان الجديبُ

وفى هذه القصيدة فى وصف الديمة ومدح محمد بن عبد الملك الزيات

لَذَّ شُؤبوبها وطاب فلو تسطيـ * ـع قامت فعانقتها القلوبُ (١)

فهو ماء يجرى وماء يليهِ * وعزالٍ تنشا وأخرى تصوب (٢)

أيها الغيث حيّ أهلاً بغدا * ك عند الشرى وحين تؤوبُ (٣)

لأبى جعفرٍ خلائق نحكيـ * ـهنّ قد يشبه النجيب النجيبُ

وأنشدها أبا جعفر بن الزيات فقال : يا أبا تمام والله انك لتحلّى شعرك من جواهر لفظك ، وبدائع معانيك ، ما يزيد حُسناً على بهىّ الجواهر ، فى أجياد الكواعب ، وما يدّخر لك شئ من جزيل المكافأة ، إلا يقصر عن شعرك فى الموازنة . وكان بحضرته رجل من الفلاسفة فقال: هذا الفتى يموت شابا ! فقيل له من أين حكمت عليه بهذا ؟فقال: رأيت فيه من الحِدّة ، والذكاء ، والفطنة ، مع لطافة الحِس ، ما علمت به أن النفس الروحانية تأكل عمره ، كما يأكل السيف المهند غِمده ! قال الصولى مات وقد نيّف على الثلاثين

وقال فى أبى دلف العجلى القاسم بن عيسى

(١) الشؤبوب : الدفعة من المطر (٢) عزال : جمع عزلاء وهى مصب الماء ، والمراد بها السحابة — تصوب : تنسكب (٣) تؤب : ترجع

تكاد عطاياه يُجَن جنونها * اذا لم يعوِّذها بنغمة طالبِ
تكاد مغانيه تهشُّ عِراصها * فتركب من شوقٍ الى كل راكبِ (١)

وقال البحترى

لو أن مشتاقاً تكلف فوق ما * فى وُسعه لمشى اليك المِنبرُ

وقال أبو الطيب المتنبي لبدر بن عمار

طربتْ مراكبنا فخلنا أنها * لولا حياءُ عاقها رقَصَت بنا
لو تعقل الشجر التى قابلتها * مدَّت محبِّيةً اليك الأغصُنا

شىء من الحكمة

رَجع ماانقطع * قال أعرابي لأبى جعفر محمد بن على بن الحسين رضى الله عنه هل رأيت الله حين عبدته ؟ فقال: لم أكن لأعبد من لم أره . قال: فكيف رأيته ؟ قال: لم تره الأبصار بمشاهدة العِيان ، ورأته القلوب بحقائق الايمان ، لا يدرك بالحواس ، ولا يُشبّه بالناس ، معروف بالآيات ، منعوت بالعلامات ، لا يجور فى القضيات ، ذلك الله الذى لا اله الا هو . فقال الاعرابى: الله أعلم حيث يجعل رسالته . قال الجاحظ قال محمد بن على: صلاح شأن الدنيا بحذافيرها فى كلمتين لأن صلاح شأن جميع الناس التعاشر وهو مِلء مكيال: ثلثاه فطنة وثلثه تغافل . قال الجاحظ: لم يجعل لغير الفطنة نصيباً من الخير ، ولاحظاً من الصلاح ، لأن الانسان لا يتغافل عن شىء الا وقد عرفه وفطن له . قال الطائى :

ليس الغبيّ بسيدٍ فى قومهِ * لكنَّ سيد قومه المتغابى

وقال ابن الرومى لأبى محمد بن وهب بن عبيد الله بن سليمان :

تظلّ اذا نامت عيونُ ذوى العمى * وان حدّدوا زُرقاً اليك جواحظا (٢)
تَغاضَى لهم وسنانَ بل متواسِنا * وتوقظهم يقظان بل متياقظا (٣)

(١) العراص : جمع عرصة وهى ساحة الدار (٢) جواحظ : جمع جاحظة وهى الناتئة الحدقة (٣) متواسن : متنائم وليس بنائم ، ومتياقظ متظاهر باليقظة

زيد بن على

وكان أخوه زيد بن على رضى الله عنه ديّنا شجاعا ناسكا من أحسن بنى هاشم عبارة ، و جلهم اشارة

وكانت ملوك بنى أمية تكتب الى صاحب العراق أن امنعْ أهل الكوفة من حضور زيد بن على ، فان له لسانا أقطع من ظُبَة السيف ، وأحدّ من شَبَا الأسِنة (١) وأبلغ من السحر والكهانة (٢) ومن كل نفث فى عقدة، وقيل لزيد ابن على : الصمت خير أم الكلام ؟ فقال: قبح الله المساكتة ، ما أفسدها للبيان وأجلبها للعِىّ والحَصَر (٣) والله لَلمارَاة أسرع فى هدم العِىّ من النار فى يبيس العرفَج ،ومن السيل الى الحدور (٤) وقال له هشام بن عبد الملك: بلغنى أنك تروم الخلافة، وأنت لا تصلح لها لأنك ابن أمَة ، قال زيد: فقد كان اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام ابن أمة ، وإسحاق بن حرة ، فأخرج الله من صُلب اسماعيل خير ولد آدم ! فقال له قم! فقال: اذاً والله لا ترانى الا حيث تكره! فلما خرج من الدار قال ما أحبّ أحد الحياة قط الا ذلّ . فقال له سالم مولى هشام: لا يسمعنّ هذا الكلام منك أحد ، وكان زيد كثيراً ما ينشد :

شرّده الخوف وأزرى بهِ * كذاك من يكره حر الجِلاد (٥)
منخرق الخفين يشكو الوَجى * تنكبه أطراف مَرْوٍ حِداد (٦)
قد كان فى الموت له راحةٌ * والموت حتمٌ فى رقاب العباد

وقد رويت هذه الأبيات لمحمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسين ، وقد رويت لأخيه موسى. قال عبد الرحمن بن يحيى بن سعيد حدثنى رجل من بنى هاشم

---

(١) ظبة السيف : طرفه، وكذلك شبا السنان (٢) الكهانة: نوع من فتنة الناس باسم البحث عن الغيب (٣) الحصر : عسر الكلام (٤) الحدور : المنحدرات يجرى اليها الماء (٥) الجلاد : الحرب (٦) المرو : الحجارة البيض ، والحداد جمع حديد

قال كنا عند محمد بن على بن الحسين وأخوه زيد جالس فدخل رجل من أهل الكوفة فقال له محمد بن على : إنك لتروى طرائف من نوادر الشعر ،فكيف قال الا نصارى لأخيه ؟ فأنشده

لعمرك ما إنْ أبو مالكٍ * بوانٍ ولا بضعيفٍ قُواهْ
ولا بألدَّ له نازع * يعادى أخاه إذا ما نهاه
ولكنه غير مخلافةٍ * كريم الطبائع حلو ثناهْ
وان سُدْته سدت مطواعةً * ومهما وكَلْتَ اليه كفاه

فوضع محمد يده على كتف زيد فقال : هذه صفتك يا أخى ، وأعيذك بالله أن تكون قتيل أهل العراق !

الحرص على الادب

وكانت بين جعفر بن الحسن بن الحسين بن على وبين زيد رضون الله عليهم منازعة فى وصية فكانا اذا تنازعا انثال الناس عليهما ليسمعوا محاورتهما، فكان الرجل يحفظ على صاحبه اللفظة من كلام جعفر ويحفظ الآخر اللفظة من كلام زيد . فاذا انفصلا وتفرق الناس عنهما قال هذا لصاحبه قال فى موضع كذا وكذا وقال الآخر قال فى موضع كذا وكذا فيكتبون ما قال ثم يتعلمونه كما يتعلم الواجب من الفرض ، والنادر من الشعر ، والسائر من المثل ، وكانا أعجوبة دهرهما وأحدوثة عصرهما. ولما قتله يوسف بن عمرو صلب جثته بالكناسة وبعث برأسه مع شبة بن عقال ، وكاف آل أبى طالب البراءة من زيد ، وقام خطباؤهم بذلك فكان أول من قام عبد الله بن الحسن بن الحسين بن على رحمة الله عليه فأوجز فى كلامه ثم جلس ، وقام عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب فأطنب ، وكان شاعراً خطيباً لسِناً ناسباً ، فانصرف الناس وهم يقولون : ابن الطيار من أخطب الناس ، فقيل لعبد الله بن الحسن فى ذلك فقال: لو شئت أن أقول لقلت ، ولكن لم يكن مقام سرور، وانما كان مقام مصيبة!

عبد الله بن الحسن

وعبد الله هذا هو أبو محمد وابراهيم الخارجين على أبى جعفر المنصور وهو القائل لابنه محمد أو ابراهيم : أىْ بنى ! انى مؤدٍّ حق الله فى تأديبك ، فأد الىَّ حق الله فى الاستماع منى ؛ أىْ بنى ! كُفَّ الأذى ، وارفض البَذَي[1] واستعن على الكلام بطول الفِكر فى المواطن التى تدعوك فيها نفسك الى الكلام ، فان للقول ساعات يضر فيها الخطأ ، ولا ينفع فيها الصواب ، واحذر مشورة الجاهل ، وان كان ناصحاً ، كما تحذر مشورة العاقل ، اذا كان غاشاً لانه يُرديك بمشورته ، واعلم يابنى أن رأيك اذا احتجب اليه ، وجدته نائما ، ووجدت هواك يقظان ، فاياك أن تستبد برأيك ، فانه حينئذ هواك ، ولا تفعل فعلا إلا وأنت على يقين أن عاقبته لا تُرديك ، وأن نتيجته لاتجنى عليك . وهو القائل : اياك ومعاداة الرجال فانك لن تعدَم مكر حليم ، أو معاداة لئيم . وكتب الى صديق له : أوصيك بتقوى الله تعالى فان الله تعالى جعل لمن اتقاه المخرج من حيث يكره ، والرزق من حيث لا يحتسب ، وعبد الله هو القائل

أُنُسٌ حرائرُ ما هممْنَ بريبةٍ * كظباء مكةَ صيدُهنَّ حرامُ[2]
يُحسَبنَ من لِينِ الحديث زَوانياً * ويَصدّهنّ عن الخنا الاسلامُ[3]

قال وهذا كما روى أنَّ عبد الملك بن مروان استقبل عمر بن عبد الله بن أبى ربيعة المخزومى فقال له : قد علمت قريش أنك أطولها صَبوة ، وأبعدها توبة ، ويحك أمالك فى نساء قريش ما يكفيك من نساء بنى عبد مناف ؟ ألست القائل

نظرت اليها بالمحصّب من مِنًى * ولى نظرٌ لولا التحرُّج عازمُ[4]
فقلت أصبح أم مصابيح راهبٍ * بدت لك خلف السَّجف أم أنت حالم[5]

(١) البذا : مقصور البذاء وهو فحش القول (٢) أنس : آنسات
(٣) الخنا : الفحش (٤) عازم : طامع (٥) السجف : الستر

بعيدة مَهْوَى القُرْطِ إمّا لنوفلٍ * أبوها وإمّا عبد شمس وهاشم (١)

فقال يا أمير المؤمنين فان بعد هذا

طلبن الهوى حتى اذا ما وجدنهُ * صدرن وهنّ المسلمات الكرائمُ (٢)

فاستحيا منه عبد الملك وقضى حوائجه ووصله (٣) وقال آخر فى هذا المعنى

تعطّلنَ إلا من محاسن أوجهٍ * فهنّ حَوالٍ فى الصفات عواطلُ (٤)

كواسٍ عوارٍ صامتات نواطقٌ * بعفٍّ الكلام باخلات بواذل (٥)

برزن عفافا واحتجبن تستراً * وشِيبَ بحق القول منهنّ باطل (٦)

فذو الحلم مرتادٌ وذو الجهل طامعٌ * وهنّ عن الفحشاء حِيدٌ نواكل (٧)

وقال العديل بن الفرخ فيما يتطرف طرفا من هذا المعنى

لعبَ النعيم بهن فى أظلاله * حتى لبسن زمان عيش غافلِ (٨)

يأخذن زينتهنّ أحسن ما ترى * فاذا عطلن فهنّ غير عواطلِ

واذا خَبأنْ خدودهن أرينني * حدَق المها وأخذن نَبْل القاتل (٩)

يرمينا لايستَتِرْن بجُنةٍ * الا الصّبا وعلمن أين مقاتلى (١٠)

يلبسن أردية الشباب لأهلها * ويجرّ باطنهنّ ذيل الباطلِ

وتعرض لعبد الله بن الحسن رجل بما يكره فقال فيما أنشده ثعلب

أظنت سفاها من سفاهة رأيها * أن اهجوَ هالما هجتنى محارب (١١)

فلا وأبيها انى بعشيرتى * ونفسى عن ذاك المقام لراغب (١٢)

(١) القرط : حلى يعلق فى الأذن و بعد مهوى القرط كناية عن طول العنق

(٢) صدرن : رجعن (٣) انظر كتاب « حب ابن أبى ربيعة وشعره » —

(٤) حوال : جمع حالية ، والعواطل جمع عاطل ، وهى التى تعطلت من الحلى

(٥) كواس : جمع كاسية ، والعف العفيف (٦) شيب : مزج (٧) حيد : جمع حيداء وهى التى تحيد عن مواطن التهم ، النواكل جمع ناكلة وهى النافرة من الفحش (٨) انظر (رغائب النعيم) فى كتاب « أفنان الجمال » —

(٩) المها : واحدها مهاة وهى الظبية (١٠) الجنة : مايتقى به المرء السهام

(١١) محارب : اسم قبيلة (١٢) رغبت عن الشىء : زهدت فيه

وأنشد هـذين البيتين أبو العباس المبرّد لرجل لم يسمه فى رجل يعرف بابن البعير وقبلهما

يقولون أبناء البعير ومالهَمْ * سنامٌ ولا فى ذِروة المجد غارب[1]

وسايَرَ عبد الله بن الحسن أبا العباس السفاح بظهر مدينة الأنبار وهو ينظر الى بناء قد بناه أبو العباس ويدور به، فأنشد عبد الله

ألم تر جوشـنا لمـا تبنَّى * بناءً نفعـه لبنى بُقَيْله

يؤمِّل أن يعمر عمر نوحٍ * وأمر الله يحدث كلَّ ليله

وكان أبو العباس له مكرماً، ولحقه معظماً، فتبسم مغضباً وقال: لو علمنا الاشترطنا حق المسايرة! فقال عبد الله: بوادر الخواطر، وأغفال المسانح، والله ما قلتها عن روية، ولا عارضنى فيهـا ذكر، وأنت أجلّ مَن أقال، وأولى من صفح، قال صدقت خذ فى غير هذا، ولما قتل المنصور ابنه محمدا وكان عبد الله فى السجن بعث رأسه اليه مع الربيع حاجبه فوُضع بين يديه فقال: رحمك الله أبا القاسم فقد كنت من الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق، والذين يصلون ما أمر الله به أن يُوصل، ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب! ثم تمثل

قنىً كان يحميه عن الذل سيفهُ * ويكفيه سوآتِ الأمور اجتنابُها

ثم التفت الى الربيع فقال له: قل لصاحبك قد مضى من بؤسنا مدة، ومن نعيمك مثلها، والموعد الله تعالى! قال الربيع فما رأيت المنصور قط أكثر انكساراً منه حين أبلغته الرسالة * أخذ العباس بن الأحنف هذا المعنى وقيل عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير فقال

فان تلحظى حالى وحالك مرةً * بنظرة عين عن هوى النفس تُحجبُ

ترَى كل يوم مرّ من بؤس عيشتى * يمرّ بيوم من نعيمكِ يُحْسَبُ

ولما قتل المنصورُ محمدَ بنَ عبدِ اللهِ اعترضته امرأة معها صبيانِ فقالت ياأمير

(١) الغارب: الكاهل، وذروة الشيء أعلاه.

المؤمنين أنا امرأة محمد بن عبد الله ، وهذان ابناه ، أيتمهما سيفك ، وأضرعهما خوفك[١] فناشدتك الله يا أمير المؤمنين أن تصعّر لهما خدك ، أو يتأى عنهما رفدك[٢] ، ولتعطفك عليهما شوابك النسب ، وأواصر الرحم[٣] ، فالتفت إلى الربيع ، فقال : اردد عليهما ضياع أبيهما ، ثم قال : كذا والله أحب أن تكون نساء بني هاشم . وكان أهل المدينة لما ظهر محمد أجمعوا على حرب المنصور ، ونصر محمد فلما ظفر المنصور أحضر جعفر بن محمد بن علي بن الحسين الصادق ، فقال له : قد رأيت إطباق أهل المدينة على حربي ، وقد رأيت أن أبعث إليهم من يغوّر عيونهم ويجمّر نخلهم[٤] فقال له جعفر يا أمير المؤمنين ؛ إن سليمان أعطى فشكر ، وإن أيوب ابتلى فصبر ، وإن يوسف قدر فغفر ، فاقتد بأيهم شئت ، وقد جعلك الله من نسل الذين يعفون ويصفحون ، ؛ فقال أبو جعفر : ان أحداً لا يعلّمنا الحلم ، ولا يعرفنا العلم ، وانما قلت هممت ، ولم ترني فعلت ، وانك لتعلم أن قدرتي عليهم ، تمنعني من الاساءة اليهم . وعزى جعفر بن محمد رجلا فقال : أعظم بنعمة في مصيبة جلبت أجرا ، وأفظع بمصيبة في نعمة أكسبت كفرا . هذا كقول الطائي

قد ينعم الله بالبلوى وان عظمت * ويبتلي الله بعض القوم بالنعم

وكان جعفر بن محمد يقول : إني لأملق أحياناً فأتاجر الله بالصدقة فيربحني . وقال جعفر رضي الله عنه من تخلق بالخلق الجميل وله خلق سوء أصيل ، فتخلقه لامحالة زائل ، وهو إلى خلقه الأول آيل ، كطلي الذهب على النحاس ينسحق وتظهر صفرته للناس . وهذا كقول العرجي

يا أيها المتحلي غير شيمته * ومن خلائقه الإقصار والملق[٥]

ارجع إلى خلقك المعروف وارض به * ان التخلق يأتي دونه الخلق[٦]

(١) أضرعه : أذله (٢) الرفد : العطاء (٣) الشوابك والأواصر هي الروابط (٤) جمر النخلة تجميرا قطع جمارها (٥) المراد من الاقصار القصور والضعف ، والملق اظهار الود ذلة وخضوعا (٦) التخلق : تكلف المرء ماليس فيه من حسن الخلق

وكان يقول : ماتوسل إلىّ أحد بوسيلة هى أقرب إلىّ من يد سبقت منى إليه ، أتبعها أختها لتحسن ربها وحفظها[1] لأن منع الأواخر ، يقطع لسان الأوائل . وقيل لجعفر رحمه الله : إن أبا جعفر المنصور لا يلبس مذ صارت إليه الخلافة الا الخشن ، ولا يأكل إلا الجشب [2] فقال يلوجه مع ماممكّن له من السلطان وجبى اليه من الخراج ! قالوا انما يفعل ذلك بخلا وجمعاً للمال . فقال : الحمد لله الذى حرمه من دنياه ماترك له من دينه. انتهى. قال ومن دعاء جعفر رضى الله عنه : اللهم انك بما أنت أهل له من العفو أولى بما أنا أهل له من العقوبة

عبد الله بن معاوية

وكان عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر عالماً ، ناسباً ، وكان خطيباً مفوّهاً ، وشاعراً مُجيداً ، كتب إلى بعض اخوانه : أما بعد فقد عاقنى الشك فى أمرك ، عن عزيمة الرأى فيك ، وذلك انك ابتدأتنى بلطف عن غير خبرة ، ثم أعقبتنى جفاء عن غير جريرة ، فأطمعنى أولك فى إخائك ، وأيأسنى آخرك عن وفائك فلا أنا فى غير الرجاء مجمع لك اطراحاً ، ولا أنا فى عدم انتظاره منك على ثقة فسبحان من لو شاء كشف بايضاح الشك فى أمرك ، عن عزيمة الرأى فيك ، فاجتمعنا على ائتلاف ، أوافترقنا على اختلاف ، والسلام . وهو القائل

رأيت فُضَيلا كان شيئاً مُلفّعاً * فكشّفه التمحيص حتى بدا ليا [3]
فأنت أخى مالم تكن لىَ حاجةٌ * فان عَرَضَت أيقنت أن لا أخاليا
كلانا غنىٌّ عن أخيه حياتَهُ * ونحن اذا متنا أشدّ تغانيا
فلازادَ مابينى وبينك بعدما * مابلوتك فى الحاجات الا تماديا
فمين الرضى عن كل عيب كليلةٌ * كما أن عين السخط تبدى المساويا

(١) رب الشيء : أصلحه (٢) الجشب : هو الطعام القفار الذى لا ادام فيه
(٣) ملفع : مغطى ، وتقول : تلفع الشجر بالخضرة

والقائل أيضاً

لسنا وان أحسابُنا كَرُمَتْ * يوماً على الاحساب نتَّكِلُ

نبنى كما كانت أوائلنا * تبنى ونفعل مثل مافعلوا

وهذا كقول عامر بن الطفيل قال أبو الحسن على بن سليمان الاخفش أنشدنى محمد ابن الحسن بن الحرون لعامر بن الطفيل

تقول ابنة العمرىّ مالك بعدما * أراك صحيحاً كالسَّليم المعذَّبِ (١)

فقلت لها همِّى الذى تعرفينهُ * من الثار فى حَيَّىْ زبيد وأرحبِ

إن اغزُ زبيدًا أغزُ قوماً أعزةً * ومركبهم فى الحى من خير مَركب

وان أغزحيَّىْ خثعم فدماؤهم * شفاء وخير الثار للمتأوب (٢)

فما أدرك الأوتار مثل محققٍ * بأجرد طاوٍ كالعسيب المشذَّب (٣)

وأسمرَ خطيٍّ وأبيض باترٍ * وزغفٍ دِلاصٍ كالغدير المثوَّب (٤)

وانى وان كنت ابن سيد عامر * وفى السِّر منها والصريح المهذب

فماسوَّدتنى عامر عن ورائةٍ * أبى الله أن أسمو بأم ولا أب

ولكننى أحمى حماها وأتقى * أذاها وأرمى من وراها بمنكب

وقال أيضاً يهنى بعض الهاشميين بإملاك (٥): زاد الله فى نعمته، وبارك لكم فى فواضله وجميل نوافله، ونسأل الله الذى قسم لكم ماتحبون من السرور، أن يجنبكم ماتكرهون من المحذور، ويجعل ما أحدثه لك زينا، ومتاعا حسنا، ورشدا ثابتا، ويجعل سبيل ما أصبحت عليه، تماما لصالح ماسموت اليه، من اجتماع الشمل، وحسن موافقة الأهل، ألف الله ذلك بالصلاح، وتممه بالنجاح، ومدلك فى ثروة العدد، وطيب

(١) السليم: الملدوغ (٢) المتأوب: الذى يطرق ليلا (٣) الطاوى: الضامر، والأجرد الحصان سقط شعره من الضمور، والعسيب جريدة من النخل مستقيمة دقيقة يكشط خوصها، والمشذب المقلم (٤) الاسمر الخطى: هو الرمح، والأبيض الباتر: السيف القاطع، والزغف الدروع، والدلاص اللينة الملساء، والغدير المثوب النهر الممتلئ (٥) الاملاك: الزواج

الولد ، مع الزيادة فى المال ، وحسن السلامة فى الحال ، وقُرة العين ، وصلاح ذات البين

الحسن بن زيد

وهجا أبو عاصم محمد بن حمزة الاسلمى المدنى الحسن بن زيد بن الحسن بن على بن أبى طالب رحمة الله عليه فقال

له حقٌّ وليس عليه حقٌّ * ومهما قال فالحسَن الجميلُ

وقد كان الرسول يرى حقوقاً * عليه لغيره وهو الرسولُ

فلما ولى الحسن المدينة أتاه متنكراً فى زى الأعراب فقال

ستأتى مِدحتى الحسن بن زيدٍ * وتشهدلى بصِفِّين القبورُ (١)

قبور لم تزل مذ غاب عنها * أبو حسن تعاديها الدهور

قبور لو بأحمد أو علىٍّ * يلوذ مجيرها حمى المجير

هما أبواك من وضعا فضعهُ * وأنت برفع من رفعا جديرُ

فقال من أنت؟ قال أنا الأسلمى قال: ادن حياك الله! وبسط له رداءه وأجلسه عليه ، وأمر له بعشرة آلاف درهم . وكان الحسن بن زيد قد عوّد داود بن سلم مولى بنى تيم أن يصله ، فلما مدح داود جعفر بن سليمان بن على وكان بينه وبين الحسن بن زيد تباعد أغضبه ذلك ، وقدم الحسن من حج أو عُمرة فدخل عليه داود بن سلم مهنئا فقال: أنت القائل فى جعفر بن سليمان بن على

وكنا حديثاً قبل تأمير جعفرٍ * وكان المنى فى جعفر أن يُؤمَّرا (٢)

حوى المنبرين الطاهرين كليهما * إذا ما خطا عن منبر أمَّ منبرا (٣)

كأنّ بنى حواء صُفُّوا أمامهُ * فخُيِّر فى انسابهم فتخيرا

فقال داود: نعم جعلنى الله فداك ، فكنتم خيرة اختياره! وانا القائل

---

(١) صفين : موضع واقعه مشهورة (٢) يؤمر : يولى الامارة (٣) أم: قصد

لعمرى لئن عاقبتَ أوجُدت منعماً * بعفو عن الجانى وان كان مُعْذِرا [1]
لأنت بما قدمت أولى بمدحهِ * وأكرم فخرا إن فخرت وعُنصرا
هو الغرة الزهراء من فرع هاشم * ويدعو عليا ذا المعالى وجعفرا [2]
وزيد الندى والسِّبط سبط محمدٍ * وعمك باللطف الزكى المطهرا
وما نال منها جعفر غير مجلس * اذا ما نفاه العزْل عنه تأخرا [3]
بحقكمُ نالوا ذُراها وأصبحوا * يرون به عزا عليكم ومظهرا

فعاد له الحسن بن زيد إلى ما كان عليه ولم يزل يصله ويحسن اليه الى أن مات

قوله (وان كان معذراً) لأن جعفراً أعطاه على أبياته ثلاثة ألف دينار

ابراهيم بن هرمة

ولما ولى الحسن بن زيد المدينة دخل عليه ابراهيم بن على بن هرمة فقال له الحسن يا ابراهيم: لستُ كمن باع لك دينه رجاء مدحك ، أوخوف ذمّك ، فقد رزقنى الله تعالى بولادة نبيه صلى الله عليه وسلم المادح ، وجنبنى المقابح ، وإن من حقه علىّ أن لا أغضى على تقصير فى حق وجب ، وأنا أقسم لئن أتيت بك سكران لأضربنّك حدّا للخمر ، وحدّا للسكر ، ولأزيدنّ لموضع حرمتك بى ، فليكن تركك لها لله عز وجل تُعَنْ عليه ، ولا تدعها للناس فتوكل اليهم . فنهض ابن هرمة وهو يقول

نهانى ابن الرسول عن المدامِ * وأدّبنى بآداب الكرامِ
وقال لىَ اصطبر عنها ودعها * لخوف الله لا خوف الأثام
وكيف تصبّرى عنها وحبى * لها حُبٌّ تمكّن فى عظامى

(١) معذر : قدم العذر (٢) الغرة : البياض فى الجبين ولها جمال خاص
(٣) العزل : الضعف

أرى طيف الخيال علىَّ خُبثاً * وطيب العيش فى خبث الحرامِ

وكان ابراهيم منهوماً فى الخمر ، وجلده خيثم بن عراك صاحب شُرْطة المدينة لرباح بن عبد الله الحارثى فى ولاية أبى العباس ، ولما وفد على أبى جعفر المنصور ومدحه ، استحسن شعره ووصله ، وقال له : سل حاجتك . قال : تكتب لى إلى عامل المدينة أن لا يحدنى إذا أُتِىَ بى سكران ، فقال أبو جعفر : هذا حد من حدود الله تعالى لا يجوز أن أعطّله . قال فاحتلْ لى يا أمير المؤمنين ! فكتب إلى عامل المدينة « من أتاك بابن هرمة سكران فاجلده مائة ، واجلد ابن هرمة ثمانين » فكان الشُّرَط يمرون به مطروحاً فى سكك المدينة فيقولون من يشترى مائة بثمانين ! !

موسى بن عبد الله

وقال موسى بن عبد الله بن على بن أبى طالب

اذا أنا لم أقبل من الدهر كلَّ ما * تكرَّهت منه طال عَتْبى على الدهرِ
الى الله كلُّ الأمر فى الخلق كلهم * وليس الى المخلوق شىءٌ من الأمر
تعودت مَسَّ الضر حتى ألفتهُ * وأسلمنى طول البلاء الى الصبرِ
ووسَّع صدرى الأذى الأنس بالأذى * وان كنت أحياناً يضيق به صدرى
وصيَّرنى يأسى من الناس راجياً * لسُرْعة لطف الله من حيث لا أدرى

وموسى بن عبد الله هو القائل

تولَّت بهجة الدنيا * فكل جديدها خَلَقُ[1]
وخان الناس كلهمُ * فما أدرى بمَنْ أثقُ
رأيت معالم الخيرا * ت سُدَّت دونها الطرُق
فلا حسَبٌ ولا نسبٌ * ولا دين ولا خُلُق

(١) الخلق ، بفتحتين ، البالى

فلست بمصدق الأقوا * ل فى شىء وان صدقوا

وكان المنصور حبسه لخروجه عليه مع أخويه ثم ضربه ألف سوط فما نطق بحرف واحد، فقال الربيع : عذرت هؤلاء الفساق فى صبرهم ، فما بال هذا الفتى الذى نشأ فى النعمة والدَّعة؟ فقال

انى من القوم الذين يزيدهم * جَلَداً وصبراً قسوة السلطانِ

وولدت هند بنت أبى عبيدة بن عبد الله بن زمعة موسى ولها ستون سنة ولا يعلم امرأة ولدت بنت ستين سنة الا قرشية

اجتاز على بن محمد العلوى بالجسر بحِدْثان قتل عمر بن يحيى بن عبد الله بن الحسن[1] وقاتله الحسين بن اسماعيل هناك قد جرد رجلا للقتل فلما رأت أم الرجل عليا سألته أن يشفع فيه فمال على الى الحسين فأنشده

قتلت أبرَّ من ركب المطايا * وجئتك أستلينُك بالكلامِ

وعزَّ علىَّ أن ألقاك الا * وفيما بيننا حَدّ الحسام

ولكنَّ الجناح اذا أصيبت * قوادمهُ يرف على الأكام[2]

فقال له : وما حاجتك؟ قال العفو عن ابن هذه المرأة. فتركه

العباس بن الحسين

وسئل العباس بن الحسين عن رجل فقال لجليسه أطرب من الإبل على الحِداء، ومن النمل على الغناء . وذكر العباس رجلا فقال : ما الحِمام على الأحرار ، وطول السقم فى الأسفار ، وعِظَم الدَّين على الإقتار ، بأشدّ من لقائه * وقال العباس بن الحسين للمأمون : يا أمير المؤمنين ، انّ لسانى ينطلق بمدحك غائبا ، وقد أحببت أن يتزيدّ عندك حاضرا ، أفتأذن يا أمير المؤمنين فى الكلام ؟ فقال له قل، فوالله انك لتقول فتحسن ، وتحضر فتزين ، وتغيب فتؤتمن. فقال ما بعد هذا كلام

(١) حدثان الامر : أوله ، وهو بكسر الحاء وسكون الدال (٢) القوادم : مقدم الريش ولا كذلك الخوافى ، والأكام : جمع أكمة

يأمير المؤمنين أفتأذن بالسكوت؟ قال اذا شئت * وذكر رجلا بليغا فقال: ماشبهت كلامه الا بثعبان ينهال بين رمال ، وماء يتغلغل بين جبال. وسمع المنتجع بن نبهان كلام العباس بن الحسين فقال: هذا كلام يدل سائره ، على غابره ، وأوله على آخره . وسأل المأمون العباس بن الحسين عن رجل فقال : رأيت له حلما وأناة ، ولم أسمع لحنا ولا إحالة [1] يحدثك الحديث على مطاويه [2] وينشدك الشعر على مدارجه. وكان المأمون يقول : من أراد أن يسمع لهوا بلا حرج فليسمع كلام العباس

والعباس بن الحسين من أشعر الهاشميين وهو يعدّ فى طبقة ابراهيم بن المهدى ، وهو القائل

أتاح لك الهوى بيض حسانٌ * سبينك بالعيون وبالشعورِ [3]
نظرت الى النحور فكدت تقضى * وأولى لو نظرت الى الخصورِ [4]

وهو القائل أيضاً

صادتك من بعض القصور * بيضٌ نواعمُ فى الخدور
حُورٌ تحور الى صبا * ك بأعين منهنّ حُورْ [5]
وكأنما بثغورهنّ * جنى الرُّضاب من الخمور [6]
يصبغن تفاح الخدو * دِ بماء رمّان الصدور

وهو العباس بن الحسين بن عبيد الله بن العباس بن على بن أبى طالب رضى الله عنه وأم عبيد الله جدة بنت عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب عم محمد بن على أبى الخلفاء — وكان الرشيد والمأمون يقربان العباس غاية التقريب لنسبه وأدبه ، قال أبو دلف : دخلت على الرشيد وهو فى طارمة على طنفسة [7] ومعه عليها شيخ جميل المنظر فقال لى الرشيد : ياقاسم ما خبر أرضك ؟ فقلت يأمير

(١) الاحالة : التكلم بالمحال (٢) على مطاويه : على خفاياه (٣) النظر (سواد الشعر) فى كتاب : « أفنان الجمال » (٤) تقضى : تهلك — (٥) تحور : تميل (٦) الرضاب : الريق (٧) الطارمة : بيت من خشب كالقبة

المؤمنين ، خراب يباب ، أخربها الأكراد والاعراب ، فقال قائل : هذا آفة الجبل ، وهو أفسده ، فقلت أنا أصلحه ، قال الرشيد وكيف ذلك ؟ قلت أفسدته وأنت عليّ وأصلحه وأنت معي ! فقال الرشيد : إن همته لترمي به من وراء سِنّه مرمى بعيداً ، فسألت عن الشيخ فقيل العباس بن الحسين . وكان أبو دلف ذلك الوقت صغير السن

ولقي موسى بن جعفر رضي الله عنه محمد ابن الرشيد الأمين بالمدينة وموسى على بغلة فقال للفضل بن الربيع : عاتب هذا فقال له الفضل : كيف لقيت أمير المؤمنين على هذه الدابة التي ان طُلبت عليها لم تسبق ، وان طُلبت عليها تلحق ، فقال لست أحتاج أن أطلب ، ولا إلى أن أطلب ، ولكنها دابة تنحط عن خُيلاء الخيل ، وترتفع عن ذِلة العَيْر [1] وخير الأمور أوساطها

علي بن موسى

أصيب علي بن موسى بمصيبة فصار اليه الحسن بن سهل فقال : إنا لم نأتك معزّين ، بل جئناك مقتدين ، فالحمد لله الذي جعل حياتكم للناس رحمة ، ومصائبكم لهم قدوة . وكان عليّ بن موسى الرضى رحمه الله قد ولاه المأمون عهده ، وعقد له الخلافة بعده ، ونزع السواد عن بني العباس وأمرهم بلباس الخضرة ، ومات علي بن موسى في حياة المأمون بطوس ، فشق قبر الرشيد ودفن فيه تبركا به ، وكان الرشيد قد مات بطوس فدفن هناك . ولذلك قال دعبل بن علي الخزاعي

أربَعْ ببطوس على قبر الزكيّ بها * ان كنت تربع من دين على وطر [2]
ما ينفع الرّجس من قرب الزكي ولا * على الزكي بقرب الرجس من ضرر
هيهات كل امرئ رَهنٌ بما كسبت * له يداه فخذ من ذاك أو فذر
قبران في طوس خير الناس كلهم * وقبر شرهم هذا من العبر

(١) العير : الحمار (٢) ربع : أقام ، والوطر الحاجة

وكان دعبل مداحاً لأهل البيت، كثير التعصب لهم، والغلو فيهم. وله المرثية المشهورة وهى من جيد شعره وأولها

مدارس آياتٍ عفت من تلاوةٍ * ومنزل وحى مُقفرُ العَرَصاتِ[1]

لآل رسول الله بالخيف من منًى * وبالبيت والتعريف والجمرات

ديار عليٍّ والحسين وجعفرٍ * وحمزة والسجَّاد ذى النفثاتِ

قِفا نسأل الدار التى خفَّ أهلها * متى عهدها بالصوم والصلوات

وأين الألى شطت بهم غربة النوى * أفانين فى الآفاق مفترقات[2]

أحب قَصِىَّ الدار من أجل حبهم * وأهجر فيهم أسرتى وثقاتى

وهى طويلة

دعبل والمأمون

ولما دخل المأمون بغداد أحضر دعبلا بعد أن أعطاه الأمان وكان قد هجاه وهجا أباه، فقال: يادعبل من الحضيض الأوهد؟ فقال يا أمير المؤمنين قد عفوت عمن هو أشد جُرماً منى! أراد المأمون قول دعبل يهجوه

انى من القوم الذين سيوفهم * قتلت أخاك وشرفتك بمقعَدِ

شادوا بذكرك بعد طول خمولهِ * واستنقذوك من الحضيض الأوهد

يفتخر عليه بقتل طاهر بن الحسين بن مصعب ذى اليمينين أخاه محمداً أو طاهر مولى خزاعة فاستنشده هذه القصيدة الثانية فاستعفاه فقال: لا بأس عليك، وقد رويتها وانما أحببت أن أسمعها منك. فأنشدها دعبل فلما انتهى الى قوله

ألم تر أنى مذ ثلاثين حِجةً * أروح وأغدو دائم الحسراتِ

أرى فَيئهم فى غيرهم مُتقسِّماً * وأيديهمُ من فيئهم صفِرات[3]

(١) العرصات: الساحات (٢) غربة النوى: بعده (٣) صفرات: خاليات

اذا وُتِروا مدّوا الى أهل وِترهم * أكفًّا عن الأوتار منقبضاتِ
وآل رسول الله تُحْفُ جسومهم * وآل زياد غُلُظ القَصَرَاتِ (٢)
بنات زيادٍ فى القصور مصونةٌ * وبنت رسول الله فى الفلوات

بكى المأمون وجدّد له الأمان وأحسن له الصلة

والشيء يستدعى ماقرع بابه ، وجذب أهدابه ، قال سليمان بن قتيبة

مررت على أبيات آل محمدٍ * فلم أرَها عهدى بها يوم حُلّتِ
فلا يبعد الله الديار وأهلها * وان أصبحت من أهلها قد تخلّتِ
وكانوا رجاءً ثم عادوا رزيةً * ألا عظُمَت تلك الرزايا وجلّتِ
وان قتيل الطَّفِّ من آل هاشم * أذلَّ رقاب المسلمين فذلتِ (٣)

ويشبه قوله * وكانوا رجاء ثم عادوا رزية * قول امرأة من العرب مرت بالجسر بجثة جعفر بن يحيى البرمكى مصلوبا فقالت: لئن أصبحت نهاية فى البلاء ، لقد كنت غاية فى الرجاء

أوصاف الاشراف

(ألفاظ لأهل العصر فى أوصاف الأشراف لها فى هذا الموضع موقع)

فلان من شرف العنصر الكريم ، ومعدن الشرف الصميم ، أصل راسخ ، وفرع شامخ ، ومجد باذخ ، وحسب شاذخ (٤) فلان كريم الطرَفين ، شريف الجانبين ، قد ركب الله دوحته فى قرارة المجد ، وغرس نبعته فى محل الفضل ، أصل شريف ، وعِرق كريم ، ومغرِس عظيم ، ومغرِز صميم ، المجد لسان أوصافه ، والشرف نسب أسلافه ، نسب فخم ، وشرف ضخم ، يستوفى شرف الأرومة (٥) بكرم الأبوة والأمومة ، وشرف الخؤولة والعمومة ، ماأتته المحاسن عن كلالة (٦) ولاظفر

(١) القصرات : أصول العنق جمع قصرة بفتحتين (٢) الطف : موضع قرب الكوفة
(٣) شامخ وباذخ وشاذخ مترادفات بمعنى عال (٥) الارومة الأصل
(٦) الكلالة : ماعدا الوالد من الاقرباء

بالهدى عن ضلالة ، بل تناول المجد كابرا عن كابر ، وأخذ الفخر عن أسرّة ومنابر

شرفٌ تنقّل كابرا عن كابرٍ * كالرمح أنبوبا على أنبوبِ [1]

استقى عرقه من منبع النبوة ، ورضعت شجرته من ثدى الرسالة ، وتبدلت أغصانه عن نبعة الإمامة ، وتبجحت أطرافه فى عَرصة الشرف والسيادة [2] وتفقأت بيضته عن سُلالة الطهارة [3] ، قد جذب القرآنُ بضَبْعه [4] وشق الوحى عن بصره وسمعه ، مختار من أكرم المناسب ، منتخب من أشرف العناصر ، مرتضى من أعلى المحاند ، مؤثر من المشائر ، قد ورث الشرف جامعا عن جامع ، وشهد له نداء الصوامع ، هو من مضر فى سويداء قلبها ، ومن هاشم فى سواد طرفها ، ومن الرسالة فى مهبط وحيها ، ومن الامامة فى موقف عزها ، ينزع الى المحامد بنفس وعرق ، ويحنّ الى المكارم بوراثة وخلق ، يتناسب أصله وفرعه ، ويتناصف بحره وطبعه ، وهو الطيب أصله وفرعه ، الزكى بذره وزرعه ، يجمع الى عز النصاب مزية الآداب ، لاغرْو أن يجرى الجواد على عِرقه ، وتلوح مخايل الليث فى شبله ، ويكون النجيب فرعا مشيدا لأصله ، له مع نباهة شرفه ، نزاهة سلفه ، ومع كرم أرومته ، وحزمه ، مزية أدبه ، وعلمه ، لن تخلف ثمرة غرس ارتبد لها من المنابت أزكاها ، ومن المغارس أطيبها وأغذاها وأنماها ، قد جمع شرف الأخلاق ، الى كرم الأنساب ، له فى المجد أول وآخر ، وفى الكرم تليد وطارف ، وفى الفضل حديث وقديم ، لاغرو أن يغمر فضله وهو نجل الصيد الأكارم ، أو يزرعلمه وهو فيض البحور الخضارم . دوحة رسب عرقها ، وسمق فرعها [5] وطاب عودها ، واعتدل عمودها ، وتفيأت ظلالها ، وتبدلت ثمارها ، وتفرعت أغصانها ، وبرد مقيلها ، مجد يلحظ الجوزاء من عل ، ويطول النجم كل مطال ، شرف تضع له الأفلاك

(١) الانبوب : القصبة (٢) تبجحت : تمكنت ، والعرصة الساحة
(٣) تفقأت : تفتحت (٤) جذب بضبعه : نوه به (٥) سمق : ارتفع

خدودها وجباهها ، وتلثم النجوم أرضه بأفواهها وشفاهها ، نسب المجد به عريق وروض الشرف به أنيق ، ولسان الثناء بفضله نطوق ، فلك المجد عليه يدور ، والعلى اليه تشير ، محله شاهق ، ومجده باسق

الابتداء بحمد الله

قدتم ماستفتحت به التأليف ، وجعلته مقدمة التصنيف ، مع ماقرن به وانضاف اليه ، والتف به وانعطف عليه ، ورأيت ان أبتدئ مقدمات البلاغات بغُرَر التحاميد وأوصافها ، وما يتعلق بأثنائها وأطرافها ، وقد قال سهل بن هارون فى أول كتاب عمله : يجب على كل مبتدئ مقالة أن يبتدئ بحمد الله قبل استفتاحها ، كما بُدِئ بالنعمة قبل استحقاقها (ولأهل العصر) أولى مافغر به الناطق فمه[1] وافتتح به كلمه ، حمد الله جل ثناؤه ، وتقدست أسماؤه ، حمد الله خير ما ابتُدئ به القول ، وخُتم ، وافتُتح به الخطاب وتمم . وقال أبو العباس عبدالله بن المعتز بالله : ان الله جل ثناؤه لايمثل بنظير ، ولا يغلب بظهير[2] جل عن موقع تحصيل أدوات البشر ، ولطُفَ عن ألحاظ خطرات الفِكَر ، لايحمد الا بتوفيق منه يقتضى حمداً ، فهى تحصى نعماؤه ، وتكافأ آلاؤه : عجز أقصى الشكر عن أداء نعمته ، وتضاءل ماخلق فى سعة قدرته ، قدر فقدّر ، وحكم فأحكم ، وجعل الدين جامعا لشمل عباده ، والشرائع مناراً على سبيل طاعته ، يتبعها أهل اليقين به ، ويحيد عنها أهل الشك فيه

محمود الوراق

أخذ أبو العباس قوله (ولا يحمد الا بتوفيق منه يقتضى حمدا) من قول محمود بن الحسين الوراق

اذا كان شكرى نعمة الله نعمةً * علىَّ له فى مثلها يجب الشكرُ

(١) فغر : فتح (٢) الظهير : المعين

فكيف بلوغ الشكر الا بفضلهِ * وان طالت الايام واتصل العمرُ
اذا عمّ بالسراء عمّ سرورها * وان مَسّ بالضراء أعقبها الاجرُ
فما منهما الا له فيه نعمةٌ * تضيق بها الاوهام والبر والبحر

وانما أخذه محمود من قول أبي العتاهية

أحمد الله فهو أهلٌ الحمـ * ـد على الحمد والمزيد لديهِ
كم زمانٍ بكيت فيه فلما * صرت في غيره بكيت عليهِ

وقد اضطربت الراوية في هذين البيتين وقائلهما ، وهذا البيت الثاني كثير ، قال ابراهيم بن العباس

كذاك أيامنا لاشكّ نندبها * اذا تقضّت ونحن اليوم نشكوها

آخر

وما مرّ يوم أرتجي فيه راحةً * فأفقدهُ الا بكيت على أمسِ

ومحمود القائل أيضا

تعصي الآله وأنت تظهر حبهُ * هذا محال في القياس بديعُ
لو كان حبك صادقا لأطعتهُ * ان المحب لمن أحبَّ مطيعُ

وكان كثيراً ما ينقل أخبار الماضين ، وحكم المتقدمين ، فيحلي بها نظامه ، ويزين بها كلامه ، وهو القائل

إني وهبت لظالمي ظلمي * وشكرت ذاك له على علمي
ورأيته أسدى اليَّ يدًا * لما أبان بجهله حلمي
رجعت إساءته عليه ولي * فضل فعاد مُضاعفَ الجرم
فكأنما الاحسان كان لهُ * وأنا المسيء اليه في الزعم
ما زال يظلمني وأرحمهُ * حتى رثيت له من الظلم

وهو القائل

أراني اذا ما ازددت مالاً وثروةً * وخيراً الى خير تزايدت في الشرّ

فكيف بشكر الله ان كنت انما * أقوم مقام الشكر لله بالكفرِ
بأيّ اعتذار أو بأية حجةٍ * يقول الذى يدرى من الأمر ما أدرى
اذا كان وجه العذر ليس ببيّنٍ * فان اطّراح العذر خير من العذر

البلاغة والبيان

ولابن المعتز : البيان ترجمان القلوب ، وصيقل العقول ، ومجلّى الشبهة ، وموجب الحجة ، والحاكم عند اختصام الظنون ، والمفرق بين الشك واليقين ، وهو من سلطان الرسل الذى انقاد به المستصعَب ، واستقام الأصيَد [1] وبُهت الكافر ، وسلم الممتنع ، حتى أشِب الحق بأنصاره [2] وخُلّى ربع الباطل من عماره ، وخير البيان ما كان مصرحا عن المعنى ، ليسرع الى الفهم تلقّيه ، وموجزاً ليخف على اللفظ تعاطيه ، وفضل القرآن على سائر الكلام معروف غير مجهول ، وظاهر غير خفى ، يشهد بذلك عجز المتعاطين ، ورهن المتكلفين ، وتحير الكذابين ، وهو المبلغ الذى لا يُمل ، والجديد الذى لا يخلُق [3] ، والحق الصادع ، والنور الساطع ، والماحى لظلم الضلال ، ولسان الصدق النافى للكذب ، ونذير قدمته الرحمة قبل الهلاك ، وناعى الدنيا المنقولة ، وبشير الآخرة المخلدة ، ومفتاح الخير ، ودليل الجنة . إن أوجز كان كافيا ، وان أكثر كان مذكرا ، وان أومأ كان مقنعا ، وان أطال كان مفهما ، وان أمر فناصحا ، وان حكم فعادلا ، وان أخبر فصادقا ، وان بيّن فشافيا ، سهل على الفهم ، صعب على المتعاطى ، قريب المأخذ ، بعيد المرام ، سراج تستضىء به القلوب ، حلوٌ اذا تذوّقته العقول ، بحر العلوم ، وديوان الحِكم ، وجوهر الكلِم ، ونزهة المتوسمين ، وروح قلوب المؤمنين ، نزل به الروح الأمين ، على محمد خاتم النبيين ، صلى الله عليه وعلى آله الطيبين ،

---

(١) الأصيد : المائل العنق كبرا (٢) أشب : تجمع وقوى : (٣) لا يخلق : لا يبلى

فحصم الباطل ، وصدع بالحق ، وتألف من النفرة ، وأنقذ من الهلكة ، فوصل الله له النصر ، وأضرع به خد الكفر[1]

قال على بن عيسى الرمانى : البلاغة ماحف بالتكلف عنه ، وبنى على التبيين ، وكانت الفائدة أغلب عليه من القافية ، بأن جمع مع ذلك سهولة المخرج ، مع قرب المتناول ، وعذوبة اللفظ ، مع رشاقة المعنى ، وأن يكون حسن الابتداء كحسن الانتهاء ، وحسن الوصل ، كحسن القطع ، فى المعنى والسمع . وكانت كل كلمة قد وقعت فى حقها ، والى جنب أختها ، حتى لا يقال لو كان كذا فى موضع كذا لكان أولى ، وحتى لا يكون فيه لفظ مختلف ، ولا معنى مستنكر ، ثم ألبس بهاء الحكمة ، ونور المعرفة ، وشرف المعنى ، وجزالة اللفظ ، وكانت حلاوته فى الصدر وجلالته فى النفس ، تفتق الفهم ، وتثير دقائق الحكم ، وكان ظاهر النفع ، شريف القصد ، معتدل الوزن ، جميل المذهب ، كريم المطلب ، فصيحا فى معناه ، بينا فى فحواه ، وكل هذه الشروط قد حوتها القرآن ، ولذلك عجز عن معارضته جميع الأنام

وصف القرآن

ألفاظ لأهل العصر فى ذكر القرآن . القرآن حبل الله الممدود ، وعهده المعهود ، وظله الممدود ، وصراطه المستقيم ، وحجته الكبرى ، ومحجته الوسطى ، وهو الواضح سبيله ، الراشد دليله ، الذى من استضاء بمصابيحه أبصر ونجا ، ومن أعرض عنه ضل وهوى ، فضائل القرآن لا تستقصى فى ألف قرن ، حجة الله وعهده ، ووعيده ووعده ، به يعلم الجاهل ، ويعمل العامل ، ويتنبه الساهى ، ويتذكر اللاهى ، بشير الثواب ، ونذير العقاب ، وشفاء الصدور ، وجلاء الأمور من فضائله أنه يقرأ دائما ، ويكتب ، ويملى ، ولا يمل — ما أهون الدنيا على من جعل القرآن إمامه ، وتصور الموت أمامه ، طوبى لمن جعل القرآن مصباح قلبه ، ومفتاح

(١) أضرع : أذل

أيها — من حق القرآن حفظ ترتيبه ، وحسن ترتيله . قال بعض الحكماء : الحكمة موقظة للقلوب من سِنة الغفلة ، ومنقذة للبصائر من سكرة الحيرة ، ومحيية لها من موت الجهالة ، ومستخرجة لها من ضيق الضلالة ، والعلم دواء للقلوب العليلة ، ومشحذ للأذهان الكليلة ، ونور الظلمة ، وأنس فى الوحشة ، وصاحب فى الوحدة وسمير فى الخلوة ، ووصلة فى المجالس ، ومادة للعقل ، وتلقيح للفهم ، وناف للعيّ المزرى بأهل الاحساب ، المقصر بذوى الألباب ، أنطق الله سبحانه أهله بالبيان الذى جعله صفة لكلامه فى تنزيله ، وأيّد به رسله ايضاحاً للمشكلات ، وفصلا بين الشبهات ، شرّف به الوضيع ، وأعزّ به الذليل ، وسوّد به المسوَّد ، من تحلى بغيره فهو معطّل ، ومن تعطل منه فهو مغفل ، لا تبليه الأيام ، ولا تخترمه الدهور يتجدد على الابتذال ، ويزكو على الانفاق ، لله على مامن به على عباده الحمد والشكر

عمرو بن عبيد

قيل لعمرو بن عبيد ما البلاغة؟ قال : ما بلّغك الجنة ، وعدل بك عن النار ، وبصّرك مواقع رشدك ، وعواقب عملك . قال السائل ليس هذا أريد ، قال : من لم يحسن أن يسكت لم يحسن أن يستمع ، ومن لم يحسن الاستماع لم يحسن القول قال ليس هذا أريد . قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم : إنّا معشر الأنبياء فينا بَكْءٌ ، أى قلة كلام ، وكانوا يكرهون أن يزيد منطق الرجل على عقله . قال السائل : ليس هذا أريد قال : كانوا يخافون من فتنة القول ، ومن سقطات الكلام مالا يخافون من فتنة السكوت ، وسقطات الصمت ، قال ليس هذا أريد قال عمرو ياهذا فكأنك تريد تخمير اللفظ فى حسن الإفهام[1] ، قال نعم قال إنك إن أردت تقرير حجة الله عز وجل فى عقول المكلفين ، وتخفيف المؤونة عن المستمعين ،

(١) المراد من تخمير اللفظ التروى فى تخيره ، كما تخمر الخمر لتجود

وتزيين تلك المعانى فى قلوب المريدين ، بالألفاظ الحسنة فى الآذان ، المقبولة عند الأذهان ، رغبة فى سرعة إجابتهم ، ونفى الشواغل عن قلوبهم ، بالموعظة الحسنة على الكتاب والسنة ، كنت قد أوتيت الحكمة وفصل الخطاب ، واستوجبت من الله جزيل الثواب ، فقيل لعبد الكريم بن روح الغفارى من هذا الذى صبر له عمرو هذا الصبر ؟ قال سألت عن ذلك أبا حفص الشمرى فقال : ومن يجترئ عليه هذه الجرأه الاحفص بن سالم ؟

وعمرو بن عبيد بن باب هو رئيس المعتزلة فى وقته ، وهو أول من تكلم على المخلوق ، واعتزل مجلس الحسن البصرى ، وهو أول المعتزلة (١)

ودخل عمرو بن عبيد على أبى جعفر المنصور فقال : عظنى . فقال : ياأمير المؤمنين ، إن الله أعطاك الدنيا بأسرها ، فاشتر نفسك منه ببعضها ، ياأمير المؤمنين ، إن هذا الامر لو كان باقيا لأحد قبلك ، ماوصل اليك ، ألم تر كيف فعل ربك بعاد ، إرمَ ذات العماد ، قال : فبكى المنصور حتى بلّ ثوبه ثم قال حاجتك يا أبا عثمان ! وكان المنصور لما دخل عليه طرح عليه طيلساناً . فقال : يرفع هذا الطيلسان عنى ! فرفع فقال له أبو جعفر : لاتدع إتياننا ! قال : نعم ، لايضمُّنى وإياك بلد إلا دخلت اليك ، ولا بدت لى حاجة الا سألتك ، ولكن لاتعطنى حتى أسألك ، ولا تدعُنى حتى آتيك ، قال إذاً لاتأتينا أبداً !

وقد روى مثل هذا لابن السماك مع الرشيد ، وقوله لو كان هذا الأمر باقيا لأحد قبلك ماوصل اليك ؛ كقول ابن الرومى

لعمرك ما الدنيا بدار إقامةٍ * إذا زال عن عين البصير غِطاؤها

وكيف بقاء الناس فيها وانما * يُنال بأسباب الفناء بقاؤها

ووعظ شبيب بن شيبة المنصور فقال : ياأمير المؤمنين ، إن الله لم يجعل فوقك أحدا ، فلا تجعل فوق شكره شكرا . ودخل عمرو بن عبيد على المنصور

(١) ارجع الى مناقشة آراء المعتزلة وأهل السنة فى كتاب « الاخلاق عند الغزالى »

وعنده المهدى فقال له : هذا ابن أخيك المهدى، ولىُّ عهد المسلمين ، فقال: سميته اسما لم يستحق حمله ، و يفضى اليك الأمر وأنت عنه مشغول — وكان عمرو بن عبيد يقول : اللهم اغنى بالافتقار إليك ، ولا تفقرنى بالاستغناء عنك — وقال له المنصور يا أبا عثمان ، أعنِّي بأصحابك ، قال يا أمير المؤمنين ، أظهر الحق يتبعك أهله ! وقال عمر الشمرى : كان عمرو بن عبيد لايكاد يتكلم ، وان تكلم لم يكد يطيل ، وكان يقول :لاخير فى المتكلم ، اذا كان كلامه لمن يشهده دون قائله ، واذا طال الكلام عرضت للمتكلم أسباب التكلف ، ولا خير فى شىء يأتيك به التكلف

البلاغة عند اهل الهند

قل معمر ابن الاشعث قلت لبهلة الهندى أيام اجتلب يحيى بن خالد أطباء الهند : ما البلاغة عند أهل الهند ؟ قال بهلة عندنا فى ذلك صحيفة مكتوبة ، ولكننى لا أحسن ترجمتها ، ولم أعالج هذه الصناعة ، فأثق من نفسى بالقيام بخصائصها ، ولطيف معانيها ، قال ابن الاشعث فتلفيت تلك الصحيفة المترجمة فاذا فيها : أول البلاغة اجتماع آلة البلاغة ، وذلك أن يكون الخطيب رابط الجأش[1] ساكن الجوارح ، قليل اللحظ ، متخيَّر اللفظ ، لايكلم سيد الأمة بكلام الأمة ، ولا الملوك بكلام السُّوقة ، ويكون فى قُواه فضل التصرف فى كل طبقة ، ولا يدقق المعانى كل التدقيق ، ولا ينقح الالفاظ كل التنقيح ، ولا يصفيها كل التصفية ، ولا يهذبها غاية التهذيب ، ولا يفعل ذلك حتى يصادف حكيما أو فيلسوفا عليما ، قد تعود حذف فضول الكلام ، واسقاط مشتركات الالفاظ ، وقد نظر فى صناعة المنطق على جهة الصناعة والمبالغة ، لاعلى جهة التصفُّح والاعتراض[2] ووجه التظرُّف والاستظراف * قال اسحاق بن حسان ابن قوهى

(١) الجأش : الصدر ، ومثله الجؤشوس بضم الجيم (٢) التصفح : تقليب الصفحات

لم يفسر أحد البلاغة تفسير عبد الله بن المقفع إذ قال : البلاغة اسم لمعانٍ تجرى فى وجوه كثيرة ، فمنها ما يكون فى الاستماع ، ومنها ما يكون فى السكوت ، ومنها ما يكون فى الاشارة ، ومنها ما يكون فى الحديث ، ومنها ما يكون فى الاحتجاج ، ومنها ما يكون شدرا ، ومنها ما يكون ابتداءا ، ومنها ما يكون جوابا ، ومنها ما يكون سجعا ، ومنها ما يكون خطبا ، ومنها ما يكون رسائل ؛ فغاية هذه الابواب الوحى فيها والاشارة الى المعنى ، والايجاز هو البلاغة ، فاما الخطب فيا بين السماطين [1] وفى اصلاح ذات البين ، فالإكثار فى غير خَطَل [2] والاطالة فى غير إملال ، ولكن ليكن فى صدر كلامك ، دليل على حاجتك ، كما أن خير أبيات الشعر البيت الذى اذا سمعت صدره عرفت قافيته — كانه يقول : فرّق بين صدر خطبة النكاح ، وخطبة العيد ، وخطبة الصلح ، وخطبة التواهب ، حتى يكون لكل فن من ذلك صدر يدل على عَجُزه — فانه لاخير فى كلام لايدل على معناك ولا يشير إلى مغزاك ، والى العمود الذى اليه قصدت ، والغرض الذى اليه نزعت فقيل له : فان ملّ المستمع الاطالة التى ذكرت أنها حق ذلك الموضع ؟ قال : إذا أعطيت كل مقام حقه ، وقمت بالذى يجب من سياسة الكلام ، وأرضيت من يعرف حقوق ذلك ، فلا تهتم لما فاتك من رضى الحاسد والعدوّ ، فانهما لايرضيان بشئ ، فأما الجاهل فلست منه وليس منك ، ورضى جميع الناس شئ لاينال

الاطالة والايجاز

وقد مدحوا الاطالة فى مكانها كما مدحوا الايجاز فى مكانه . قال أبو داود ابن جرير فى خطباء ايد

يرمون بالخطب الطوال وتارةً * وحىَ الملاحظ خيفة الرقباء [3]

(١) بين السماطين : الصفين (٢) الخطل : السخف (٣) المراد من وحى اللاحظ اشارة العيون

قال أبو وَجْزة السعدى يصف كلام رجل

يكفى قليل كلامه وكثيرُهُ * ثَبْتٌ اذا طال النِّضال مُصيبُ (١)

وأنشد أبو العباس محمد بن يزيد المبرّد ولم يسم قائله وهو مولدٌ ولم ينقصه توليده من حظ القديم شيئاً

طبيب بداء فنون الكلام * فلم يَعْيَ يوماً ولم يهذرِ

فان هو أطنب فى خطبةٍ * قَضَى للمُطيل على المنزر (٢)

وإن هو أوجز فى خطبةٍ * قضى للمقلّ على المُكثِرِ

وقال آخر يصف خطيبا

فاذا تكلم خِلْتَهُ متكلماً * بجميع عِدَّةِ ألسُنِ الخطباءِ

فكأن آدم كان علّمه الذى * قد كان علّمَهُ من الأسماءِ

وكان أبو داود يقول : تخليص المعانى رِفق ، والاستعانة بالغريب عجز ، والتشديق فى الإعراب نقص ، والنظر فى عيون الناس عِىّ ، ومسُّ اللحية هُلك ، والخروج عما بُنِىَ عليه الكلام إسهاب . وقال بعضهم يهجو رجلا بالعىّ

مَلِئَ بِبُهْرٍ والتفاتٍ وسِعلةٍ * ومسحة عُثْنُونٍ وفتل الأصابعِ (٣)

ووصف العتابى رجلا بليغاً فقال : كان يظهر ماغمض من الحجة ، ويصوّر الباطل فى صورة الحق ، ويفهمك الحاجة من غير إعادة ولا استعانة ، قيل له : وما الاستعانة ؟ قال : يقول عند مقاطع كلامه ياهناة ، واسمع ، وفهمت ؟ وماأشبه ذلك . وهذا من أمارات العجز ، ودلائل الحصَرَ ! وانما ينقطع عليه كلامه فيحاول وصله بهذا ، فيكون أشدّ لانقطاعه ، وكان أبو داود يقول : رأس الخطابة الطبع ، وعمودها الدُّربة ، وجناحاها رواية الكلام ، وحليها الاعراب ، وبهاؤها تخيُّر اللفظ ، والمحبة مقرونة بقلة الاستكراه

(١) ثبت : متثبت (٢) المنزر : المقل (٣) البهر : تتابع النفس وانقطاعه من الاعياء . والعثنون اللحية

المعانى والالفاظ

قال أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ قال بعض جهابذة الالفاظ ، ونُقّاد المعانى: المعانى القائمة فى صدور الناس ، والمتصوَّرة فى أذهانهم ، المختلجة فى نفوسهم ، المتصلة بخواطرهم ، والحادثة عن فكرهم ، مستورة خفية ، وبعيدة وحشية ، ومحجوبة مكنونة ، وموجودة فى معنى معدومة ، لا يعرف الانسان ضمير صاحبه ، ولا حاجة أخيه ، وخليطه ، ولا معنى شريكه ، والمعاون له على أمره ، وعلى مالا يبلغه من حاجات نفسه الا بغيره ، وانما يحيى تلك المعانى ذكرهم لها ، وإخبارهم عنها ، واستعمالهم اياها . وهذه الخصال هى التى تقرّبها من الفهم ، وتجلّيها للعقل ، وتجعل الخفى منها ظاهرا ، والغائب شاهدا ، والبعيد قريبا ، وهى التى تلخّص الملتبس ، وتحل المنعقد ، وتجعل المهمل مفيدا ، والمقيد مطلقاً ، والمجهول معروفا ، والوحشى مألوفا ، وعلى قدر وضوح الدلالة ، وصواب الاشارة ، وحسن الاختصار ، ودقة المدخل ، يكون ظهور المعنى ، وكلما كانت الدلالة أوضح وأفصح ، وكانت الاشارة أبين وأنور ، كانت أنفع وأنجع فى البيان ، والدلالة الظاهرة على المعنى الخفى هو البيان الذى سمعت الله يمدحه ، ويدعو اليه ، ويحث عليه ، بذلك نطق القرآن ، وبذلك تفاخرت العرب ، وتفاضلت أصناف العجم . والبيان اسم لكل شىء كشف لك عن قناع المعنى ، وهتك لك الحجب دون الضمير ، حتى يفضى السامع الى حقيقته ، ويهجم على محصوله ، كائناً ما كان ذلك البيان ، ومن أى جنس كان ذلك الدليل ، لانّ مدار الأمر ، والغاية التى اليها يجرى القائل والسامع : انما هو الفهم والإفهام ، فبأىّ شىء بلغت الإفهام ، وأوضحت عن المعنى ، فذلك هو البيان فى ذلك الموضع

ثم اعلم حفظك الله انّ حكم المعانى خلاف حكم الالفاظ ، لانّ المعانى مبسوطة الى غير غاية ، وممتدّة الى غير نهاية ، وأسماء المعانى محصورة معدودة ، ومحصّلة

محدودَة ، وجميع أصناف الدلالات على المعانى من لفظ وغير لفظ خمسة أشياء لاتنقص ولاتزيد . أوّلها اللفظ ، ثم الاشارة ، ثم العقْد ، ثم الخط ، ثم الحال التى تسمى نصبة ، والنصبة هى الحال الدالة التى تقوم مقام تلك الاصناف ، ولاتقصر عن تلك الدلالات ، ولكل واحدة من هذه الدلائل الخمسة صورة بائنة من صورة صاحبتها ، وحلية مخالفة لحلية أختها ، وهي التى تكشف لك عن أعيان المعانى فى الجملة ، وعن حقائقها فى التفسير ، وعن أجناسها وأقدارها ، وعن خاصها وعامها ، وعن طبقاتها ، فى السارّ والضارّ ، وعما يكون منها لغوا بهرجا [1] ، وساقطا مطّرحا

وفى نحو قول أبى عثمان (انّ المعانى غير مقصورة ولا محصورة) يقول أبو تمام الطائى لأبى دلف القاسم بن عيسى العجلى

ولو كان يفنى الشعر أفنته ماقَرَتْ * حياضك منه فى العصور الذواهبِ [2]

ولكنه فيض العقول اذا انجلت * سحائب منه أعقبت بسحائبِ

كما أشار الى قول أوس بن حَجَر الاسدى

أقول بما صَبّت علىّ غمامتى * وجهدى فى حبل العشيرة أحطِبُ [3]

وقال بعض البلغاء : فى اللسان عشر خصال محمودة ، أداة يظهر بها البيان ، وشاهد يخبر عن الضمير ، وحاكم يفصل الخطاب ، وواعظ ينهى عن القبيح ، وناطق يردّ الجواب ، وشافع تدرك به الحاجة ، وواصف تعرف به الاشياء ، ومعرب يشكر به الاحسان ، ومُمَرّ تذهب به الاحزان ، وحامد يذهب الضغينة ، ومونق يلهى الاسماع . وقال أبو العباس بن المعتز : لحظة القلب ، أسرع خطرةً من لحظة العين ، وأبعد مجالا ، وهى الغائصة فى أعماق أودية الفكر ، والمتأملة لوجوه العواقب ، والجامعة بين ماغاب وحضر ، والميزان الشاهد على مانفع وضرّ ، والقلب كالمملى للكلام على اللسان اذا نطق ، واليد اذا كتبت ، والعاقل يكسو

(١) بهرج : ردىء (٢) قرت : أخذت (٣) يحطب فى حبل العشيرة أى يستعين بها كما يستعين الحاطب بالحبل

المعانى وشى الكلام فى قلبه ، ثم يبديها بألفاظ كواسٍ فى أحسن زينة ، والجاهل يستعجل باظهار المعانى قبل العناية بتزيين معارضها ، واستكمال محاسنها . وقيل لجعفر بن يحيى البرمكى ما البيان؟قال : أن يكون الاسم يحيط بمعناك ، ويكشف عن مغزاك ، ويخرجه من الشركة ، ولا يستعان عليه بالفكرة ، ويكون سليما من التكلف ، بعيداً من الصنعة ، بريئاً من التعقيد ، غنيا عن التأويل . وذكر سهل بن هارون وقيل ثمامة بن أشرس جعفر بن يحيى فقال : قد جمع فى كلامه وبلاغته الهذّ والتمهل [1] والجزالة والحلاوة ، وكان يُفهم إفهاما يغنيه عن الاعادة للكلام، ولو كان يستغنى مستغن عن الاشارة بمنطقه لاستغنى عنها جعفر ، كما استغنى عن الاعادة . فانه لا يتحبّس ولا يتوقف فى منطقه ولا يتلجلج ، ولا يتسعّل ، ولا يترقب لفظا قد استدعاه من بعد ، ولا يلتمس معنى قد عصاه بعد طلبه له

بشار بن برد

قيل لبشار بن برد : بِمَ فقت أهل عصرك ، وسبقت أهل عصرك ، فى حسن معانى الشعر ، وتهذيب ألفاظه ؟ فقال : لأنى لم أقبل كل ماتورده علىّ قريحتى ، ويناجينى به طبعى ، ويبعثه فكرى ، ونظرت الى مغارس الفطن ، ومعادن الحقائق ولطائف التشبيهات ، فسرت اليها بفهم جيد ، وغريزة قوية ، فأحكمت سيرها ، وانتقيت حُرّها ، وكشفت عن حقائقها ، واحترزت من متكلّفها ، والله ماملك قيادى قط الاعجاب بشىء مما آتى به — وكان بشار بن برد خطيبا ، شاعرا ، راجزا ، سجّاعا ، صاحب منثور ، ومزدوج . ويلقب بالمرعث لقوله

من لظبى مُرعَّثٍ * ساحر الطرف والنظر [2]
قال لى لن تنالنى * قلت أو يغلب القدَر

وليس هذا موضع استقصاء ذكره ، واختيار شعره . وسأستقبل ذلك ان شاء الله

(١) الهذ: السرعة (٢) مرعث : يلبس الرعث وهو القرط

وصية أبي تمام للبحترى

قال الوليد بن عبيد البحترى : كنت فى حداثتى أروم الشعر وكنت ارجع فيه الى طبعى ، ولم أكن أقف على تسهيل مأخذه ، ووجوه اقتضابه ، حتى قصدت أبا تمام وانقطعت فيه إليه ، واتكلت فى تعريفه عليه ، فكان أول ماقال لى : يا أبا عبادة تخيَّر الأوقات وأنت قليل الهموم ، صفْر من الغموم ، واعلم أن العادة جرت فى الاوقات أن يقصد الانسان لتأليف شئ أو حفظه فى وقت السَّحَر ، وذلك أن النفس قد أخذت حظها من الراحة ، وقسطها من النوم ، وإن أردت التشبيب فاجعل اللفظ رقيقاً ، والمعنى رشيقا ، وأكثر فيه من بيان الصبابة ، وتوجُّع الكآبة ، وقلق الاشواق ولوعة الفراق ، فاذا أخذت فى مديح سيد ذى أيادٍ فأشهر مناقبه ، وأظهر مناسبه وأبِن معالمه ، وشرف مقامه ، ونضِّد المعانى[1] واحذر المجهول منها ، وإياك أن تَشين شعرك بالألفاظ الرديئة ، ولتكن كأنك خياط يقطع الثياب على مقادير الأجساد . وإذا عارضك الضجر ، فأرح نفسك ، ولا تعمل شعرك إلا وأنت فارغ القلب ، واجعل شهوتك لقول الشعر الذريعة إلى حسن نظمه ، فان الشهوة نعم المعين[2]

وجملة الحال أن تعتبر شعرك بماسلف من شعر الماضين ، فما استحسن العلماء فاقصده ، وما تركوه فاجتنبه ، ترشد إن شاء الله

قال : فأعملت نفسى فيما قال فوقفت على السياسة

وقالوا : البليغ من يحوك الكلام على حسب الأمانى ، ويخيط الالفاظ على قدود المعانى

(١) نضد : من التنضيد ، وهو ضم بعض الشىء الى بعض (٢) الذريعة : الوسيلة

فضل الليل

ولذكر الطائى الليل ذكر بعض أهل العصر وهو أبو على محمد بن الحسن ابن المظفر الحاتمى الليل فقال: فيه تَجِمُّ الأذهان ،[١] ، وتنقطع الأشغال ، ويصح النظر ، وتؤلف الحكمة ، وتدر الخواطر ، ويتسع مجال القلب . والليل أضوء فى مذاهب الفكر ، وأخفى لعمل البر ، وأعون على صدقة السر ، وتلاوة الذكر ومدبرو الأمور يختارون الليل على النهار ، فيما لم تصف فيه الأناة لرياضة التدبير وسياسة التقدير ، فى دفع الملم ، وإمضاء المهم ، وانشاء الكتب ، وتصحيح المعانى وتقويم المبانى ، وإظهار الحجج ، وإيضاح المنهج ، وإصابة نظم الكلام ، وتقريبه من الأفهام ؛ وقال بعض رؤساء الكتاب : ليس الكتاب فى كل وقت على غير نسخة لم تحرر بصواب ، لأنه ليس أحد أولى بالأناة وبالروية من كاتب يعرض عقله ، وينشر بلاغته ، فينبغي له أن يعمل النسخ ويرويها ، ويقبل عفو القريحة ولا يستكرهها ، ويعمل على أن جميع الناس أعداء له ، عارفون بكتابه منتقدون عليه ، متفرغون اليه ، وقال آخر : ان لابتداء الكلام فتنة تروق ، وجِدة تعجب ، فاذا سكنت القريحة ، وعدل التأمل ، وصفت النفس ، فليعد النظر ، وليكن فرحه باحسانه ، مساوياً لغمه باساءته ، فقد قالت الخوارج لعبد الله بن وهب الراسبى نبايعك الساعة فقد رأينا ذلك فقال : دعوا الرأى حتى يبلغ أناته ، فانه لاخير فى الرأى الفطير ، والكلام القضيب [٢] وقال معاوية بن أبى سفيان رحمه الله لعبد الله بن جعفر : ما عندك فى كذا وكذا فقال : أريد أن أصقل عقلى بنومة القائلة ثم أروح فأقول أبعد ما عندى[٣] ، وقال الشاعر

إن الحديث تغر القوم جلوتهُ * حتى يغيِّرهُ بالوزن مضمارُ [٤]

---

(١) تجم: تستريح (٢) الرأى الفطير : الذى لم ينضج ، والكلام القضيب : المرتجل (٣) نومة القائلة : نومة الظهيرة (٤) الجلوة : الزينة

فعند ذلك تُستكفى بلاغتهُ * أو يستمرُّ به عِيٌّ وإكثارُ

وقالوا كل مُجرٍ بالخلاء يُسَرّ [١] . وقال أبو الطيب المتنبي

وإذا ما خلا الجبان بأرضٍ * طلب الطعن وحده والنِّزالا

وكان قلم ابن المقفع يقف كثيراً فقيل له فى ذلك فقال : ان الكلام يزدحم فى صدرى ، فيقف قلمى ليتخير . وقالوا: الكتاب يُتصفّح أكثر مما يتصفح الخطاب ، لان الكاتب متخيِّر ، والمخاطب مضطر ، ومن يرد عليه كتابك فليس يعلم أأسرعت فيه أم أبطأت ، وانما ينظر أأخطأت أم أصبت ، فابطاؤك غير قادح فى إصابتك ، كما إن إسراعك غير مغطٍّ على غلطك

واجب النساخ

ووصف بعض الكتاب النُّسخ فقال: ينبغى أن يصحبها الفكر الى استقرارها ثم تُستبرأ باعادة النظر فيها بعد اختيارها [٢] ويوسَّع بين سطورها، ثم تحرر على ثقة بصحتها ، وتتأمل بعد التحرير حرفاً حرفاً إلى آخرها . فقد كتب المأمون مصحفاً اجتمع عليه ؛ فكان أوله بسم الله الرحيم فأغفلوا الرحمن ، لان العين لاتعتبر ذلك ثقة أنه لا يغلط فيه حتى فطن المأمون له . وقال محمد بن عبد الملك الزيات للحسن ابن وهب: حرِّر هذه النسخة وبكّر بها ، فتصبَّح الحسن [٣] ، فقال له لم تصبّحت ؟ قال حتى تصفحت ! وقال احمد ابن اسماعيل بطاحة كان بعض العلماء الاغبياء ينظر فى نسخه بعد نفوذ كتبه ، فقال بعض الكتاب

مُسْتَلَبُ اللبِ غَوِىُّ الشبابْ * عذَّبه الهجر أشد العذاب

يؤمل الصبر وأنّى لَهُ * به وقد مُكّن منه التصابْ

كناظرٍ فى نسخة يبتغى * إصلاحها بعد نفوذ الكتاب

---

(١) يريد أن الذى يجرى فرسه بالخلاء يسر بظفره حيث لا مناضل ، وهو مثل فى التهكم (٢) تستبرأ : تجفف (٣) تصبح : تأخر عن الحضور صباحا

صور مختلفة للبلاغة

أوصاف بليغة فى البلاغات على ألسنة أقوام من أهل الصناعات (قال) بعض من ولّد عقائل هذا المنثور ، وألّف فواصل هذه الشذور : تجمّع قوم من أهل الصناعات فوصفوا بلاغتهم ، من طريق صناعاتهم [١] (فقال الجوهرى) أحسن الكلام نظاماً ما ثقبته يد الفكرة ، ونظمته الفطنة ، ووُصل جوهر معانيه ، فى سُموط ألفاظه ، فاحتملته نحور الرواة (وقال العطار) أطيب الكلام ما عجن عنبر ألفاظه بمسك معانيه ، ففاح نسيم نَشقِه ، وسطعت رائحة عَبَقِه ، فتعلقت به الرواة ، وتعطرت به السُّراة (وقال الصائغ) خير الكلام ما أحميته بكير الفكر ، وسبكته بمشاعل النظر ، وخلّصته من خبث الإطناب ، فبرز بروز الابريز ، فى معنى وجيز (وقال الصيرفى) خير الكلام ما نقدته يد البصيرة ، وجلته عين الروية ، ووزنته بمعيار الفصاحة ، فلا نظر يزيّفه ، ولا سماع يبهرجه (وقال الحداد) أحسن الكلام ما نصبت عليه منفخة القريحة ، وأشعلت عليه نار البصيرة ، ثم أخرجته من فحم الإفحام ، ورقّقته بفِطّيس الإفهام [٢] (وقال النجار) خير الكلام ما أحكمت نجر معناه بقَدُوم التقدير ، ونشرته بمنشار التدبير ، فصار باباً لبيت البيان ، وعارضة لسقف اللسان (وقال النجاد) أحسن الكلام ما لُطفت رفارف ألفاظه ، وحُسنت مطارح معانيه ، فتنزهت فى زرابىّ محاسنه عيون الناظرين ، وأصاخت لتمارق بهجته آذان السامعين (وقال المانح) أبين الكلام ما علقت وَذَم ألفاظه ببكرة معانيه [٣] ثم أرسلته فى قليب الفطن [٤] فمتحت به سقاء يكشف الشبهات ، واستنبطت به معنى يروى من ظمأ المشكلات (وقال الخياط) البلاغة قميص : فُجرُّبَّانه البيان [٥] وجيبه المعرفة ، وكمّاه الوجازة ، ودخاريصه الإفهام [٦] ودروزه الحلاوة [٧] ولابس

---

(١) تنسب هذه التعابير للسكاكى (٢) الفطيس : المطرقة (٣) الوذم : الدلو
(٤) القليب : البئر (٥) الجربان . الطوق (٦) الدخاريص : فتحات الازرار
(٧) الدروز : الاطراف الرقاق

جيده اللفظ ، وروحه المعنى (وقال الصباغ) أحسن الكلام مالم تَنْضَ بهجة إيجازه [١] ولم تكشف صبغة إعجازه ، قد صقلته يد الروية من كمود الاشكال ، فراع كواعب الآداب ، وألف عذارى الألباب (وقال الحائك) أحسن الكلام ما اتصلت لُحمة ألفاظه بسَدَى معانيه [٢] فخرج مفوّفا منيراً ، وموشًّى محبَّرا (وقال البزاز) أحسن الكلام ما صدق رقم ألفاظه ، وحسن نشر معانيه ، فلم يستعجم عنك نشر ، ولم يستبهم عليك طَيّ (وقال الرائض) خير الكلام مالم يخرج عن حدّ التخليع ، الى منزلة التقريب ، إلا بعد الرياضة ، وكان كالمهر الذى أطمع أوّل رياضته ، فى تمام ثقافته (وقال الجمّال) البليغ من أخذ بخِطام كلامه ، فأناخه فى مبرك المعنى . ثم جعل الاختصار له عِقالا ، والايجاز له مجالا ، فلم يندّ عن الآذان ، ولم يشذ عن الاذهان (وقال المخنّث) خير الكلام ما تكسرت أطرافه ، وتثنّت أعطافه ، وكان لفظه حُلّة ، ومعناه حِلية [٣] (وقال الخمار) أبلغ الكلام ما طبخته مراجل العلم ، وصفّاه راووق الفهم ، وضمته دِنان الحكمة ، فتمشت فى المفاصل عذوبته ، وفى الافكار رقته ، وفى العقول حِدته (وقال الفقاع) خير الكلام ما أزاحت ألفاظه غباوة الشك ، ورفعت رقته فظاظة الجهل ، فطاب حِساء فطنته ، وعذُب مص جُرَعه (وقال الطبيب) خير الكلام ما إذا باشر دواء بيانه سقم الشبهة ، استطلقت طبيعة الغباوة ، فشفى من سوء التفهم ، وأورث صحة التوهم (وقال الكحّال) كما أن الرمد قذى الأبصار ، فكذا الشبهة قذى البصائر ، فا كحل عين اللكنة بميل البلاغة ، واجْلُ رَمَص الغفلة ، بمرود اليقظة — ثم قال : أجمعوا كلهم على أن أبلغ الكلام ما اذا أشرقت شمسه ، انكشف لَبْسه ، وإذا صدقت أنواءه ، اخضرت أحماؤه [٤]

﴿ فِقر فى وصف البلاغة لغير واحد ﴾ قال اعرابى : البلاغة التقرب

(١) لم تنض : لم تمح (٢) اللحمة والسدى : ما يسدى و يلحم به الثوب
(٣) انه لعجيب أن يرى السكاكى أن التخنث صنعة (٤) الاحماء : جمع حمى وهو المكان يحميه الرجل ويمنعه

من البعيد ، والتباعد من الكلفة ، والدلالة بقليل على كثير — قال عبد الحميد بن يحيى: البلاغة تقرير المعنى فى الأفهام ، من أقرب وجوه الكلام (ابن المعتز) البلاغة البلوغ الى المعنى ولم يطل سفَر الكلام (سهل بن هارون) البيان ترجمان العقول ، وروض القلوب ، وقال : العقل رائد الروح ، والعلم رائد العقل ، والبيان تَرجمان العلم (ابراهيم بن الامام) يكفى من البلاغة أن لا يُؤتى السامع من سوء إفهام الناطق ، ولا يؤتى الناطق من سوء فهم السامعُ (العتابى) البلاغة مدّ الكلام بمعانيه اذا قصر ، وحُسن التأليف اذا طال (اعرابى) البلاغة ايجاز فى غير عجز ، وإطناب فى غير خَطَل ؛ وقيل لليونانى ما البلاغة قال : تصحيح الأقسام ، واختيار الكلام * وقيل للرّومى ما البلاغة ؟ قال حسن الاقتضاب عند البداهة ، والغزارة يوم الاطالة (وقيل للهندى ما البلاغة) قال وضوح الدلالة ، وانتهاز الفرصة ، وحسن الاشارة (وقيل للفارسى) ما البلاغة قال معرفة الفصل من الوصل (وقال على بن عيسى الرمانى) البلاغة ايصال المعنى الى القلب فى حسن صورة من اللفظ

صفة البلاغة والبلغاء

(ومن كلام أهل العصر) فى صفة البلاغة والبلغاء : أبلغ الكلام ما حَسُن ايجازه ، وقلّ مجازه ، وكثر إعجازه ، وتناسبت صدوره وأعجازه — أبلغ الكلام ما يؤنس مسمعه ، ويوئس مضيّعه — البليغ من يجتنى من الألفاظ أنوارها ، ومن المعانى ثمارها — ليست البلاغة أن يطال عنان القلم أو سنانه ، أو يبسط رهان القول وميدانه ، بل هى أن يبلغ أمد المراد بالفاظ أعيان ، ومعان أفراد ، من حيث لا تزيد على الحاجة ، ولا اخلال يفضى إلى الفاقة — البلاغة ميدان لا يقطع الا بسوابق الاذهان ، ولا يسلك الا ببصائر البيان * فلان يعبث بالكلام ، ويقوده بألين زمام ، حتى كأن الالفاظ تتحاسد فى التسابق الى خواطره ، والمعانى تتغاير فى الانثيال على أنامله . هذا كقول ابى تمام الطائى

تغاير الشعر فيه اذ سهرتُ لَهُ * حتى ظننت قوافيه ستقتلُ

— فلان مشرفى المشرق ، وصيرفى المنطق . البيان أصغر صفاته ، والبلاغة عفو خطراته ، كأنما أوحى بالتوفيق الى صدره ، وحسن الصواب بين طبعه وفكره ، — فلان يحز مفاصل الكلام ، ويسبق فيها الى درك المرام ، كأنما جمع الكلام حوله حتى انتقى منه وانتخب ، وتناول منه ما طلب ، وترك بعد ذلك أذنابا لا رءوسا ، وأجسادا لا نفوسا — فلان يرضى بعفو الطبع ، ويقنع بما خفّ على السمع ، ويوجز فلا يخل ، ويطنب فلا يمل — لله فلان أخذ بأزمّة القول يقودها كيف أراد ، ويجنبها أنى شاء ، فلا تعصيه بين الصعب والذلول ، ولا تسلمه عند الحزونة والسهول ، كلامه يشتد مرّة حتى تقول الصخر الأملس ، ويلين تارة حتى تقول الماء أو أسلس ، يقول فيصول ، ويجيب فيصيب ، ويكتب فيطبق المفصل ، وينسق الدر المفصّل ، ويرد مشارع الكلام وهى صافية لم تطرق ، وجامّة لم تُرنّق [1] خاطره البرق أو أسرع لمعا ، والسيف أو أحد قطعا ، والماء أو أسلس جريا ، والفلك أو أقوم هديا ، هو ممن يسهل الكلام على لفظه ، وتتزاحم المعانى على طبعه ، فيتناول المرمى البعيد بقليل سعيه ، ويستنبط المشرع العميق بيسير جريه ، لسانه يفلق الصخور ، ويغيض البحور ، ويسمع الصُّم ، ويستنزل المُصم [2] خطيب لا تناله حُبْسة ، ولا ترتهنه لكنة ، ولا تتمشى فى خطابه رتة ، ولا تتحيّف بيانه عُجْمَة ، ولا تعترض لسانه عُقدة * فلان رقيق الأسلة ، عذب العذبة [3] لو لوضع لسانه على الشعر حلقه ، أو على الصخر فلقه ، أو على الصفاخرقة [4] قد أحسن السفّارة ، واستوفى العبارة ، وأدى الالفاظ ، واستغرق الاغراض ، وأصاب شواكل المراد ، [5] وطبّق مفاصل السداد ، وبسط لسان الخطاب ، ومدّ أطناب الإطناب [6] ، وطلب الأمد فى الإسهاب ، قال حتى قال الكلام لو أعفيت ! وكتب حتى قالت الاقلام قد

(١) جامة لم ترنق : ساكنة لم تعكر (٢) المصم جمع أعصم وهو الوعل يعتصم بالجبال (٣) المراد من الأسلة والعذبة طرف اللسان (٤) الصفا : الصخر (٥) الشواكل : جمع شاكلة وهى ما بين الاذن والصدغ (٦) الاطناب : الحبال

أحفيت ، قد اتسع له مَشْرَع الإطناب ، وانفرج له مَسْلَك الإسهاب ، أرسل لسانه فى ميدانه ، قال وأطال ، وجال فى بسط الكلام كل مجال ، إذا استنفر فى الكلام طفح آذيّه ، وسال أتيّه ، [١] واتئل عليه الكلام ، كانثيال الغمام ، واستجاب له الخطاب ، كصوب الرَّباب [٢] ألفاظ ، كغمزات الألحاظ ، ومعان ، كأنها فلك عان [٣] ألفاظ كما نوّرت الأشجار ، ومعان كما تنفست الاسحار ، ألفاظ قد استعارت حلاوة العتاب ، بين الاحباب ، واستلانت كتشكّى العشاق ، يوم الفراق ، كلام قريب شاسع [٤] ومُطمع مانع ، كالشمس تقرب ضياءً ، وتبعد علاءً أو كالماء ، يرخص موجودا ، ويغلو مفقوداً — كلام لا تمجه الآذان ، ولا تبليه الأزمان كالبشرى مسموعة ، أو أزاهير الرياض مجموعة ، ومعان كأنفاس الرياح ، تعبق بالريحان والراح ، كلام سهل متسلسل ، كالمدام ، بماء الغمام ، يقرب إذنه على الافهام — كلام كبرد الشراب على الأكباد الحرّار ، وبَرْد الشباب فى خَلْع العِذار ، كلام كثير العيون ، سلس المنون ، رقيق الحواشى ، سهل النواحى — كلام هو السحر الحلال ، والماء الزُّلال ، والبرود والحِبَر ، والأمثال والعِبر ، والنعيم الحاضر ، والشباب الناضر . نظرت منه الى صورة الظَّرف بحتاً ، وصورة البلاغة سبكا ونحتاً ، ألفاظ هى خِدَع الدهر وعُقَد السحر — كلام يسرّ المحزون ، ويسهل الحزون [٥] ، ويعطل الدر المخزون ، كلام بعيد من الكُلَف ، نقى من الكَلَف [٦] — كلام كما تنفس السَّحَر عن نسيمه وتبسم الدر عن نظيمه — ألفاظ تأنق الخاطر فى تذهيبها ، ومعان عُنى الفهم بتهذيبها ، ألفاظ حسبتها من رقتها منسوخة فى صحيفة الصبا ، وظننتها من سلاستها مكتوبة فى نحر الهوى — كلام كالبشرى بالولد الكريم ، قُرِعَ به سمع الشيخ العقيم — كلام قرُب حتى أطمع ، وبعُد حتى امتنع ، وقرب حتى صار قاب قوسين أو أدنى ، ثم علا

(١) الآذى : الموج ، والاتى : السيل ، واسحنفرا تسع (٢) الرباب : السحاب
(٣) عان : أسير (٤) شاسع : بعيد (٥) الحزون : جمع حزن بفتح الحاء وهو ماغلظ من الارض (٦) الكلف : تمش فى الوجه ، لم تسلم منه صفحة القمر !

حتى صار بالمنزل الأعلى ، رقيق المزاج ، حلو السماع ، نقيّ السبك ، مقبول اللفظ قرأت لفظاً جليا ، حوى معناخفيا ، وكلاماً قريباً رمى غرضاً بعيداً ، لوأن كلاماً أُذيب به صخر ، أو أطفئ به جمر ، أو عوفى به مريض ، أو جُبر به مَهيض[1] لكان كلامه الذى يقود سامعيه الى السجود ، ويجرى فى القلوب كجرى الماء فى العود ،ألفاظه أنوار ، ومعانيه ثمار ، ، كلامه أنس المقيم الحاضر، وزاد الراحل المسافر ، كلامه يصغى اليه المقبور ، وينتفض له العصفور ، كلام يقضى حق البيان ويملك رِق الحسن والاحسان ، كلام منه يجتنى الدُّر ، وبه يُعقد السحر ، وعنده يُعتِب الدهر[2] ، وله ينشرح الصدر

وصف النثر والشعر

(ومن ألفاظهم فى وصف النظم والنثر والشعر والشعراء) نثر كنثر الورد نظم كنظم العِقد ، نثر كالسحر أو أدق ، ونظم كالماء أو أرق ، رسالة كالروضة الأنيقة ، وقصيدة كالمخدّرة الرشيقة ، رسالة تقطر ظرفا ، وقصيدة تمزج بماء الراح لطفاً ، نثر دسحر البيان ، ونظمه قطع الجمان ، نثر كما تفتّح الزهَر ، ونظم كما تنفّس السَّحر ، نثر ترق نواحيه وحواشيه ، ونظم تروق ألفاظه ومعانيه ، نثر كالحديقة تفتحت أحداق وردها ، ونظم كالخريدة تورّدت أسرار خدها[3] رسالة تضحك عن غُرَر وزَهَر ، وقصيدة تنطوى على حِبَر ودُرَر ، لم ترض فى برك بأخوات النثرة من نثرك ، حتى وصلتها ببنات الشِّعرى من شعرك[4] كلام كما هبَّ نسيم السحر ، على صفحات الزهر ، ولذَّ طعم الكرى بعد بَرْح السهر[5] ، وشعر فى نفسه شاعر ، توسم به المواسم والمشاعر ، كلام أنسى حلاوة الأولاد بحلاوته ، وطلاوة الربيع بطلاوته

(١) مهيض : مكسور (٢) يعتب يصفو : من أعتب اذا ترضى وازال أسباب العتب (٣) الخريدة : الفتاة المخدرة (٤) النثرة : اسم كوكب ،وكذلك الشعرى (٥) برح السهر : شدته

وشعر من حُلة الشباب مسروق ، ومن طينة الوصال مخلوق ، قصيدة فى فنها فريدة ، هى عروس كِسوتها القوافى ، وحليتها المعانى ، شعر يترقرق فيه ماء الطبع ، ويرتفع له حجاب القلب والسمع ، لامزية الاعجاز أخطأته ، ولا فضيلة الايجاز تخطته ، شعر رَوَيته لما رأيته ، وحفظته لما لحظته ، أبيات لو جُعلت خِلعاً على الزمان لتحلى بها مكاثرا ، وتحلى فيها مفاخرا ، شعر راقنى حتى شاقنى ، فانه مع قرب لفظه بعيد المرام ، مستمر النظام ، قوى الأسْر [١] صافى البحر ، نظم قد ألبِس من البداوة فصاحتها ، وغُشِّىَ من الحضارة سَجَاحتها [٢] ، فان شئت قلت عبيد ولبيد ، وإن شئت حبيب والوليد ، قصيدته روضة تجتنى بالافكار ، ونَقْل يُتناول بالاسماع والابصار [٣] ، ونقل العلم والأدب ، ألذ من نقل المأكل والمشرب ، وفاكهة الكلام ، أطيب من فاكهة الطعام ، نظم كنظم الجمان ، وروض كالجنان ، وأمن الفؤاد ، وطيب الرقاد ، قصيدة لم أر غيرها بكراً استوفت أقسام الحُنكة ، واستكملت أحكام الدُّربة [٤] ، فعليها رونق الشباب ، ولها قوة المُذكيات الصلاب [٥] ، روح الشعر وتاج الدهر ، ومقدمة عساكر السحر ، كل بيت شعر ، خير من بيت تِبر ، شعر يُحكم له بالاعجاز والتبريز ، ويُشبّه فى صفاء سبكه بالذهب الابريز ، شعر تأتلف القلوب على درره ائتلافاً ، وتصير الآذان له أصدافا — لله دَرُّه ما أحلى شعره ، وأنقى دُرَّه ، وأعلى قدره ، وأعجب أمره ، قد أخذ برقاب القوافى ، وملك رق المعانى ، فضله برهاق حق ، وشعره لسان صدق ، فلان يُغرب بما يجلب ، ويُبدع فيما يصنع ، حسن السبك ، محكم الرصف ، بديع الوصف ، مرغوب فى شعره ، يُتنافس فى سحره ، هو ضارب فى قِداح الشعر بأعلى السهام ، آخذ فى عيون الفضل بأوفى الأقسام ، شِعاره أشعاره ، ودأبه آدابه ، هو ممن يبتدئه فيبتدع ،

(١) الأسر . إحكام الخلقة (٢) السجاحة . استواء الصورة (٣) النقل . ما يتنقل به من أنواع الفواكه على الشراب (٤) الحنكة . التجربة ، والدربة : التمرين (٥) المذكيات والمذاكى : الخيول بلغت سن القوة

طبعه يملى عليه ، مالا يمل الاستماع اليه ، قريحة غير قريحة ، وطبع غير طبع[١] ، وخيم غير وخيم ، لبيد عنده بليد ، وعبيد لديه من العبيد ، والفرزدق عنده أقل من فرزدقة خمير[٢] وجرير يقاد إليه بجرير[٣] قد نسج حللا لا يبلى جدتها الجديدان ولا تزداد إلا حسنا على تردد الازمان ، نظمه قد نظم حاشيتى البر والبحر ، وأدرك ناحيتى الشرق والغرب ، أشعار قد وردت المياه ، وركبت الأفواه ، وسارت فى البلاد ، ولم تسر بزاد ، وطارت فى الآفاق ، ولم تمش على ساق ، شعره أسير من الأمثال ، وأسرى من الخيال ، سار مسير الرياح ، وطار بغير جناح ، أشعاره سارت مسير الشمس ، وهبت هبوب الريح ، وطبقت تخوم الأرض ، وانتظمت الشرق الى الغرب ، قد كادت الأيام تنشدها ، والليالى تحفظها ، والجن تدرسها ، والطير تتغنى بها ، أبيات أسفر عنها طبع المجد ، فعلمت كيف ينكسر الزهر ، على صفحات الحدائق ، وكيف تغرس الدرة ، فى رياض المهارق[٤] ، شعر قد أحسن خدمته بكمال فكره ، ووقف كيف شاء عند عالى أمره ، شعر يعلق فى كعبة المجد ، ويتوج به مفرق الدهر ، جاءت القصيدة ومعها عزة الملك ، وعليها رواء الصدق ، وفيها سيماء العلم ، وعندها لسان المجد ، ولها صيال الحق ، لا غرو إذا فاض بحر العلم على لسان الشعر ، أن ينتج مالا عين وقعت على مثله ، ولا أذن سمعت بشبهه ، ، شعر يكتب فى غرة الدهر ، ويشرح فى جبهة الشمس

أبو الفضل بن العميد

(وهذه جملة من فصول أهل العصر تليق بهذا الموضع)

كتب أبو الفضل بن العميد الى أبى محمد خلاد الرامهر مزى القاضى «وصل

(١) غير طبع . غير لئيم ، وهى من طبع السيف ، على وزن علم ، اذا ركبه الصدأ الكثير (٢) الفرزدقة : القطعة من العجين (٣) الجرير . الحبل
(٤) المهارق . جمع مهرق ، على صيغة المفعول ، وهو الرسالة

كتابك الذى وصلت جناحه بفنون صِلاتك وتفقُّدك ، وضروب برك وتعهُّدك ، فارتحتُ لكل ما أوليت ، وابتهجت بجميع ما أهديت ، وأضفت إحسانك فى كل فصل الى نظائره التى وكلت بها ذكرى ، ووقفت عليها شكرى ، وتأملت النظم فملكنى العجب به ، وبهرنى التعجب منه ، وقد رمت أن أجرى على العادة : فى تشبيهه بمستحسن من زهر جَنِىّ ، وحُلَل وحُلىّ ، وشذور الفرائد ، فى نحور الخرائد

والعذارى غدون فى الحلل البيـ ـض وقد رُحن فى الخطوط السُّودِ

فلم أره لشىء عَدْلا ، ولا أرضى ماعددته له مثلا ، والله يزيدك من فضله ولا يخليك من احسانه ، ويلهمك من برّ اخوانك ، ما تتمم به صنيعك لديهم ، ويُربُّ معه إحسانك اليهم .

الصاحب بن عباد

وكتب أبو القاسم اسماعيل بن عباد الصاحب الى أبى سعيد الشبيبى

«قد رأى شيخ الدولتين كيف الكاف بسادتى من أهل ميكال أيدهم الله بين ود أضمره على البعد ، وإيثار أظهره على تراخى المزار ، وتقريظ يمليه علىَّ الملَوان [1] ومدح أنطق فيه بلسان الزمان ، حتى إن ذكرهم إذا جرى على لسانى ، اهتزت له نفسى ، وفضلهم إذا جرى على سمعى انفرج له صدرى ، فتلك عصبة خير فضلها باهر ، وشرفها على شرف النماء زاهر ، وشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء ، والله يتمم أعدادها ، ولا يعدمنى ودادها ، وإذا كان إكبارى لهم هذا الاكبار ، فكل منتسب إلى جنبهم أثير لدىَّ [2] ، كثير فى يدىَّ ، وطرأ علىَّ فلان منتسباً إلى جملتهم ، وحبذا الجملة ، ومعتزياً إلى خدمتهم ، ونعمت الخدمة ، ففررناه عن طبع سَمْح [3] ، ولفظ عذب ، وصلة نثر

(١) الملوان . الليل والنهار (٢) أثير . عزيز (٣) ففررناه . اختبرناه ، والفر فى الاصل اختبار أسنان الدابة ليعرف مبلغها من القوة

بنظم ، فان شاء قال أنا الوليد ، وان شاء قال أنا عبد الحميد ، ولم أُعظِم بمن خرّجته تلك النعمة ، ونتجته تلك السُّدّة ، أن يأخذ من كل حسنة بعُرْوة ، ويقدح فى كل نار بجذوة ، وآنسنا بالمقام مُدّة ، أكّدتها شوافع عِدّة ، الى أن تذكر معاهد رأى فيها الدهر طَلَقا ، والزمان غلاما ، والفضل رهنا ، والإفضال لِزاما ، فحنّ حنين الرّكاب ، وركب عزيم الإياب [1]

أبو الفضل الميكالي

(فصل) كتبه الامير أبو الفضل عبيد الله بن احمد الميكالى الى أبى القاسم الداوودى جوابا عن كتاب له ورد عليه . وأبو الفضل رئيس نيسابور وأعملها فى وقتنا هذا ، وسيمر من كلامه ، ونثره ونظامه ، ما يغنى عن التنويه ، ويكفى عن التنبيه ، ويجل عن التشبيه ، ويكون كما قال أبو الحسن الاخفش على بن سليمان « استهدى ابراهيم بن المدبّر أبا العباس محمد بن يزيد جليساً يجمع الى تأديب ولده الإمتاعَ بإيناسه ، فندبنى لذلك ، وكتب اليه معى : قد أنفذت اليك أعزك الله فلانا ، وجملة أمره انه كما قال الشاعر

اذا زرت الملوك فان حسبى * شفيعاً عندهم أن يَخْبُرُونى

(وفصل لأبى الفضل) وقفت على ما أتحفنى به الشيخ : من نظمه الرائق البديع ، وخطه المزرى بزهر الربيع ، مُوشّحاً بغُرر ألفاظه ، التى لو أُعيرت حليتها لعطّلت قلائد النحور ، وأبكار معانيه التى لو قُسّمت حلاوتها لأعذبت موارد البحور ، فسرّحت طرفى منها فى رياض جادتها سحائب العلوم والحِكم ، وهبّ عليها نسيم الفضل والكرم ، وابتسمت عنها ثغور المعالى والهمم ، ولم أدر وقد حيّرتنى أصنافها ، وبهرتنى ثغورها وأوصافها ، حتى كستنى اهتزازاً وإعجاباً ، وأنشأت بينى وبين التماسك سِترا وحجاباً ، ولم أدر أدهمتنى لها نشوة راح ، أم ازدهتنى نغمة

(١) العزيم : الجرى الشديد

ارتياح ، وانتظم عندى منها عِقد ثناء وقريض ، أم قرع سمعى منها غناء معبد وغريض ، وكيفما كان فقد حوى رتبة الإعجاز والابداع ، وأصبح نزهة القلوب والأسماع ، فما من جارحة إلا وهى تودّ لو كانت أذنا فتلتقط دره وجواهره ، أو عينا تجتلى مطالعه ومناظره ، أو لساناً يدرس محاسنه ومفاخره

وله فصل من كتاب إلى أبى منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل الثعالبى «وصل كتاب مولاى وسيدى ، أبدع الكتب هوادىَ وأعجازا [1] ، وأبرعها بلاغةً وإعجازا ، فحسبت ألفاظه دَرّ السحاب ، أو أصفى قطراً وديمة ، ومعانيه دُرّ السُّخاب [2] ، بل أوفى قدراً وقيمة. وتأملت الابيات فوجدتها فائقة النظم والرصف عبقة النسيم والعَرف ، فائزة بقداح الحسن والظرف ، مالكة لزمام القلب والطرف ولا غرو أن يصدر مثلها عن ذلك الخاطر ، وهو هَدَف الفِقر والنوادر ، وصَدَف الدرر والجواهر ، والله يمتعه بما منحه من هذه الغُرر والأوضاح ، كما أطلق فيه ألسنة الثناء والامتداح

أبو منصور الثعالبى

وأبو منصور هذا يعيش الى وقتنا هذا ، وهو فريد دهره ، وقريع عصره ، ونسيج وحدِه ، وله مصنفات فى العلم والأدب ، تشهد له بأعلى الرتب ، وقد فرقت ما اخترته منها فى هذا الكتاب ، مع ما تعلق بشاكلته من الخطاب * منها من كتاب سماه « سحر البلاغة » قال فى صدر هذا الكتاب « أخرجت بعضه من غُرَر نجوم الارض ، ونُكَت أعيان الفضل ، من بلغاء العصر ، فى النثر ، وحلت بعضه من نظم أمراء الشعر ، الذين أوردت مُلَح أشعارهم فى كتابى المترجم بيتيمة الدهر ، فلففت جميع ذلك وحررته ، وسقته ونسقته ، وأنفقت عليه مارُزِقته ، وعملته بكد الناظر ، وجُهد الخاطر ، وتعب اليمين ، وعرق الجبين ،

(١) الهوادى والاعجاز : البدايات والنهايات (٢) السخاب : قلادة من القرنفل

وتعمدت فيه لذة الجِدّة ، ورونق الحداثة ، وحلاوة الطَّراوة ، ولم أشُبه بشيء من كلام غير أهل العصر ، الا فى قلائل وقلائد ، من ألفاظ الجاحظ وابن المعتز ، تخللت أثناءه ، وتوشحت تضاعيفه ، ولم أخل كلماته التى هى وسائط الآداب ، وصياقل الألباب ، وما تستمتعه أنفس الادباء ، وتلذ أعين الكتاب ، من لفظ صحيح ، أو معنى صريح ، أو تجنيس أنيس ، أو تشبيه بلا شبيه ، أو تمثيل بلا مثيل ، ولا عديل ، واستعارة مختارة ، أو طِباق ، ذى رونق باق ، فمن رافق هذا الكتاب قرب تناوله من الكتّاب ، إذا وشّوا ديباجة كلامهم بما يقتبسونه من نوره ، وسماحة قياده لأفراد الشعراء إذا رصعوا عقود نظامهم بما يلتقطونه من شذوره ، فاما المخاطبات والمحاورات ، فانها تتبرّج بغرة من غرره ، وتُتوج بدرة من درره

ألفاظ أهل العصر

وقد ذكر من أخرج معظم كتابه من نثرهم ونظمهم ، وهم الصابيان والخالديان ، وبديع الزمان ، وأبو نصر بن المرزبان ، وابن أبى العلاء الاصبهانى ، وأبو الطيب المتنبى ، وأبو الفتح البستى ، وأبو الفضل الميكالى ، وشمس المعالى ، والصاحب بن عباد ، وجماعة يكثر بهم التعداد ، قد ذكرهم فى كتابه

فكل مامرّ أو يمر من ذكر ألفاظ أهل العصر فمن كتابه نقلت ، وعليه عوّلت

وفى أبى منصور يقول أبو الفتح على بن محمد البستى

قلبى رهينٌ بنيسابورَ عند أخٍ * مامثلُهُ حين تُستقرى البلاد أخُ

له صحائف أخلاق مهذبةٍ * من الحِجا والعلى والظرفُ تنتسخُ

وأما الذين ذكر أسماءهم فى كتابه فسأظهر من سرائر شعرهم الرصين ، وأجلو من جواهر نثرهم الثمين ، ما أخذ من البلاغة باليمين

رسائل الميكالى

(فصل لأبى الفضل) وصل كتاب الشيخ المبشر من خبر سلامته التى هى غرة الزمان البهيم[١]، وعذر الدهر المليم[٢]، بما أشرقت له آفاق الفضل والكرم وتمت به نفائس الآلاء والنِّعم ، فسرحت طرفى من محاسن ألفاظه ، فى أنوار تروق أزاهرها ، وقلائد تروع دررها ، وجواهرها ، ومبارّ يسترق الرقاب باطنها وظاهرها[٣]

وله الى أبى سعيد بن خلف الهمدانى :

وصل كتابك متحملًا من أخبار سلامتك ، وآثار نعم الله بساحتك ، ما أدّى روح البر ونسيمه ، وجمع فنون الفضل وتقاسيمه ، ومجددا عندى من عمر مواصلته ، ومعسول كلامه ومحاورته ، ما ترك غصن المِقة غضًّا تروق أوراقه[٤] ووجه الثقة طَلْقاً يتهلل إشراقه ، فكم جنيت عنه من ثمر مسرة كانت عوائق الأيام تجاذِبُنيه ، وحويت به من عِلْق مَضَنَّة قلما يجود الدهر بمثله لبنيه[٥]

وله فصل الى بعض الحكام بجوين :

« وصل كتاب الحاكم قد وشّحه بمحاسن فِقره ، ونتائج فِكره ، من لفظ شهىّ أعطته القلوب فضل المقادَة ، ومعنى سنىٍّ جاده صوب الاصابة والاجادة ، وبِرٍّ هنىٍّ اتفقت على الاعتراف بفضله ألسنة الثناء والشهادة ، فسرَّحت طرفى فيما حواه من بدائع وطُرف ، قد جمعت فى الحسن والاحسان بين واسطة وطَرَف حتى لم تبق فى البلاغة يتيمة الا نظمتها ، ولا فى الظَّرف غنيمة الا اقتسمتها ، ولا فى البر نقيصة الا جبرتها وتممتها

وله الى الأمير السيد أبيه يهنئه بالقدوم

(١) البهيم : المظلم (٢) المليم : المذنب (٣) مبار : جمع مبرة (٤) المقة : الحب (٥) العلق : الشىء النفيس

كتبت وأنا بمنزلة من ارتد اليه شبابه بعد المشيب ، وارتدى برداء من العمر قشيب [١] والحمد لله رب العالمين ، وصل كتاب مولاى مبشراً من خبر عوده الى مقر عزه وشرفه ، محروسا فى حفظ الله وكنفه ، بمالم تزل الآمال تتنسَّم روائحه ، وتترقب غاديَ صنع الله فيه ورائحه ، واثقة بأن عادة الله الكريمة عنده تسايره وترافقه ، وتلزم جنابه فلا تفارقه ، حتى تخرجه من غمرة الغَمَاء ، خروج السيف من الغِمْد ، والبدر بعد السِّرار ، الى الانجلاء ، فعددت يوم وروده عيداً أعاد عهد السرور جديداً ، وردّ طرف الحسود كليلا وقد كان حديدا ، ولم أشبهه فى اهداء الرَّوح والشفاء ، وتلا فى الروح بعد أن أشفى على المكروه كل الإشفاء [٢] إلا بقميص يوسف حين تلقّاه يعقوب عليه السلام من البشير ، وألقاه على وجهه فنظر بعين البصير ، فكم أوسعته لثما واستلاما ، والتقطت منه برداً وسلاما ، حتى لم تبق غلة فى الصدر إلا بَرَدْتُها ، ولا غمه فى النفس إلا طردتها ولا شريعة من الأنس إلا وردتها

وله فصل من رسالة

وكان فرط التعجب مَرّة ، وعِظم الاعجاب تارة ، يقف بى عند أول فصل من فصوله ، ويثبطنى من استيفاء غرره وحجوله ، ويوهمنى ان المحاسن ما حوته قلائده ، ونظمته فرائده ، فليس فى قوس احسان وراءها مِنْزَع [٣] ولا لاقتراح جَنان فوقها مُتطلَّع ، حتى اذا جاوزتة الى لفقه وتزيينه ، وأجلت فكرى فى نكته وعيونه ، رأيت مايحير الطرف ، ويعجز الوصف ، ويعلو على الأول محلا ومكاناً ويفوقه حسناً واحساناً ، فرتعت كيف شئت فى رياضه وحدائقه ، واقتبست نور الحكم من مطالعه ومشارقه ، وسلمت لمعانيه وألفاظه فضيلة السبق والبراعة ،

(١) قشيب : جديد (٢) أشفى على المكروه : أشرف عليه (٣) منزع ، على وزن منبر ، السير الذى ينتزع به ، ويقولون : لم يبق فى قوس الصبر منزع ، يريدون ان الصبر نفدت أسبابه

وتلقيها بواجبها من النشر والإذاعة ، فانها جمعت الى حسن الايجاز ، درجة الإعجاز ، والى فضيلة الإبداع ، جلالة الموقع فى القلوب والأسماع

وله من فصل :

« وصل كتاب الشيخ فنشر عندى من حُلل إفضاله واكرامه ، ومحاسن خطابه وكلامه ، مالم أشبّهه الا بأنوار النجود[1] وحَبَر البرود ، وقلائد العقود

وصف الامير أبى الفضل

وذكر أبو منصور الثعالبى الأمير أبا الفضل فى كتاب فقه اللغة فقال فى بعض فصوله : من أراد أن يسمع سر النظم ، وسحر الشعر ، ورُقية الدهر ، ويرى صَوْب العقل ، وذَوْب الظَّرف ، ونتيجة الفضل ، فليستنشد ما أسفر عنه طبع مجده وأثمره عالى فكره ، من مُلَح تمتزج بالنفوس لنفاستها ، وتُشرب بالقلوب لسلاستها

قوافٍ اذا ما رواها المشو * ق هزت له الغانيات القُدُودا

كسون عبيداً ثياب العبيـ * ـد وأضحى لبيد لديها بليدا

وايم الله مامرّ يوم أسعفنى فيه الزمان بمواجهة وجهه ، وأسعدنى بالاقتباس من نوره ، والاغتراف من بحره ، فشاهدت ثمار المجد والسؤدد تنتثر من شمائله ، ورأيت فضائل الدهر عيالا على فضائله ، وقرأت نسخة الفضل والكرم من ألحاظه ، وانتهبت فضائل الفوائد من ألفاظه ، إلا تذكرت ما أنشدنيه أدام الله تأييده لابن الرومى

لولا عجائب صنع الله ما ثبتت * تلك الفضائل فى لحم ولا عَصَبِ

وقول الطائى

فلو صوَّرْتَ نفسك لم تزدها * على ما فيك من كرم الطباعِ

(١) النجود : جمع نجد ، وهو ما ارتفع من الارض ، وفيه ينبع الزهر

وقول كُشاجم

ما كان أحوج ذا الكمال الى * عَيْبٍ يُوَقيه من العَيْنِ

وربّعت بقول أبي الطيب

فان تفق الأنام وأنت منهم * فان المسك بعض دم الغزالِ

ثم استعرت فيه بيان أبي اسحق الصابي حيث يقول للصاحب «ورثه الله أعمارها كما بلّغه فى البلاغة أنوارها» شعر

الله حسبي فيك من كل ما * تعوّذ العبد على المولى

فلا تزل ترفل فى نعمةٍ * أنت بها من غيرك الأولى

وقال فى فصل منه «وما أنسَ لا أنسَ أيامي عنده بفير وزاباد احدى قراه برستاق جوين ، سقاها الله مايحكى أخلاق صاحبها من سيل القطر ، فانها كانت بطلعته البدرية ، وعشرته العطرية ، وآدابه العلوية ، وألفاظه اللؤلؤية ، مع جلائل نعمه المذكورة ، ودقائق كرمه المشكورة ، وفوائد مجالسه المعمورة ، ومحاسن أقواله وأفعاله ، التى يعيا بها الواصفون ، ، أنموذجات من الجنة ، التى وعد المتقون وإذا تذكرتها فى تلك المرابع ، التى هى مراتع النواظر ، والمصانع ، التى هى مطالع العيش الناضر ، والبساتين التى إذا أخذت بدائع زخارفها ، ونشرت طرائف مطارفها ، طُوِى لها الديباج الخسروانى ، ونُفِى معها الوشى الصنعانى ، فلم تشبَّه إلا بشِيَمِهِ ، وآثار قلمه ، وأزهار كلمه ، ، تذكرت سِحراً وسيما ، وخيراً عميما ، وارتياحا مقيما ، وروحا وريحانا ونعيما . وكثيراً ما أحكى للاخوان انى استغرقت أربعة أشهر بحضرته ، وتوفرت على خدمته ، ولازمت فى أكثر أوقاتى عالى مجلسه ، وتعطرت بغبار موكبه ، فبالله يمينا كنت غنيا عنها لو خفت إثمها ، أنى ما أنكرت طرفا من أخلاقه ، ولم أشاهد الا مجداً وشرفاً من أحواله ، وما رأيته اغتاب غائباً أو سبَّ حاضراً ، أو حرم سائلا ، أو خيَّب آملا ، أو أطاع سلطان الغضب

فى الحضَر ، أو تسلى بنار الضجر فى السفر ، أو بطش بطش المتجبر ، ولا وجدت المآثر إلا ما يتعاطاه ، والمآثم إلا ما يتخطاه

وقال فى فصل منه يصفه « وأما فنون الأدب فهو ابن بَجْدتها[1] وأخو جملتها وأبو عُذرها[2] ومالك أزمتها ، وكأنما يوحى إليه فى الاستئثار بمحاسنها ، والتفرد ببدائعها ، ولله هو إذا غرس الدر فى القراطيس ، وطرَّز بالظلام رداء النهار ، وألقت بحار خواطره ، جواهر البلاغة على أنامله ، فهناك الحسن برُمَّته ، والحسن بكليته

أمراء البيان

وذكر عمر بن على المطوعى فى كتاب ألفه فى شعر أبى الفضل ومنثوره والشعراء فقال : رأيت أهل هذه الصناعة قد تشعبوا على طرق ، وانقسموا على ثلاث فِرق ، فمنهم من اكتسى كلامه شرف الاكتساب ، دون شرف الانتساب ، كالمكتسبين من الشعراء بالمدائح ، المترشحين بها لأخذ الجوائز والمنائح ، وهم الاكثرون من أهل هذه الصناعة ، ومنهم من شرفت بنات فكره عند أهل العقول ، وجلبت لديهم فضائل القبول ، لشرف قائلها لا لكثرة عقائلها ، وكرم واشيها لا لرقة حواشيها ، كالعدد الكثير ، والجم الغفير ، من الخلفاء والأمراء والجِلة والوزراء ، ومنهم من أخذ بحبل الجودة من طَرَفَيْهِ ، وجمع رداء الحسن من حاشِيَتَيْهِ ، كامرئ القيس بن حجر الكندى فى المتقدمين ، وهو أمير الشعراء غير مُنازَع ، وسيدهم غير مجاذَب ولا مدافَع ، وعبد الله بن المعتز بالله أمير المؤمنين فى المولدين ، وهو أشعر أبناء الخلافة الهاشمية ، وأبرع انشاء الدولة العباسية ، ومن جلَّ كلامه فى التشبيه ، عن أن يُمثل بنظير أو شبيه ، وغلت أشعاره

(١) ابن بجدتها . هو الخبير بها ، وتقول . فلان عالم ببجدة أمرك ، أى بحقيقته

(٢) أبو عذرها . العذر : البكارة ، وأبو عذرها أول من افتضها ، كناية عن المهارة فى أمر من الامور

فى الأوصاف ، عن أن تتعاطاها ألسنة الوُصَّاف. والأمير أبى فراس بن حمدان فارس البلاغة ، ورجل الفصاحة ، ومن حكمت له شعراء العصر قاطبة بالسيادة ، واعترفت لكلامه بالاحسان والاجادة ، حتى قال أبو القاسم اسماعيل بن عباد الصاحب : بدئ الشعر بملك وختم بملك ، يعنى امرأ القيس وأبا فراس ، وهذه الطائفة أشهر الثلاثة تقدماً ، وأثبتها فى مواطن الفخر ومواطئ الشرف قدما ، وأسبق الشعراء فى ميدان البلاغة ، وأرجحهم فى ميزان البراعة ، فان الكلام الصادر عن الأعيان والصدور ، أقر للعيون وأشفى للصدور ، فشرف القلائد بمن قلَّدها ، كما أن شرف العقائل بمن ولَّدها

وخير الشعر أكرمه رجالاً * وشر الشعر ما قال العبيدُ

وإذا اتفق من اجتمعت فيه هذه الشرائط ، وانتظمت عنده هاتيك المحاسن ، كان خليقاً بأن تُخلَّد فى صحائف القلوب أشعاره ، وتُدوَّن فى ضمائر النفوس آثاره ، وتكتب على الأحداق والعيون أخباره ، وجديراً بأن يختص بسرعة المجال فى المجالس ، وخفة المدار فى المدارس ، كالأمير الجليل السيد مولانا

أبى الفضل من نال السماء بفضله * ومن وعَدَتهُ نفسه بمزيدِ
تود عقود الدر لو كنَّ لفظَهُ * فينظمها من تَوْأمٍ وفريدِ

وصف البلاغة

وهذه مقطعات لأهل العصر فى وصف البلاغة . قال أبو الفتح البُستى

مدحتك فالتامت قلائد لم يفُزْ * بأمثالها الصِّيد الكرام الأعاظمُ
لأنك بحرٌ والمعانى لآلئ * وفكرى غوَّاصٌ وشعرى ناظمُ

وقال أيضاً

ما إن سمعت بنُوَّارٍ له ثمرٌ * فى الوقت يُمْتع سمع المرء والبصرا
حتى أتانى كتابٌ منك مبتسمٌ * عن كل لفظ ومعنى يشبه الدُّررا

فكان لفظك فى لألائه زهرًا * وكان معناه فى أثنائه ثمرا
تسابقا فأصابا القصد فى طلَقٍ * لله من ثمر قد سابق الزهرَا

وقال أيضاً :

لما أتانى كتاب منك مبتسمٌ * عن كلّ بِرٍّ ولفظ غير محدودِ
حكَتْ معانيه فى أثناء أسطرِهِ * آثارك البيضَ فى أحوالى السُّودِ

كأنه ألمّ بقول الطائى

يرى أقبح الاشياء أوبة آملٍ * كسبها يدالمأمول حُلّة خائبِ
وأحسن من نَوْرٍ تفتحه الصَّبا * بياضُ العطايافى سوادِ المطالب

وقال أبو الفتح البستى فى أبى نصر أحمد بن على الميكالى

جمع الله فى الأمير أبى نص * رٍ خِصالاً تعلو بها الأقدارُ
راحةً بَرَّةً وصدراً فَضاءً * وذكاءً تبدو له الأسرار
خَطُّهُ روضة وألفاظه الأز * هار يضحكن والمعانى ثِمارُ

وقال عمر بن على المطوعى يمدح أبا الفضل الميكالى من قصيدة

والى الأمير بن الأمير المعتلى * بكمال سُؤددهِ على الأُمراءِ
وطِئت بىَ الوجناء وجنة مَهْمَهٍ * متقاذفِ الأكنافِ والأرجاء(١)
كيما ألاحظَ منه فى أفق العلى * فَلَكاً يدير كواكب العلياء
كالبدر غير دوامه متكاملا * كالبحر غير عذوبةٍ وصفاءِ
بالفضل يُكنى وهو فيه كامنٌ * كالرِّى يكمن فى زُلال الماءِ
يامن إذا خط الكتاب يمينهُ * أهدى الينا الوشى من صنعاءِ
لم تجر كفك فى البياض مُوقّعاً * إلا تجلّت عن يد بيضاءِ
قَرْمٌ يداه وقلبه مامنهما * فى النظم والإعطاء إلا الطائى(٢)

(١) الوجناء . الناقة الصلبة ، من الوجين وهى الارض الغليظة — المهمة : الوادى المقفر — متقاذف الأكناف : متباعد الاطراف (٢) القرم : السيد — الطائى

وقال فيه أيضا

كلام الأمير النَّدْب فى ثنى نظمهِ * ينوب عن الماء الزلال لمن يظما [١]
فنروى متى نروى بدائع نظمهِ * ونظما إذا لم نرو يوما له نظما

وكتب اليه أيضاً

أقول وقد جادت جفونى بأدمعٍ * كأنى قد استمليتهن من السُّحْبِ
وقد عَلِقَتْ بى للنزاع نوازعٌ * كتبين مُعاناة العناء على قلبى
إلى سيِّدٍ أوفى على الشمس قدرُهُ * وزادت معاليه ضياءً على الشهب
أبى الفضل من راحت فواضل كفهِ * وراحته تُربى على عدد الترب [٢]
سقى الله أرضاً حلّ فيها سحائبا * كنائله الفيَّاض أو لفظه العذْبِ
سحائب يحدوها نسيمٌ كخُلْقِهِ * ويقدمها برق كصارمه العضْبِ [٣]
ولا زال أفلاك السعود مُطيفةً * بحضرته تغتابها وهو كالقُطْبِ

وقال أبو منصور الثعالبى للأمير أبى الفضل :

لك فى الفضائل معجزات جمة * أبداً لغيرك فى الورى لم تُجْمَعِ
بَحران بحرٌ فى البلاغة شابَهُ * شعر الوليد وحسن لفظ الأصمعى
كالنور أو كالسِّحر أو كالدُّرّ أو * كالوشْىِ فى بردٍ عليه مُوشَّعِ [٤]
شكراً فكم من فَقْرَةٍ لك كالغنى * وافى الكريم بُعَيْدَ فقر مُدْقِعِ [٥]
واذا تفتّق نَوْر شعرك نضراً * فالحسن بين مُرَصَّعٍ ومصَرَّعِ
أرجلت فرسان الكلام ورضت أو * راس البديع وأنت أمجد مُبدعِ
ونقشت فى فصِّ الزمان بدائعاً * تزرى بآثار الربيع المُمرعِ [٦]

فى الكرم هو حاتم ، وفى النظم أبو تمام (١) الندب : الشهم (٢) تربى : تزيد
(٣) الصارم العضب : السيف القاطع (٤) موشع : ذو رقوم وطرائق (٥) فقر مدقع : شديد ، لصق صاحبه بالدقعاء وهى التراب (٦) الممرع : المملوء بالكلأ والعشب

يامُهْدِىَ الطِّرف الجواد كأنما * قد أنعلوه بالرياح الأربع[١]
لا شئ أسرعُ منه إلا خاطرى * فى شكر نائلك اللطيف المَوْقع
ولو انى أنصفت فى إكرامهِ * لجلال مُهْدِيه الكريم الأروَع[٢]
أنظمتهُ حَبّ القلوب لحبّهِ * وجعلت مربطه سواد المدمع
وخلعت ثم قطعت غير مضيّقٍ * بُرْد الشباب لجلّه والبُرقع

وكتب اليه فى جواب كتاب ورد عليه

أنسيمُ الرياض حول الغدير * مازجته رَيَّا الحبيب الأثير[٣]
أم بُرُودُ البشير بالنجح من فك * أسيرٍ أو يُسر أمر عسير
فى مُلاءٍ من الشباب جديدٍ * تحت أيك من التصابى نضير[٤]
أم كتاب الأمير سيدنا الفر * د فياحبذا كتاب الأمير
وثمار الصدور ما أجتنيهِ * من سطور فيها شفاء الصدور
نمّقتها أناملٌ تفتق الأنوا * رَ والزهر فى رياض السطور
كالمُنى قد جُمِعْنَ فى النِّعم الغُرّ * مع الأمن من صروف الدهور
يا أبا الفضل وابنه وأخاهُ * جلّ باريك من لطيف خبير
شِيَمٌ يرتضعن دَرَّ المعالى * ويُعبِّرْن عن نسيم العبير
وسجايا كأنهنّ لدى النشـ * ـرِ رُضاب الحَيا بأزكى مَشُور[٥]
ومُحيًّا لدى الملوك محيًّا * صادق البشر مُخجل للبدور

فأجابه أبو الفضل بأبيات يقول فيها فى صفة أبياته

وهَدِيٍّ زُفَّت الى السمع بكرٍ * تتهادى فى حلية وشُذُورِ[٦]

---

(١) الطرف : الحصان (٢) الاروع : الذكى الروع، بضم الراء، وهو الفؤاد
(٣) الأثير . العزيز (٤) الأيك . الشجر الملتف (٥) الأرى . العسل، والمشور المصفى ، تقول . شار العسل واشتاره إذا صفاه من الاقراص
(٦) الهدى . على وزن غنى ، هى العروس ، والشذور قطع الذهب

عجب الناس أنْ بدت من سوادٍ * فى بياضٍ كالمسك فى الكافورِ
نُظِمت فى بلاغةٍ من معانٍ * مثل نظم العقود فوق النحورِ
كم تذكرت عندها من عهودٍ * للتلاقى فى ظل عيش نضيرِ
فذممت الزمان اذ ضنَّ عنا * بأجتماع يضم شمل السرورِ
ولئن راعنا الزمان ببينٍ * ألبس الأنس ذِلَّة المهجورِ
فعسى الله أن يعيد اجتماعاً * فى أمانٍ من حادثات الدهورِ
إنه قادر على ردِّ ما فا * ت وتيسير كل أمرٍ عسيرِ

الوزير المهلبى

وقال أبو اسحق ابراهيم بن هلال الصابى فى الوزير المهلبى

قل للوزير أبى محمد الذى * قد أعجزت كل الورى أوصافُهُ
لك فى المجالس منطق يشفى الجوى * ويسوغ فى أذن الأديب سُلافُهُ
وكأنَّ لفظك جوهر متنخَّلٌ * وكأنما آذاننا أصدافُهُ (١)

والمهلبى هذا هو أبو محمد الحسن بن هارون بن ابراهيم بن عبد الله بن يزيد ابن حاتم بن قبيصة بن المهلب ، وُزِّر لأحمد بن بويه الديلمى ، وكانت وزارته سنة تسع وثلاثين وثلثمائة ، وكان أبو محمد من سَرَوات الناس ، وأدبائهم ، وأجوادهم ، وأعِفّائهم ، وفيه يقول أبو اسحق الصابى

نِعَم الله كالوحوش فما تأ * لف الا الأخاير النُّسّا كا
نفرتها آثام قوم وصيَّر * ن لها البرّ والتقى أشراكا

وكان قبل اتصاله بالسلطان سائحاً فى البلاد ، على طريق الفقر والتصوّف ، قال أبو على الصوفى كنت معه فى بعض أوقاته أماشيه فى إحدى طرقاته فضجر لضيق الحال فقال

(١) متنخل . بالخاء المعجمة مختار

ألاَ موتٌ يباع فأشتريهِ * فهذا العيش ما لا خير فيهِ
ألا رَحِمَ المهيمن نفس حرٍّ * تصدّق بالوفاة على أخيهِ

ثم تصرَّف بما يرضيه الدهر ، وبلغ المهلبي مبلغه. قال أبو علي : دخلت البصرة فاجتزت بسُرَّ من رأى ، واذا أنابنا شطيات وحراقات وزيارب وطيارات في عُدّة وعدد[1] فسألت لمن هذا فقيل للوزير المهلبي ونعتوا لي صاحبي ، فوصلت اليه حتى رأيته ، فكتبت اليه رقعة وتوصلت حتى دخلت فسلمت وجلست حتى خلا مجلسه فدفعت اليه الرقعة وفيها

ألا قل للوزير بلا احتشامٍ * مقال مذكّر ما قد نسيهِ
أتذكر إذ تقول لضيق عيشٍ * ألا موتٌ يباع فأشتريهِ

فنظر اليَّ وقال : نعم ثم نهض وأنهضني معه الى مجلس الأُنس ، وجعل يذاكرني ماضي ، ويذكر لي كيف ترقت حاله ، وقدم الطعام فطعمنا ، وأقبل ثلاثة من الغلمان على رأس أحدهم ثلاث بِدر[2] ، ومع الآخر تخوت وثياب ، ومع الآخر طِيب وبخور ، وأقبلت بغلة رائعة بسرج ثقيل ، فقال : يا أبا علي تفضل بقبول هذا ولا تتخلف عن حاجة تعرض لك . فشكرته وانصرفت ، فلما هممت بالخروج من الباب استردني وأنشدني بديها

رقَّ الزمان لفاقتي * ورثى لطول تحرُّقي
وأنالني ما أرتجي * وأجار مما أتَّقي
فلأغفرنَّ له الكثـ ـير من الذنوب السُّبَّقِ
إلاَّ جنايته التي * فعلَ المشيب بمَفْرَقي

(١) الحراقات . السفن ، والزيارب المذهبات ، والطيارات الخيول السريعة الجرى كأنها تطير (٢) البدر : جمع بدرة وهي كيس الدنانير

الحكمة ضالة المؤمن

قال بعض العلماء : العقول لها صُور مثل صور الأجسام ، فاذا أنت لم تسلك بها سبيل الأدب حارت وضلت ، وان بعثتها فى أوديتها كلّت وملّت ، فاسلك بعقلك شِعاب المعانى والفهم (١) ، واستبقه بالجام للعلم (٢) وارتد لعقلك أفضل طبقات الأدب ، وتوقّ عليه آفة العطب ، فان العقل شاهدك على الفضل ، وحارسك من الجهل . واعلم أن مغارس العقول كمغارس الأشجار ، فاذا طابت بقاع الارض للشجر زكا ثمرها ، وإذا كرمت النفوس للعقول طاب خيرها ، فاغمر نفسك بالكرم تسلم من الآفة والسقم ، واعلم أن العقل فى النفس اللئيمة ، بمنزلة الشجرة الكريمة ، فى الارض الذميمة ، ينتفع بثمرها على خبث المغرس ، فاجتن ثمر العقول وإن أتاك من لئام الأنفس . وقيل : الحكمة ضالة المؤمن ، أينما وجدها أخذها . وسمع الشعبى الحجاج بن يوسف وهو على المنبر يقول : أما بعد فان الله كتب على الدنيا الفناء وعلى الآخرة البقاء ، فلا فناء لما كتب عليه البقاء ، ولا بقاء لما كتب عليه الفناء ، فلا يغرنكم شاهد الدنيا عن غائب الآخرة ، وأقصروا من الأمل ، لقِصَر الأجل . فقال : كلام حكمة خرج من قلب خَرِب ! وأخرج ألواحه فكتب . وقد روى ذلك عن سفيان الثورى . وقد سُمع ابراهيم بن هشام وهو يخطب المنبر ويقول : إن يوماً أشاب الصغير ، وأسكر الكبير ، ليومٌ شره مستطير !

وصف الكتاب

قال الجاحظ : الكتاب وعاء مُلئ علما ، وظَرْفٌ حُشى ظَرفا ، وبستان يُحمل فى رُدُن (٣) وروضة تقلّب فى حِجر ، ينطق عن الموتى ، ويترجم كلام الأحيا

(وقال) من صنف كتابا فقد استهدف (٤) فان أحسن فقد استعطف ، وإن

(١) الشعاب جمع شعب بكسر الشين وهو الطريق فى الجبل (٢) الجام بكسر الجيم الراحة (٣) الردن . الكم (٤) استهدف : صير نفسه هدفا للسهام النقد

أساء فقد استقذف [1] وقال : لا أعلم جاراً أبرّ ، ولا خليطاً أنصف ، ولا رفيقا أطوع ، ولا معلما أخضع ، ولا صاحبا أظهر كفاية ، وأقل جناية ، ولا أقل إملالا وإبراما ، ولا أقل خلافا وإجراما ، ولا أقل غيبة ، ولا أبعد من عضيهة [2] ولا أكثر أعجوبة وتصرفا ، ولا أقل صلفا وتكلفا ، ولا أبعد من مراء ، ولا أترك لشغب ، ولا أزهد فى جدال ، ولا أكف عن قتال ، من كتاب . ولا أعلم قرينا أحسن مُواتاة ، ولا أعجل مكافأة ، ولا أحضر معونة ، ولا أقل مؤنة ، ولا شجرة أطول عمرا ، ولا أجمع أمراً ، ولا أطيب ثمرة ، ولا أقرب مُجتنى ، ولا أسرع إدراكا فى كل أوان ، ولا أوجد فى غير إبّان ، من كتاب . ولا أعلم نِتَاجاً فى حداثة سنه ، وقرب ميلاده ، ورخص ثمنه ، وإمكان وجوده ، يجمع من التدابير الحسنة ، والعلوم الغريبة ، ومن آثار العقول الصحيحة ، ومحمودِ الأخبار عن القرون الماضية ، والبلاد المتراخية ، والأمثال السائرة ، والأمم البائدة ما يجمع الكتاب .

نجابة المأمون

(ودخل الرشيد) على المأمون وهو ينظر فى كتاب ، فقال : ما هذا؟ فقال : كتاب يَشْحَذ الفكرة ، ويحسن العشرة . فقال : الحمد لله الذى رزقنى من يرى بعين قلبه ، أكثر مما يرى بعين جسمه . وقيل لبعض الحكماء: ما بلغ من سرورك بأدبك وكتبك ؟ فقال: هى إن خلوت لذتى ، وإن اهتممت سلوتى ، وإن قلت إن زهر البستان ، ونور الجنان ، يجلوان الأبصار ، ويُمتعان بحسنهما الألحاظ ، فان بستان الكتب يجلو العقل ، ويشحذ الذهن ، ويحيى القلب ، ويقوّى القريحة ، ويعين الطبيعة ، ويبعث نتائج العقول ، ويستنير دفائن القلوب ، ويُمتع فى الخلوة ويؤنس فى الوحشة ، ويضحك بنوادره ، ويُسر بغرائبه ، ويفيد ولا يستفيد ،

(١) استقذف : عرض نفسه للقذف (٢) العضيهة : الافك

ويعطى ولا يأخذ ، وتصل لذته الى القلب ، من غير سآمة تدركك ، ولا مشقة تعرض لك . وقال أبو الطيب المتنبي

وللسِّرِّ منى موضعٌ لاينالهُ * نديمٌ ولا يُفضى اليه شرابُ
وللخَوْد منى ساعة ثم بيننا * فلاة الى غير اللقاء تُجاب (١)
وما العشق الا غِرة وطماعة * يعرِّض قلبٌ نفسه فيصاب
وغير فؤادى للغوانى رميةٌ * وغير بنانى للرِّخاخ ركاب (٢)
تركنا لأطراف القنا كل لذةٍ * فليس لنا الا بهن لُعاب (٣)
ونصرفه للطعن فوق سوابح * قدانقصفت فيهن منه كِعاب (٤)
أعز مكان فى الدُّنا سرج سابح * وخير جليس فى الزمان كتاب

(فقر فى الكتب) إنفاق الفضة على كتب الآداب ، يخلفك عليه ذهب الألباب — ان هذه الآداب شوارد ، فاجعلوا الكتب لها أزِمَّة — كتاب الرجل عنوان عقله ، ولسان فضله (ابن المعتز) من قرأ سطراً من كتاب قد خط عليه فقد خان كاتبه ، لأن الخط يحرز ماتحته (بزر جمهر) الكتب أصداف الحِكم ، تنشقُّ عن جواهر الكلم (بعض الكتاب) إعجام الخط يمنع من استعجامه ، وشكله يؤمن من إشكاله . كأن هذا الكاتب نحا الى قول أبى تمام

ترى الحادث المستعجِم الخطبِ معجَماً * لديه ومشكولا إذا كان مشكلا

ما كُتب قرّ ، وما حفظ فرّ — الخطوط المعجمة ، كالبرود المعلمة .

وقال ابن المعتز يصف كتابا

وذى نُكت موشَّى نمّقتهُ * وحاكته الأنامل أىَّ حَوْكِ
بشكل يرفع الاشكال عنهُ * كأن سطوره أغصان شوكِ

(١) الخود : الفتاة الجميلة — تجاب : تقطع (٢) رمية فريسة . والرخاخ جمع رخ ، وهو من أدوات الشطرنج (٣) اللعاب : هو الرضاب ، ويريد الشاعر ان القنا أحب اليه من ريق الحسناء (٤) السوابح : الخيول ، والكعاب اطراف القنا

تهادى الكتب

(جملة من ألفاظ أهل العصر فى صفة الكتب وتهاديها ، وما يتعلق باسمائها ومعانيها)

حضرة مولاى نجل عن أن يهدى اليها غير الكتب ، التى لايترفع عنها كبير ، ولا يمتنع منها خطير ، وقد فكرت فيما أنفذت به مقيما للرسم فى جملة الخدم ، وحافظا للاسم فى غمار الحشم ، فلم أجد الا الرق الذى سبق ملكه له ، والمال الذى منحه وخوّله ، فعدلت الى الأدب الذى تنفق سوقه بباب سيدنا ولا تكد ، وتهب ريحه بجانبه ولا تركد ، وأنفذت كتابى هذا راجياً أن أشرّف بقبوله ، ويوقع الىّ بحصوله ، ولما وجب على ذوى الاختصاص لسيدنا اهداء ما جرت العادة بتسابق الاولياء الى الاجتهاد فى اهدائه ، وجب العدول فى اقامة رسم الخدمة الى اتباع ما صدر عنه من الرخصة فيما تسهل كلفته ، وتجل عند ذوى الالباب قيمته ، وتحلو ثمرته ، وهوعلم يقتنى ، وأدب يجتنى

قال أبو الحسن بن طباطبا العلوى

لاتنكرنْ اهداءنا لك منطقاً * منك استفدنا حسنَه ونظامهُ
فالله عز وجل يشكر فعل من * يتلو عليه وحيه وكلامهُ

وأهدى احمد بن يوسف الى المأمون فى يوم مهرجان هدية قيمتها ألف ألف درهم وكتب

على العبد حق فهو لابدَّ فاعلهْ * وإن عظُم المولى وجلت فضائلهْ
ألم ترنا نهدى إلى الله مالهُ * وان كان عنه ذا غنًى وهو قابله

قال أبو الفتح البستى

لاتنكرنَّ إذا أهديت نحوك من * علومك الغرِّ أو آدابك النُّتَفا

فقيِّم الباغ قد يهدى لمالكه * برسم خدمته من باغه التُّحفا (١)

(وكتب) أبو اسحاق الصابى إلى عضد الدولة فى هذا المعنى : العبيد تلاطف ولا تكاثر الموالى فى هداياها ، والموالى تقبل الميسور منها قبولا هو محسوب فى عطاياها . ولما كان أدام الله تعالى عزه مبرزا على ملوك الأرض فى الخطر الذى قصروا عنه شديداً ، والمدى الذى وقعوا منه بعيداً ، والآداب التى عجزوا عن استعلامها فضلا عن علمها ، والأدوات التى نكلوا عن استفهامها فضلا عن فهمها ، وجب أن يعدل عن اختياراتهم فيما تحظى به الجسوم البهيمية ، إلى اختياره فيما تحظى به النفوس العلية ، وعما ينفق فى سوقهم العامية ، إلى ماينفق فى سوقه الخاصية ، إفراداً لرتبته العليا ، وغايته القصوى ، وتمييزاً له عمن لايجرى معه فى هذا المضمار ، ولا يتعلق منه بالغبار ، وقد حملت إلى الخزانة عمرها الله شيئاً من الدفاتر وآلة النجوم ، فان رأى مولانا أن يتطوَّل على عبده بالاذن فى عرض ذلك عليه مشرفا له ، وزائداً فى احسانه اليه ، فعل إن شاء الله تعالى

وأهدى أبو الطيب المتنبي إلى أبى الفضل بن العميد فى يوم نوروز قصيدة مدحه فيها يقول فى آخرها

كثر الفكر كيف يهدى كما تهـــدى إلى ربها الرئيس عبادُه
والذى عندنا من المال والخيـــل فمنه هباته وقيادُه
فبعثنا بأربعين مهارا * كل مهر ميدانه إنشادُهُ
فارتبطها فان قلباً نماها * مَرْبط يسبق الجيادَ جيادُه

وفى هذه الكلمة يقول وقد احتفل فيها ، واجتهد فى تجويد ألفاظها ومعانيها فتعقب عليه أبو الفضل فى مواضع وقف عليها فقال :

هل لعذرى إلى الهمام أبى الفضـــل قبول سواد عينى مدادُه
أنا من شدة الحياء عليلٌ * مكرمات المعلِّه عوَّاده (٢)

(١) الباغ : الطيب (٢) المعله : من اضافة اسم الفاعل الى مفعوله

ما كفانى تقصير ماقلت فيهِ * عن علاه حتى ثناه انتقادُه
ماتعودت أن أرى كأبى الفضـــل وهذا الذى أتاه اعتياده
غمرتنى فوائد شاء منها * أن يكون الكلام مما أُفاده
ما سمعنا بمن أحب العطايا * فاشتهى أن يكون منها فؤادُه

وقد كان مدحه بقصيدته التى أولها

بادٍ هواك صبرت أم لم تصبرا * وبكاك ان لم يجر دمعك أو جرى

وفيها معان مخترعة ، وأبيات مبتدعة ، يقول فيها

مَن مُبلغُ الاعراب أنى بعدها * جالست رسطاليس والاسكندرا
وملأت نحر عِشارها فأضافنى * من ينحر البدر النضار لمن قرا[1]
وسمعت بطليوس دارس كتبه * متملكا متبدّيا متحضرا[2]
ورأيت كل الفاضلين كأنما * ردَّ الآله نفوسهم والأعصرا
نسقوا لنا نَسَقَ الحساب مقدما * وأتى فذلك إذ أتيت مؤخرا

وفيها يقول

فدعاك حَسَّدُك الرئيس وأمسكوا * ودعاك خالقك الرئيس الأكبرا
خلّفت صفاتك فى العيون كلامهُ * كالخطّ يملأ مَسْمَعَىْ من أبصرا

أخذه من قول الطائى يصف قصائده

بِقُربٍ يراها من يراها بسمعهِ * ويدنو اليها ذو الحجا وهو شاسِعُ[3]

وصف خطاب

كتاب كتب لى أماناً من الدهر ، وهنّانى أيام العمر ، كتاب أوجب من الاعتداد ، فوق الأعداد ، وأودع بياض الوداد ، سواد الفؤاد . كتابٌ النظر فيه نعيم مقيم ، والظفر به فتح عظيم ، كتابٌ ارتحت لِعيانه ، واهتززت بعنوانه ،

(١) البدر : جمع بدرة وهى الكيس فيه عشرة آلاف دينار (٢) متبديا : فى أخلاق أهل البداوة (٣) شاسع : بعيد

كتاب هو من الكتب الميامين [١] التى تأتى من قِبل اليمين ، كتاب عددته من حُجول العمر وغُرَره [٢] واعتددته من فُرص العيش وغِرره [٣] كتابٌ هو أنفس طالع ، وأكرم متطلّع ، وأحسن واقع ، وأجل متوقّع ، كتاب لو قرئ على الحجارة لانفجرت ، أو على الكواكب لانتثرت ، كتاب كدت أبليه طيا ونشرا ، وقبلته ألفا ويد حامله عشرا ، كتاب نسيت لحسنه الروض والزهر ، وغفرت للزمان ماتقدّم من ذنبه وماتأخر ، كتاب أملته هِزة المجد على بنانك ، ونطق به لسان الفضل عن لسانك ، أنا ألتقط من كل حرف تديره أناملك تحفة ، وآخذ من كل سطر تتجشم تخطيطه نُزهة . اذا قرأت من خطك حرفا ، وجدت على قلبى خِفّا [٤] واذا تأمّلت من كلامك لفظا ، ازددت من أنسى حظا . كتاب كتب لى أمانا من الزمان ، وتوقيع وقع منى موقع الماء من العطشان . كتاب هو تَعِلّة المسافر [٥] وأنسة المستوحش ، وزبدة الوصال ، وعُقْلة المستوفز [٦] كتاب هو رُقية القلب السليم [٧] وغِرة العيش البهيم [٨] كتاب هو سَمَر بلا سَهَر ، وصفو بلا كَدَر ، كتاب تمتعت منه بالنعيم الأبيض ، والعيش الأخضر ، واستلمته استلام الحجر الاسود [٩] ووكلت طرفى من سطوره بوَشْى مهلّل ، وتاج مكلّل ، وأودعت سمعى من محاسنه ، ماأنساني سماع الاغانى ، من مطربات الغوانى — نشأت سحابة من لفظك غيمها نعمة سابغة ، وغيثها حكمة بالغة ، سقتْ روضة القلب ، وقد

(١) الميامين : جمع ميمون (٢) الحجول والغرر جمع حجل وغرة : بياض فى الوجة والقوائم تجعل به الخيول (٣) غرر : جمع غرة بكسر الغين وهى النزق ، وقد يحلو فى الشباب (٤) الخف والخفة : الارتياح (٥) تعلة المسافر : مايتلهى به لقطع الوقت

(٥) المستوفز : المتعجل (٦) السليم : الملدوغ (٧) البهيم : المظلم

(٨) يريد انه استلمه متيمنا باستلامه كما يتقرب الحاج إلى الله باستلام الحجر الاسود

(٩) انظر ما كتب عن القيان وما قال فيهن الشعراء من الشعر البارع البديع فى كتاب «أفنان الجمال»

أجهدتها يد الجدب[1] فاهتزت وربتْ ، وا كتسبت ماا كتسبت . كتاب حسبته ساقطا الىّ من السماء ، اهتزازاً لمطلعه ، وابتهاجاً بحسن موقعه، تناولته كما يُتناول الكتاب المرقوم ، وفضضته كما يُفض الرحيق المختوم[2] . كتاب كالمشترى شرف به المسير ، وقميص يوسف جاء به البشير . كتاب هو من الحسن روضة حَزن ، بل جنة عَدْن ، وفى شرح النفس ، وبسط الأُنس ، برد الاكباد والقلوب ، وقميص يوسف فى أجفان يعقوب . قد أهديت الىّ محاسن الدنيا مجموعة فى ورقة، ومباهج الحلى والحلل محصورة فى طبقة . كتاب ألصقته بالقلب والكبد ، وشممته شمّ الولد ، وردمنك المسك ذكيا ، والزهر جنيّا ، والماء مريًّا[3] والعيش هنيّا ، والسحر بابليا — كتاب مطلعه مطلع أهلة الاعياد ، وموقعه موقع نيل المراد، كتاب وجدته قصير العمر ، كليالى الوصال بعد الهجر ، لم أبدأ به حتى استكمل ، وقارَب الآخِرَ منه الاوّل — كتاب منتقض الأطراف ، منقطع الأكتاف ، أبتر الجوارح ، مضطرب الجوانح ، كتاب كأنه توقيع متحرّز ، أو تعريض متبرّز[4] كاد يلتقى طرفاه ، ويتقارب مُفتتحه ومُنتهاه ، كتاب التقت طرفاه صِغَرا ، واجتمعت حاشيتاه قصرا ، ماأظننى ابتدأته ، حتى ختمته ، ولااستفتحته ، حتى أتممته ، ولالمحته ، حتى استوفيته ، ولانشرته ، حتى طويته ، وأحسبنى لو لم أجوّد ضبطه ، ولم ألزم يدى حفظه ، لطار حتى يختلط بالجو فلا أرى منه إلا هباء منثوراً ، وهواء منشوراً ، كتاب حسبته يطير من يدى لخفته، ويلطف عن حِسى لقلته ، وعجبت كيف لم تحمله الرياح قبل وصوله إلى ، وكيف لم يختلط بالهواء عند حصوله لدىّ ، كتاب قص الاقتصار أجنحته ، فلم يدع له قوادم ولا خوافى ، وأخذ الاختصار جثته ، فلم يبق ألفاظاً ولا معانى ، طلع كتابك كايماء بطرف ، أو وحى بكف ،

(١) أجهدتها : أشقتها، والجدب القحل (٢) الرحيق المختوم : الخمر المعتقة التى لم تفض عن دنانها الاختام (٣) مرى : مرىء هنيء (٤) متبرز : متعفف، ورجل برز ، وامرأة برزة : عفيف وعفيفة، وكلاها بسكون الراء

(وقال أبو العباس) عبد الله بن المعتز : استعرت من علي بن يحيى المنجم جزأ فيه أخبار معبد ، بخط حماد بن اسحاق الموصلي ، وكان وعدني به فبعث إليّ بست ورقات لطاف ، فرددتها وكتبت إليه :

« إن كنت أردت بقولك جزأ الجزأ الذي لا يتجزأ فقد أصبت ، وان كنت أردت جزأً فيه فائدة للقارىء ، ومتعة للسامع ، فقد أحلت[1] وقد رددته عليك ، بعد أن طار اللحظ عليه طيرة » فأجابني (إذا كان السِّفر عندك مِنجاة فما أصنع)[2]

لوعة الشوق

وقال أبو العباس دخل رجل على الحسن بن سهل بعد أن تأخر عنه أياما فقال « ماينقضي يوم من عمري لا أراك فيه الا علمت أنه مبتور القدر ، منحوس الحظ ، مغبون الأيام » فقال الحسن : هذا لأنك توصل إليّ بحضورك سروراً لا أجده عند غيرك ، وأتنسم من أرواح عشرتك ما تجد الحواس به بغيتها ، وتستوفي منه لذتها ، فنفسك تألف مني مثل ما آلفه منك »

وكان يقال: محادثة الرجال تلقيح الألباب[3] ، وقال ابن الرومي

ولقد سئمت مآربي ... فكأن أطيبها خبيثُ

الا الحديث فانهُ ... مثل اسمه أبداً حديثُ

قال مخارق : لقيني أبو اسحاق اسماعيل بن القاسم قبل نسكه ، فقال : أنا والله صبٌّ بك ، ولوع اليك ، مغمور القلب بشكرك ، واللسان بذكرك ، متشوّف إلى رؤيتك ، ومفاوضتك ، وقد طالت الأيام على ما أعهد به نفسي من الاجتماع معك ومن قضاء الوطر منك ، فما عندك ، أنا الفداء لك ، أتزورني أم أزورك ؟ قلت جعلني الله فِداك ، مايكون عند من هو منك بهذا الموضع ، وفي هذا المحل ،

(١) أحال : تكلم بالمحال (٢) المنجاة مايتطهر به من ورق أوماء (٣) التلقيح : ماتلقح به النخلة لتثمر

الا الانقياد إلى أمرك ، والسمع والطاعة لك ، ولولا أن أسيء الأدب فى أمر بدأت فيه بالفضل ، لقلت إن كثير ما ابتدأت به من القول ، يقل فيما عندى من الشوق اليك ، والشغف بك ، دون ماحرك هذا القول منى ، فوجبت لك المنة به علىّ ، وأنا بين يديك ، فائن عنانى الى ما أردت ، وقُدنى كيف شئت ، تجدنى كما قال القائل

ماتشتهيه فانى اليوم فاعلُهُ والقلب صبٌّ فما جَشَّمتَه جشِما

وذكر سهل بن هارون رجلا فقال : لم أر أحسن منه فهما لجليل ، ولا تفهماً لدقيق . أشار اليه أبو تمام فقال

وكنت أعز عزا من قَنوع تعرّضه صُفُوحٌ من مَلولِ[1]
فصرت أذل من معنى دقيقٍ به فقرٌ الى ذهن جليلِ

سعيد بن مسلم والمأمون

وقال سعيد بن مسلم للمأمون: لو لم أشكر الله تعالى إلا على حسن ما أبلانى من أمير المؤمنين من قصده إلىّ بحديثه ، واشارته الىّ بطرفه ، لقد كان فى ذلك أعظم الرفعة ، وأرفع ما توجبه الحرمة . فقال يفعل أمير المؤمنين ذلك لأن أمير المؤمنين يجد عندك من حسن الإفهام اذا حَدثت ، وحسن الفهم اذا حُدثت ، مالا يجده عند أحد ممن مضى ، ولا يظن أنه يجده عند أحد ممن بقى ، فانك لتستقصى حديثى ، وتقف عند مقاطع كلامى ، وتخبر بما كنت أغفلته منه .

وقال المتوكل لابى العيناء: ماتحسن ؟ قال أفهَم وأفهِم . وقال بعض الحكماء لتلميذه وقد ضرب الموسيقى أفهمت ؟ قال نعم قال بل لم تفهم لأنى لا أرى عليك سرور الفهم ! وقد قيل : من نظر الى الربيع وأنواره ، والروض وأصباغه ، ولم يبتهج ، كان عديم حِس ، أو سقيم نفس

(١) الصفوح : الصفح والاعراض

أبو تمام والجارية الفارسية

ومرّ أبو تمام بايبر شهر من أرض فارس فسمع جارية تغنى بالفارسية فشاقه شجىّ الصوت فقال :

ومُسْمِعَةٍ تروق السمع حسناً * ولم تُصمِهْ لا يصمم صداها
لوَت أوتارها فشجت وشاقت * فلو يستطيع حاسدها فداها
ولم أفهم معانيها ولكن * ورت كبدى فلم أجهل شداها
فكنت كأننى أعمى معنّى * يحب الغانياتِ ولا يراها

قال أبو الفضل أحمد بن أبى طاهر قلت لأبى تمام أخذت هذا المعنى من أحد ؟ قال نعم أخذته من قول بشار بن برد

ياقوم أذنى لبعض الحى عاشقةٌ * والاذن تعشق قبل العين أحيانا
قالوا بمن لاترى تهذى فقلت لهم * الاذن كالعين توفى القلب ما كانا

وقال بشار أيضا فى هذا المعنى

قالت عقيل بن كعب إذ تعلّقها * قلبى فأضحى به من حبها أثَرُ
أنّى ولم ترها تهذى فقلت لهم * إن الفؤاد يرى مالا يرى البصَر

وقال

يزهّدنى فى حب عَبْدةَ معشرٌ * قلوبُهُمُ فيها مخالفةٌ قلبى
فقلت دَعُوا قلبى وما اختار وارتضى * فبالقلب لا بالعين يُبْصر ذو اللبّ
وما تُبْصِرُ العينان فى موضع الهوى * ولا تسمع الاذنان الا من القلب

وقد قال أبو يعقوب الخزيمى فى هذا المعنى ، وكان قد عور ثم عمى ، وقيل انها للخليل بن احمد

قالت أتهزأ بى غداة لقيتها * يا ٰل الرجال لصبوة العميانِ
فأجبتها نفسى فداؤك انما * أذنى وعينى فى الهوى سِيّانِ

وقريب من هذا قول الحكم بن قنبر وان لم يكن منه

ان كنت لست معى فالذكر منك معى * يرعاك قلبى وان غُيِّبتَ عن بصرى
العين تبصر من تهوى وتفقدهُ * وناظر القلب لايخلو من النظر

وقال آخر

أما والذى لو شاء لم يخلق الهوى * لئن غبت عن عينى فما غبت عن قلبى
تُرينيك عين الوهم حتى كأننى * أناجيك من قربٍ وان لم تكن قربى

وقال أبو عثمان سعيد بن الحسن الناجم

لئن كان عن عينىَّ أحمد غائباً * فما هو عن عين الضمير بغائبِ
له صورة فى القلب لم يُقصها النوى * ولم تتخطفها أكف النوائب
اذا ساءنى منه شُحوط مزارهِ * وضاقت بقلبى فى نواه مذاهبى (١)
عطفت على شخص له غير نازحٍ * محِلته بين الحشا والترائبِ (٢)

طرفة أدبية

وذكر أبو عبيدة كيسان مستملیه فى بعض الامر فقال : مافهم ، ولوفهم لوهِم (٣) وكان كيسان يوصف بالبلادة والغفلة (قال الجاحظ) كان يكتب غير مايسمع ويستقى غير ما يكتب ، ويقرأ غير ما يستقى (٤) ، ويملى غير ما يقرأ ، أمليت عليه يوما

عجبت لمعشرٍ عدلوا * بمعتمرٍ أبا عمرِ

فكتب أبا بشر ، وقرأ أبا حفص ، واستقى أبا زيد

(١) الشحوط : البعد (٢) النازح : البعيد (٣) وهم : غلط
(٤) استقى : سود

واجب الجليس

قال أبو عبّاد : للمحدث على جليسه السامع لحديثه ، أن يجمع له باله ، ويُصغي الى حديثه ، ويكتم عليه سره ، ويبسط له عذره . وقال: ينبغي للمحدث اذا أنكر عينَ السامع أن يستفهمه عن معنى حديثه ، فان وجده قد أخلص له الاستماع أتمّ له الحديث ، وان كان لاهياً عنه حرمه حسنَ الاقبال عليه ، ونفع المؤانسة له ، وعرفه بسوء الاستماع والتقصير فى حق المحدث ، وقال: نشاط المحدث على قدر فهم المستمع (وكان عبد الله ابن مسعود) رضى الله عنه يقول: حدّث الناسَ ماحدّثوك باسماعهم [1] ولحظوك بابصارهم ، فاذا رأيت منهم فتورا فأمسك . وقال أبو الفتح البستي .

اذا أحسستَ فى لفظى فتوراً * وحفظى والبلاغةَ والبيانِ

فلا تَرتّبْ بفهمى ان رقصى * على مقدار إيقاع الزمانِ

وقال عامر بن عبد قيس: الكلمة اذا خرجت من القلب ، وقعت فى القلب ، واذا خرجت من اللسان ، لم تجاوز الآذان (وقال الحسن) وقد سمع متكلما يعظ فلم تقع موعظته من قلبه ولم يرقّ لها : ياهذا إن بقلبك لشراً أو بقلبى !

الحديث المعاد

(وقال محمد بن صبيح) المعروف بابن السماك لجاريته : كيف ترين ما أعظ الناس به؟ قالت هو حسَن الا أنك تكرره ، قال : إنما أكرره ليفهمه من لم يكن فهمه ، قالت الى أن يفهمه البطئ يثقل على سمع الذكى — واستعيد ابن عباس حديثا فقال : لولا انى أخاف أن أغض من بهائه ، وأريق من مائه ، وأخلق من جدة رُوائه ، لأعدته * وقال أبو تمام الطائي يصف قصائده

(١) جدحوك بأسماعهم : وجهوها نحوك

منزّهة عن السَّرَق المؤدّى * مكرمة عن المعنى المعادِ

أخذه البحترى فقال

لا يعمل اللفظ المكرّ ر فيه واللفظ المردّد

والاطالة مملولة كما يُملّ التكرير

أنواع الادب

وقد قال الحسن بن سهل: الآداب عشرة فثلاثة شهرجانية، وثلاثة أنوشروانية وثلاثة عربية، وواحدة أربت عليهن . فأما الشهرجانية فضرب العود، ولعب الشَّطْرنج، ولعب الصوالج؛ وأما الأنوشروانيه فالطب والهندسة، والفروسية، وأما العربية فالشعر والنسب، وأيام الناس . وأما الواحدة التى أربت عليهن : فمقطعات الحديث، والسمر، وما يتلقاه الناس بينهم فى المجالس . وكان يقال خذ من العلوم نُتفها، ومن الآداب طُرَفها، وكان يقال : مقطعات الأدب، قُراضات الذهب

وحضر بشار بن برد مجلسا فقال : لا تجعلوا مجلسنا غناءً كله، ولا شعراً كله، ولا سمراً كله، ولكن انتهبوه انتهابا

اللهو المباح

(وقال الحسن) رحمه الله: حادثوا هذه القلوب فانها سريعة الدثور، واقدعوا هذه الأنفس فانها طُلَعَة [1] وانكم إن لا تقدعوها تنزع بكم الى شرغاية . وقال ازدشير بن بابك: إن للأذهان كلالا، وللقلوب ملالا، ففرقوا بين الحكمتين، يكن ذلك استجماما (ويروى) فى حكمة آل داود: لا ينبغى للعاقل أن يخلىَ نفسه من أربع : عُدّة لمعاده، وصلاح لمعاشه، وفكر يقف به على ما يصلحه من فساده

(١) طلعة : كثير التطلع، والقدع الزجر

ولذة فى غير محرّم يستعين بها على الحالات الثلاث . (١)

وما أحسن ماقال أبو الفتح ابن كشاجم

عجبى ممن تناهت حالهُ * وكفاه الله ذلّات الطلَبْ
كيف لا يقسم شَطْرَيْ عمرهِ * بين حالَيْن نعيم وأدب
ساعة يُمتِع فيها نفسهُ * من غذاء وشراب منتخَب
ودُنوٍّ من دُمًى هنَّ لهُ * حين يشتاق إلى اللعب لُعَب (٢)
فاذا مانال من ذا حَظَّهُ * فحديث ونشيدٌ وكُتُب
مرّةً جدٌّ وأخرى راحةٌ * فاذا ما غَسَقَ الليل انتصب
فقضى الدنيا نهاراً حقها * وقضى لله ليلاً ماوجب
تلك أقسامٌ متى يعمل بها * دهرَهُ يَسعَدْ ويَرشُدْ ويُصِب

تقسيم الايام

وقال أبو العباس محمد بن يزيد : قسم كسرى أيامه فقال: يصلح يوم الريح للنوم ، ويوم الغيم للصيد ، ويوم المطر للشرب واللهو ، ويوم الشمس لقضاء الحوائج (قال الحسن بن خالويه) ما كان أعرفهم بسياسة دنياهم ، يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون ، ولكن نبينا صلى الله عليه وسلم قد جزّأ نهاره ثلاثة أجزاء ، جزء لله ، وجزء لأهله ، وجزء لنفسه ، ثم جزء جزأه بينه وبين الناس . فكان يستعين بالخاصة على العامة ، وكان يقول : أبلغونى حاجة من لا يستطيع إبلاغى ، فانه من أبلغَ حاجة من لا يستطيع إبلاغها آمنه الله تعالى يوم الفزع الاكبر

(١) انظر ما كتب عن أثر الفنون الجميلة فى تقويم النفوس فى كتاب « الاخلاق عند الغزالى » (٢) الدمى : جمع دمية وهى الصورة توضع فى المحراب لتمثل الحور العين

لا تعدل بالسلامة شيئا

وقال شبيب ابن شيبة : إن ابتليت بمقام لا بدلك فيه من الاطالة فقدّم أحكام البلوغ فى طلب السلامة من الخطل ، قبل التقدّم من أحكام البلوغ فى شرف التجويد . ثم اياك أن تعدل بالسلامة شيئاً ، فقليل كافٍ خير لك من كثير غير شاف (وكان جعفر بن يحيى) يقول لكُتّابه : ان استطعتم أن يكون كلامكم كله مثل التوقيع فافعلوا (وقال) ثمامة بن أشرس :

لم أر قط أنطق من جعفر بن يحيى بن خالد ، وكان صاحب إيجاز (وكان) أبو وائلة اياس بن معاوية على تقدّمه فى البلاغة ، وفضل عقله وعلمه ، بالاكثار معيبا ، والى التطويل منسوبا ، وقال له عبد الله بن شبرمة أنا وأنت لا نتفق ؛ أنت لا تشتهى أن تسكت ، وأنا لا أشتهى أن أسمع ! وقيل له ما فيك عيب الا كثرة كلامك ، قال أفتسمعون صوابا أم خطأ ؟ قالوا بل صوابا. قال فالزيادة فى الخير خير

فضل السكوت

(قال الجاحظ) وليس كما قال ، بل للكلام غاية ، وانشاط السامعين نهاية ، وما فضل عن مقدار الاحتمال ، ودعا الى الاستثقال والكلال ، فذلك هو الفِضال والهذر [1] والخطل والاسهاب الذى سمعت الخطباء يعيبونه . وذكر الأصمعى أن ابن هبيرة لما أراد إياسا على القضاء ، قال : إنى والله لا أصلح له . قال وكيف ذلك ؟ قال لأنى دميم ، ولأنى حديد ، ولأنى عيى ، قال ابن هبيرة أما الحِدّة فان السوط يقوّمك ، وأما العى فقد عبرت عما تريد ، وأما الدمامة فانى لا أريد أن أحاسن بك. ولم يصفه أحد بالعىّ وإنما كان يعاب بالاكثار ، ولكنه أراد المدافعة عن نفسه ، والحديث ذو شجون [2] (وقال) أبو العيناء ذُكرتُ لبعض

(١) الفضال ، على وزن كتاب ، المبتذل من قول أو غيره (٢) شجون : ضروب

القيان فعشقتنى على السماع فلما رأتنى استقبحتنى ، فقلت

وشاطرةٍ لما رأتنى تنكّرت * وقالت قبيحٌ أحْوَلٌ ماله جِسمُ
فان تنكرى منى احولا لا فانى * أديب أريب لا عِيٌّ ولا فَدَمُ (١)

فكتبت الىّ : إنا لم نرد أن نوليك ديوان الزمام !

ذكاء اياس

(وكان) عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى كتب الى عدى بن أرطاة إن قِبلك رجلين من مُزينة : يعنى بكر بن عبد الله وإياس بن معاوية فولّ أحدهما قضاء البصرة ، فاحضرهما ، فقال بكر والله ما أحسن للقضاء ؛ فان كنت صادقا فما تحل توليتى ، وان كنت كاذبا فذلك أوجب لتركى ، فقال اياس : إنكم وقفتموه على شفير جهنم ، فافتدى منها بيمين يكفرها ، ويستغفر الله تعالى منها ، فقال له عدى أما اذ اهتديت لها فانت أحق بها ، فولاه . ودخل اياس الشام وهو غلام صغير ، فقدم خصما له الى بعض القضاة ، وكان الخصم شيخا ، فصال عليه إياس بالكلام ، فقال له القاضى خفّض عليك فانه شيخ كبير ، قال : الحق أكبر منه . قال اسكت ! قال فمن ينطق بحجتى ؟ قال ما أراك تقول حقا . قال لا اله الا الله ! فدخل القاضى على عبد الملك فأخبره فقال : اقض حاجته الساعة وأخرجه من الشام لا يفسد أهلها !

الفرار من الحديث الممل

وقال أحمد بن الطيب السرخسى تلميذ يعقوب بن اسحاق الكندى كنت يوما عند العباس بن خالد ، وكان ممن حبب الله اليه أن يتحدث ، فأخذ يحدثنى ، وينتقل من حديث الى حديث ، وكنا فى صحن له ، فلما بلغتنا الشمس انتقلنا الى موضع آخر ، حتى صار الظل فيئا . فلما أكثر وأضجر ، وملات حسن الادب فى

(١) الفدم : الوغد

حسن الاستماع ، وذكرت قول الاوزاعى ان حسن الاستماع قوة للمحدث، قلت له : اذا كنت وأنا أسمع قد عييت مما لا كلفة علىَّ فيه ، فكيف أراك وأنت المتكلم؟ فقال : ان الكلام يحلل الفضول اللزجة الغليظة ، التى تعرض فى اللهوات ، وأصل اللسان ، ومنابت الاسنان ، فوثبت وقلت: لا أرانى معك اليوم الا (أيارج الفيقرا) فانت تتغرغر بى ! فاجتهد فى أن أجلس فلم أفعل

طرف أدبية

قال احمد بن الطيب: كنا مرة عند بعض اخواننا فتكلم وأعجبه من نفسه البيان ، ومنَّا حسن الاستماع ، حتى أفرط ، فعرض لبعض من حضر ملل ، فقال : اذا بارك الله فى الشىء لم يفن ؛ وقد جعل الله تعالى فى حديث أخينا البركة !

ولعبد الله بن سالم الخياط فى رجل كثير الكلام

لى صاحب فى حديثه البركه * يزيد عند السكون والحركه
لو قال لا فى قليل أحرفها * لردها بالحروف مشتبكه

ومن طرائف التطويل ما أنشأه البديع ، وسيمر من كلامه ما هو آنق من زهر الربيع

(قال) الاصمعى بالعلم وصلنا وبالمُلَح (وقال) الاصمعى أيضاً أنشدت محمد بن عمران قاضى المدينة ، وكان أعقل من رأيته

يا أيها السائل عن منزلى * نزلت فى الخان على نفسى
يغدو علىَّ الخبز من خابزٍ * لا يقبل الرهن ولا ينسى (١)
آكل من كيسى ومن كِسْرتى * حتى لقد أوجعنى ضِرسى

فقال اكتب لى هذه الابيات فقلت أصلحك الله ، هذا لا يشبه مثلك ،

(١) ينسى : ينسئ ، من النسيئة وهى التأخير

وانما يروى مثل هذا الأحداث ، فقال اكتبها فالاشراف تعجبهم الملح ، وقد قال أبو الدرداء رحمه الله تعالى : انى لأستجمُّ نفسى ببعض الباطل ، ليكون أقوى لها على الحق (وقال) ابن الماجشون لقد كنا بالمدينة وان الرجل ليحدّثنى بالحديث من الفقه فيمليه علىّ ويذكر الخبر من الملح فأستعيده فلا يفعل ، ويقول : لا أعطيك مُلَحِى ، وأهبك ظرفى وأدبى (وقال) ابن الماجشون إنى لأسمع بالكلمة المليحة ، ومالى الا قميص واحد ، فادفعه الى صاحبها ، واستكسى الله عز وجل

الغاضرى وأشعب

وقال الزبير بن بكار : رؤى الغاضرى ينازع أشعب الطمع عند بعض الولاة ، ويقول : أصلح الله الامير،ان هذا يدخل علىّ فى صناعتى ، ويطلب مشاركتى فى بضاعتى ، وهيأته هيئة قاض ، والأمير يضحك . وكانا جميعاًفرَسَىْ رِهان ورضيعَىْ لِبان فى بيانهما ،الا ان الغاضرى كان لايتخلّق بالطمع تخلّق أشعب وأتى الغاضرى يوما الحسن بن زيد فقال : جُعلت فداك ، انى عصيت الله ورسوله ، قال بئس ما صنعت ، وكيف ذاك ؟ قال لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لايفلح قوم ولوا أمرهم امرأة ، وأنا أطعت امرأتى ، فاشتريت غلاما فهرب ، قال الحسن فاختر واحدة من ثلاث :ان شئت فثمن الغلام ، قال بابى أنت قف عند هذه ولا تتجاوزها ! قال أعرض عليك الخصلتين ، قال : لا ، حسبى هذه . وقد روى نحو هذا عن أشعب أنه قال له بعض إخوانه لو صرت إلىّ العشية نتفرج ؟ قال أخاف أن يجئ ثقيل ، قلت ليس معنا ثالث ، فمضى معى ، فلما وصلنا الظهر ودعوت بالطعام ، فاذا بداق يدق الباب ، قال ترى أن قد صرنا إلى مانكره ، قلت له إنه صديق وفيه عشر خصال إن كرهت واحدة منهن لم آذن له ، قال هات قلت أولها أنه لايأكل ولا يشرب ، فقال التسع لك قل له

يدخل ! ورأى سفيان الثورى الغاضرى وهو يضحك الناس ، فقال ياشيخ أو ماعلمت أن لله يوماً يخسر فيه المبطلون ؟ فوجم الغاضرى وما زال ذاك يعرف فيه حتى لقى الله عز وجل

ملح أشعب

وأشعب الطمع هو أشعبُ بن جبير مولى عبدالله بن الزبير وكان أحلى الناس قال الزبير بن أبى بكر كان أهل المدينة يقولون : تغيّر كل شئ إلا مُلَح أشعب ، وخبز أبى الغيث ، ومِشية بَرة[1] وكان أبو الغيث يعالج الخبز بالمدينة وبرة بنت سعيد بن الاسود كانت من أجمل النساء وأحسنهن مشية ، وأشعب يضرب به المثل فى الطمع ، وكان أشعب قد نشأ فى حجر عائشة بنت عثمان رحمها الله مع أبى الزناد . قال أشعب : فلم يزل يعلو وأنحط حتى بلغنا الغاية . وقال أشعب أسلمتنى امى إلى بزاز فسألتنى بعد سنة أين بلغت ؟ فقلت فى نصف العمل . قالت وكيف ؟ قلت تعلمت النشر وبقى الطى ، قالت اذاً لاتفلح . وسألته صديقة له خاتما فقالت أذكرك به ، قال اذكرى انك سألتنى ومنعتك ! وقيل له كم كان أصحابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر ؟ قال ثلثمائة وثلاثة عشر درهما ! ثم تنسك فى آخر عمره ، وغزا ومات على خير رحمه الله تعالى . وقيل لأشعب أرأيت أطمعَ منكَ ؟ قال نعم كلبة آل فلان ، رأت رجلين يمضغان عَلَكا[2] ، فتبعتهما فرسخين تظن أنهما يأكلان شيئاً . وأهدى رجل من ولد عمر بن لؤى إلى اسماعيل الاعرج فالوذجة وأشعب حاضر فقال : كل ياأشعب فأكل منها فقال كيف تراها فقال عليه الطلاق ان لم تكن عملت قبل أن يوحى ربك إلى النحل ! أى ليس فيها حلاوة . وروى أبو هفان قال دخل أبو نواس الحسن ابن هانئ على يحيى بن خالد فقال له أنشدنى بعض ماقلت فأنشده

(١) انظر جمال المشية وما قيل فى ذلك من الشعر الجميل فى كتاب « أفنان الجمال »

(٢) العلك : اللبان

أنى أنا الرجل الحكيم بطبعه * ويزيد فى علمى حكاية من حكا
أتتبع الظرفاء أكتب عنهم * كيما أحدث من أحب فيضحكا

فقال له يحيى : إن زندك ليورى بأول قدحة ، فقال ارتجالا فى معنى قول يحيى

أما وزند أبى على إنه * زند إذا استوريت سهل قدحكا
ان الآله لعلمه بعباده * قد صاغ جدك للسماح ومنحكا
تأبى الصنائع همتى وقريحتى * من أهلها وتعاف إلا مدحكا

الجماز وأبو نواس

ووصف أبو عبد الله الجماز أبا نواس فقال : كان أظرف الناس منطقاً ، وأغزرهم أدبا ، وأقدرهم على الكلام ، وأسرعهم جوابا ، وأكثرهم حياء ، وكان أبيض اللون ، جميل الوجه ، مليح النغمة ، والاشارة ، ملتف الأعضاء ، بين الطويل والقصير ، مسنون الوجه [1] ، قائم الأنف ، حسن العينين والمضحك حلو الصورة ، لطيف الكف والاطراف ، وكان فصيح اللسان ، جيد البيان ، عذب الألفاظ ، حلو الشمائل ، كثير النوادر ، وأعلم الناس كيف تكلمت العرب راوية للاشعار ، علامة بالأخبار ، كأن كلامه شعر موزون . وأقبل أبو شراعة العبسى والجماز فى حديثه ، وكان أقبح الناس وجها ، وكانت يد أبى شراعة كأنها كربة نخل ، فقال الجماز : لو كانت أطرافه على أبى شراعة لتم حسنه فغضب أبو شراعة ، وانصرف يشتمه (والجماز) هو أبو عبد الله محمد بن عمرو ابن حماد بن عطاء بن ياسر ، وكانوا يزعمون أنهم من حمير نالهم سباء فى خلافة أبى بكر رضى الله عنه وهم مواليه ، وسلم الخاسر عمه ، وكان الجماز من أحلى الناس حكاية ، وأكثرهم نادرة . قال بعض جلساء المتوكل : كنا نكثر عند المتوكل ذكر الجماز حتى اشتاقه ، فكتب فى حمله إليه ، فلما دخل أفحم . فقال له المتوكل تكلم فانى أريد أن استبرئك ، فقال بحيضة أو بحيضتين يا أمير المؤمنين ! فقال

(١) مسنون : مخروط

له الفتح قد كلمتُ أمير المؤمنين يُولّيك على القرود والكلاب ؟ قال أفلست سامعاً مطيعاً ؟ فضحك المتوكل وأمر له بعشرة آلاف درهم . وكان لايدخل بيته أكثر من ثلاثة لضيقه ، فدعا ثلاثة فجاءه ستة وقرعوا الباب ووقفوا على رِجل رِجل فمد أرجلهم من خلف الباب فلما حصلوا عنده ، قال : اخرجوا عنى ، فانما دعوت ناساً ولم أدع كراكى

مناقب الرجال

وقال الطائى فى عمرو بن طوق التغلبى

الجِدُّ شيمته وفيه فكاهةٌ * سَجْحٌ ولاجِدٌّ لمن لم يلعبِ
شرسٌ ويتبع ذاك لين خليقةٍ * لاخير فى الصهباء مالم تقطبِ (١)

وقال فى الحسن بن وهب

لله أيام خطبنا لينها * فى ظله بالخندريس السَّلْسَلِ (٢)
بمدامة نَعَم السماع خفيرها * لاخير فى المعلول غير معلّلِ (٣)
يغشى عليها وهو يجلو مُقلتَىْ * بازٍ ويغفل وهو غير مُغفَّلِ
لاطائش تهفو خلائقه ولا * خشن الوقار كأنه فى محفلِ
فكهٌ يجم الجدّ أحياناً وقد * ينضى ويهزل عيش من لم يهزل

وقال فيه

* ولقد رأيتك والكلام لآلئٌ * تُؤَمٌ فبكر فى النظام وثيِّبُ (٤)
وكأن قسا فى عكاظ يخطب * وابن المقفع فى اليتيمة يسهب (٥)
وكأنّ ليلى الاخيلية تندب * وكثيّر عزة يوم بين ينسب

(١) تقطب : تعبس (٢) الخندريس : الخمر (٣) المعلول : الذى يشرب العلل ، بفتحتين ، وهو الشرب الثانى ، بخلاف النهل . فهو الشرب الاول
(٤) تؤم : أشباه الدرر (٥) اليتيمة : اسم كتاب لابن المقفع

يكسو الوقار ويستخف موقرا * طورا فيبكى سامعيه ويطربُ

وقال أبو الفتح البستى

أفِد طبعك المكدود بالهم راحةً * براحٍ وعلّلْهُ بشئ من المزحِ

ولكن إذا أعطيته المزح فليكن * بمقدار ماتعطى الطعام من الملحِ

وما زال الاشراف يمزحون ، ويسمحون بمالا يقدح فى أديانهم ، ولا يغض من مُروآتهم . وقال النبى صلى الله عليه وسلم بعثت بالحنيفية السمحة . وقال : انى لأمزح ولا أقول إلا حقا

رواية الشعر والنسيب

وقيل لسعيد بن المسيب إن قوماً من أهل العراق لايرون انشاد الشعر فقال لقد نسكوا نسكا أعجمياً . وقيل لابن سيرين إن قوماً يزعمون أن انشاد الشعر ينقض الوضوء ، فأنشد

لقد أصبحت عُرس الفرزدق ناشزاً * ولو رضيت رشح استهِ لاستقرّتِ

وقام يصلى ! وقيل بل أنشد

أنبئت أن عجوزاً جئت أخطبها * عُرقوبها مثل شهر الصوم فى الطولِ

وقيل لابى السائب المخزومى: أترى أحدا لا يشتهى النسيب؟ فقال أما ممن يؤمن بالله واليوم الآخر فلا[1]

عروة بن أذينة

وروى مصعب بن عبد الله الزبيرى عن عروة بن عبيد الله بن عروة الزبيرى قال : كان عروة بن أذينة نازلا فى دار أبى بالعقيق فسمعته ينشد لنفسه

إن التى زعمت فؤادك ملّها * خُلقت هواك كما خُلقت هوًى لها

(١) انظر (أشراك العقول) فى كتاب « البدائع » —

فيك التى زعمت بها وكلا كما * أبدى لصاحبه الصبابة كلها
ولعمرُها لو كان حبك فوقها * يوماً وقد ضَحِيت إذن لأظلها (١)
فاذا وجدت لها وساوس سلوةٍ * شفع الضمير الى الفؤاد فسلّها
بيضاء باكرها النعيم فصاغها * بلباقةٍ فأدقّها وأجلّها (٢)
لمّا عرضت مسلما لىَ حاجةٌ * أخشى صعوبتها وأرجو ذُلّها
منعت تحيّتها فقلت لصاحبى * ما كان أكثرها لنا وأقلّها
فدنا وقال لعلها معذورةٌ * فى بعض رِقبتها فقلت لعلها

أبو السائب المخزومى

قال فأتانى أبو السائب المخزومى فقلت له بعد الترحيب به : ألك حاجة؟ فقال نعم أبيات لعروة بلغنى أنك سمعته ينشدها ، فأنشدته الأبيات فلما بلغت قوله * فدنا وقال لعلها معذورة * البيت طرب وقال : هذا والله الدائم الصبابة الصادق العهد ، لا الذى يقول

إن كان أهلك يمنعونك رغبةً * عنى فأهلى بى أضنُّ وأرغبُ

لقد عدا هذا الأعرابى طوره ، وإنى لأرجو ان يغفر لصاحب هذه الأبيات لحسن الظنّ بها ، وطلب العذر لها ، قال فعرضت عليه الطعام فقال : لا والله ما كنت لاخلط بهذه الأبيات طعاما حتى الليل. وانصرف . وكان أبو السائب غزير الأدب ، كثير الطرب ، وله فكاهات مذكورة ، وأخبار مشهورة ، وكان جدّه يكنى أبا السائب أيضاً وكان خليطا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فكان النبى صلى الله عليه وسلم إذا ذكره قال : نعم الخليط كان أبو السائب ، لا يشارى

(١) ضحيت : تأذت من الشمس (٢) أدقها وأجلها : أدق المواضع التى يجب أن تكون دقيقة ، وأجل المواطن التى يجب ان تكون جليلة ، فهى مثلا دقيقة الخصر ، وثيرة الردف ، ويحسن الرجوع إلى هذه المعانى فى كتاب « أفنان الجمال »

ولا يمارى [1] واسم أبى السائب عبد الله وكان أشراف أهل المدينة يستظرفونه ويقدّمونه لشرف منصبه ، وحلاوة ظرفه . وكان عروة بن أذينة على زهده ، وورعه ، وكثرة علمه ، وفهمه ، رقيق الغزل كثيره ، وهو القائل

إذا وجدت أوار الحب فى كبدى * أقبلت نحو سقاء القوم أبتردُ
هبنى بَرَدْت ببرد الماء ظاهرَهُ * فمن لنارٍ على الاحشاء تتقِدُ

وقد روى هذان البيتان لغيره . ومرّت به سكينة بنت الحسين بن على ابن أبى طالب رضى الله عنهم فقالت له: أنت الذى تزعم أنك غير عاشق وأنت تقول

قالت وأبثثتها سِرّى فبحت بهِ * قد كنتَ عندى تحب الستر فاستترِ
ألست تُبصر من حولى؟ فقلت لها * غطى هواكِ وما ألقى على بصرى

والله ما خرج هذا من قلب سليم قط

حب الاحوص

وروى الزبير عن رجل لم يسمه قال : قال لى أبو السائب أنشدنى للأحوص فأنشدته

قالت وقلت تحرّجى وصلى * حبل امرئ بوصالكم صبٌّ
صاحت إذن بعلى؟ فقلت لها * الغدر شيءٌ ليس من ضربى [2]
شيئان لا أدنو لوصلهما * عُرْس الخليل وجارة الجنب
أما الخليل فلست فاجعَهُ * والجارَ أوصانى به ربى
عُوجا كذا نذكر الغانيةِ * بَعْضَ الحديث مطيّكم صَحْبى [3]
ونقل لها فيمَ الصدود ولم * نذنب بل أنت بدأت بالذنب
إن تُقْبلى نُقبل وننزلكم * منا بدار السهل والرّحب
أو تهجرى تكدر معيشتنا * وتصدّعى متلائم الشعب

(١) المشاراة والمماراة : العنف فى المجادلة (٢) ليس من ضربى : ليس من طبعى
(٣) عوجا مطيكم : قفا مطيكم

فقال هذا والله المحب حقا لا الذى يقول

وكنت إذا حبيبٌ رام هجرى * وجدت وراىَ مُنفَسَحاً عريضاً

ثم قال : اذهب فلا صحبك الله ، ولا وسَّع عليك

يغفر الله لاهل الجمال

وخرج أبو حازم يوماً يرمى الجمار ، فاذا هو بامرأة حاسر[1] قد فتنت الناس بحسن وجهها ، وألهتهم بجمالها ، فقال لها ياهذه انك بمشهر حرام ، وقد فتنت الناس وشغلتهم عن مناسكهم ، فاتقى الله واستتري ، فان الله عز وجل يقول فى كتابه العزيز (وليضربن بخمرهن على جيوبهن) فقالت انى من اللاتى قيل فيهن

أماطت كِساء الخز عن حُر وجهها * وأرخت على المتنين بردا مهلهلا

من اللاء لم يحججن يبغين حِسبةً * ولكن ليقتلن البرىءَ المغفلا[2]

الشعر للحارث بن خالد المخزومى ، فقال أبو حازم لأصحابه : تعالوا ندع الله لهذه الصورة الحسنة أن لا يعذبها الله تعالى بالنار ! فجعل أبو حازم يدعو وأصحابه يؤمنون ، فبلغ ذلك الشعبى فقال : ما أرقّكم يا أهل الحجاز ، وأظرفكم ! أما والله لو كان من قُرى العراق لقال : اعزبى عليك لعنة الله !

أبو حازم

وكان أبو حازم من فضلاء التابعين وله مقامات جميلة من الملوك ، وكلام محفوظ يدل على فضله وعقله ، وهو القائل : كل عمل تكره من أجله الموت فاتركه ، ولا يضرك متى مت ، وكان يقول : ما أحببت أن يكون معك غدا فقدمه اليوم ، وكان يقول : إنما بينى وبين الملوك يوم واحد ، أما أمس فلا يجدون لذته

(١) امرأة حاسر وسافر : ليس على وجهها قناع (٢) المغفل : الطيب القلب

وأنا وإياهم من غد على وجل ، وإنما هو اليوم ، فما عسى أن يكون اليوم ؟ وقال أبو العتاهية

حتى متى نحن فى الأيام نحسبها * وإنما نحن فيها بين يَوْمَيْن
يومٌ تولىَّ ويوم نحن نأمُلُهُ * لعلّه أجلب اليومين للحَيْنِ (١)

شعر الفقهاء

وروى الزبير بن أبى بكر قال : قدمت امرأة من هذيل المدينة ، وكانت جميلة ومعها ابن لها صغير ، وهى أيِّم ، فخطبها الناس وأكثروا ، فقال فيها عبيد الله ابن عبد الله ابن عتبة بن مسعود

أُحِبُّك حبًّا لا يحبك مثلَهُ * قريبٌ ولا فى العالمينَ بعيدُ
أحبك حبًّا لو علمت ببعضهِ * لُجدْتِ ولم يصعب عليك شديد
وحبك يا أم العلاء متيَّمى * شهيدى أبو بكر فذاك شهيدُ
ويعلم وجدى القاسم بن محمدٍ * وعروة ما ألقى بكم وسعيدُ
ويعلم ما أخفى سليمان كلهُ * وخارجةٌ يبدى بنا ويعيدُ
متى تسألى عما أقول فتخبرى * فللحب عندى طارفٌ وتليدُ

فقال له سعيد بن المسيب : قد أمنت أن تسألنا ، ولو سألتنا ما شهدنا لك بزور وكان عبيد الله أحد الفقهاء السبعة الذين انتهى اليهم علم المدينة ، وقد ذكرهم عبيد الله فى هذه الأبيات وهم أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ابن المغيرة المخزومى والقاسم بن أبى بكر الصديق وعروة بن الزبير بن العوام وسعيد بن المسيب بن حزن وسليمان بن يسار وخارجة بن زيد بن ثابت الانصارى وقيل لعبيد الله أتقول الشعر على شرفك ؟ فقال لابدّ للمصدور أن ينفث (٢) وعبيد الله هو القائل

شققتَ القلب ثم ذررت فيه * هواك فليم والتأم الفطُورُ (٣)

(١) الحين : الهلاك (٢) انظر (ظلم العواطف) فى كتاب « البدائع »
(٣) ليم والتأم معناهما واحد ، والفطور الكسور

تغلغل حب عثمة فى فؤادى * فباديه مع الخافى يسيرُ
تغلغل حيث لم يبلغ شرابٌ * ولا حزن ولم يبلغ سرورُ

أخذه سلْم بن عمرو الخاسر فقال

سقتنى بعينَيها الهوى وسقيتها * فدبَّ دبيب الخمر فى كل مفصل

وقال أبو نواس

أحب اللوم فيها ليس إلا * لترداد اسمها فيها ألامُ
ويدخل حبها فى كل قلبٍ * مداخل لا تغلغلها المدام(١)

ومنه قول المتنبى

وللسر منى موضع لا يناله * نديم ولا يفضى إليه شراب

وقال بعض المحدَثين

مازلت تغويني وتطلب خُلتى * حتى حللت بحيث حل شرابى
ثم انصرفت بغير جرم كان لى * ماهكذا الأحباب للأحباب

أخذ أبو نواس قوله أحب اللوم فيها البيت من قول ابن أبى أمية

وحدثنى عن مجلس كنتِ زينَهُ * رسولٌ أمينٌ والنساء شهودُ
فقلت له رُدَّ الحديث الذى مضى * وذكرك من بين الحديث أريدُ
أناشدُهُ بالله إلاّ أعدتَهُ * كأنى بطىء الفهم عنه بعيدُ

وقول أبى نواس فى البيت الاول كقوله

اذا غادينى يصبوح لومٍ * فمزوجاً بتسمية الحبيبِ
فانى لا أعدّ اللوم فيها * عليك اذا فعلت من الذنوبِ
ولا أنا إن عمدت أرى جنانا * وان ضنت بمبخوس النصيب
مقنّعة بثوب الحسن ترعى * بغير تكلّف ثمر القلوبِ

(١) لا تغلغلها المدام : لا تتغلغل فيها

أبو نواس وجنان

وفى جنان هذه يقول أبو نواس

ياذا الذى عن جنان ظل يخبرنا * بالله قل وأعد ياطيّب الخبرِ
قالوا اشتكتك وقالت ما ابتليت بهِ * أراه من حيث ما أقبلت فى أثرى
ويرفع الطرف نحوى إن مررت بهِ * حتى ليخجلنى من شدة النظر
وان وقفت له كيما يكلمنى * فى الموضع الخلو لم ينطق من الحصَر (١)
ما زال يفعل بى هذا ويُدمنهُ * حتى لقد صار من همّى ومن وطرى (٢)

وفى جنان أيضا يقول أبو نواس وكان بها صبًّا ولها محبا

جنان تسبنى ذكرت بخير * وتزعم أننى رجل خبيثُ
وأن مودتى كذب ومَيْنٌ * وانى للذى تطوى بثوث (٣)
وليس كذا ولا ردٌّ عليها * ولكنَّ الملول هو النكوث
ولى قلب ينازعنى إليها * وشوق بين أضلاعى حثيث
رأت كلفى بها وقديم وجدى * فملّتنى كذا كان الحديث

وكانت جنان مولاة لبعض الثقفيين ، وفى معنى قول ابن أبى أمية يقول العباس بن الأحنف

وحدثتنى ياسعد عنها فزدتنى * جنوناً فزدنى من حديثك ياسعدُ

ظرف أهل المدينة

وأهل المدينة أكثر الناس ظرفا ، وأكثرهم طِيبا ، وأحلاهم مزاحا ، وأشدهم اهتزازاً للسماع ، وحسن أدب عند الاستماع : وقال عبد الله بن جعفر

(١) الحصر : العى (٢) الوطر : الحاجة (٣) بثوث : كثير البث لسره والتحدث عنه

إن لى عنـد السماع هزة ، لو سُئلت عندها لأعطيت ، ولو قاتلت لأبليت .

وروى أبو العيناء قال قال الاصمعى : مررت بدار الزبير بالبصرة فاذا شيخ قديم من أهل المدينة من ولد الزبير يكنى أبا ريحانة جالس بالباب عليه شملة تستره فسلمت عليه ، وجلست إليه ، فبينما أنا كذلك إذ طلعت علينا سوداء تحمل قربة ، فلما نظر إليها لم يتمالك أن قام إليها ، فقال لها بالله غنى صوتاً ! فقالت : إن موالىّ أعجلونى ، فقال لابد من ذلك ، قالت أمّا والقربة على كتفى فلا . قال فأنا أحملها فأخذ القربة منها فاندفعت تغنى

فؤادى أسيرٌ لايفكُّ ومهجتى * تفيض وأحزانى عليك تطولُ

ولى مقلة قَرْحَى لطول اشتياقها * اليك وأجفانى عليك هُمُولُ

فديتك أعدائى كثيرٌ وشُقَّتى * بعيدٌ وأشياعى لديك قليل (١)

فطرب وصرخ صرخة وضرب بالقربة الى الارض فشقها . فقامت الجارية تبكى . وقالت ماهذا بجزائى منك ، أسعفتك بحاجتك فعرضتنى لما أكره من موالىّ ، قال لاتغتمى فان المصيبة علىّ حصلت ، ونزع الشملة ووضع يدا من خلف ويدا من قُدّام ، وباع الشملة وابتاع لها قربة جديدة ، وقعد بتلك الحال فاجتاز به رجل من ولد على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه فعرف حاله فقال : ياأبا ريحانة ! أحسبك من الذين قال الله تعالى فيهم (فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين) قال لا يا ابن رسول الله ولكنى من الذين قال الله تعالى فيهم (فبشر عبادى الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه) فضحك وأمر له بألف درهم

ومرّ بالاوقص المخزومى وهو قاضى المدينة سكران وهو يتغنى بليل ، فأشرف عليه وقال : ياهذا شربت حراما ، وأيقظت نياما ، وغنيت خطأ ، خذه عنى ، وأصلح له الغناء .

(١) انظر لوعة الشوق فى كتاب « مدامع العشاق » لترى هذه القصيدة البديعة

التشبيب بأخت الحجاج

وسمع سعيد بن المسيب منشداً ينشد

فلم ترعيني مثل سِرب رأيتهُ * خرجن من التنعيم معتمراتِ[١]
مررن بفخ ثم رُحن عشيةً * يلبين للرحمن مؤتجراتِ[٢]
ولما رأت ركب النمير أعرضت * وكنَّ بأن يلْقَيْنَهُ حذِرات
دعت نسوةً شُمَّ العرانين بُزّلاً * نواعم لاشعثا ولا غبرات[٣]
فأبرزن لما قمن يحجبن دونها * حجاباً من القيسيِّ والحبراتِ[٤]
تضوَّع طِيباً بطن نعمان إذمشَتْ * به زينب في نسوة عطرات
يخبئن أطراف البنان من التقى * ويخرجن شطر الليل معتجرات[٥]

فقال سعيد : هذا والله مما يلذ استماعه ، ثم قال

وليست كأخرى وسَّعت جيب دِرعها * وأبدت بنان الكف للجمَراتِ
وغالت بنان المسك وحفاً مرجّلا * على مثل بدر لاح في الظلمات[٦]
وقامت تراءى بين جمع فأفتنت * برؤيتها من راح من عرفاتِ

قال فكانوا يرون أن الشعر الثاني له ، والأول لمحمد بن عبد الله بن نمير الثقفي يقوله في زينب بنت يوسف أخت الحجاج حتى ظفر به فقال : أنت القائل ماقلت ؟ قال وهل قلت أصلح الله الأمير إلا

يخبئن أطراف البنان من التقى * ويخرجن شطر الليل معتجراتِ

(١) السرب : القطيع من البقر والظباء ، والمراد به هنا جماعة من حسان النساء (٢) فخ موضع بمكة (٣) العرانين : جمع عرنين وهو الأنف ، وبزل : جمع بازل وهو البعير يبلغ تسع سنين فتكتمل قوته ، والمراد وصف هؤلاء النسوة بأنهن بلغن السن التي ينقلن فيها القلب من مكان الى مكان (٤) القيسي : نوع من اللباس ينسب الى قرية مصرية بقرب العريش (٥) الاعتجار : لبسة خاصة المرأة (٦) وحف : أسود ، وهو صفة الشعر ، والمرجل : المسرح

قال له : كم كنتم إذ تقول * ولما رأت ركب النمیری أعرضت * قال والله ما كنت إلا أنا وصاحب لی علی حمار هزیل ! فضحك وعفا عنه ، وهو القائل

أهاجتك الظعائن يوم بانوا * بذی الزّی الجميل من الأثاث[1]
ظعائن أسلكت فی بطن قوّ * تحث إذا رنت أی احتثاث
كأن علی الهوادج يوم بانوا * نعاجاً ترتعی بقل البَراث[2]
يُهيّجك الحمام إذا تغنّی * كما سجع النوادب بالمراثی

شذرات لابن المعتز

وقال ابن المعتز: وعد الدنيا إلى خُلف ، وبقاؤها إلى تَلف ، وبعد عطائها المنع ، وبعد أمانها الفجع ، طوّاحة طرّاحة ، آسية جرّاحة ، كم راقد فی ظلها قد أيقظته ، وواثق بها قد خانته ، حتی يلفظ نفسه ، ويودع دنياه ، ويسكن رمسه ، وينقطع عن أمله ، ويشرف علی عمله ، وقد رجح الموت بحياته ، ونقض قوی حركاته ، وطمس البلی جمال بهجته ، وقطع نظام صورته ، وصار كخط من رماد تحت صفائح أنضاد[3] وقد أسلمه الأحباب ، وافترش التراب ، فی بيت قد نجرته المعاول[4] ، وفُرشت فيه الجنادل ، مازال مضطربا فی أمله ، حتی استقر فی أجله ومحت الأيام ذكره ، واعتادت الألحاظ فقره

وكتب وهو معتقل الی أستاذه أبی العباس أحمد بن يحيی بن ثعلب يتشوقه

ماوجد صادٍ بالحبال مُوثَقِ * بماء مُزْنٍ بارد مصفّقِ[5]

---

(١) الظعائن : جمع ظعينة ، وهی المرأة فی الهودج ، والاثاث متاع البيت

(٢) البراث : الارض السهلة . ويحسن الرجوع الی هذه المعانی البدوية فی شرح صاحب البدائع لكتاب « جمهرة أشعار العرب » فانه صورة صادقة لخيال أهل البادية ، وتصور أهل الفطرة من شعراء الجاهلية وصدر الاسلام (٣) صفائح أنضاد الصفائح الحجارة العريضة ، وانضاد جمع نضد وهو المنحوت باستواء

(٤) المعاول : جمع معول وهو آلة كالقدوم (٥) مصفق : صفقته الريح أی لعبت به حتی لكأنه يصفق

بالريح لم يُكدر ولم يُرنَّقِ * جادت به اخلاف دَجْنٍ مُطبِقِ (١)
بصخرةٍ إن ترشمسا تُبرقِ * مادَ عليها كالزُّجاج الازرقِ (٢)
صَريح غَيثٍ خالصٍ لم يُمْذَقِ * إلاّ كوجدى بك لكن أتّقى (٣)
يافاتحا لكل باب مُغْلَقِ * وصَيْرَفيًا ناقدًا للمنطقِ
إن قال هذا بَهْرجٌ لم ينفقِ * إنّا على البعاد والتفرقِ
لنلتقى بالذكر ان لم نلتقِ

فأجابه أخذت أطال الله بقاءك أول هـذه الأبيات مما أمليته عليك من قول جميل

وما صادياتٌ حُمْنَ يوماً وليلةً * على الماء يخشين العِصىَّ حوانى
كواعبُ لم يصدرن عنه لوجهةٍ * ولاهنَّ من بردِ الحياض دوانى
يَرَيْنَ حَباب الماء والموت دونهُ * فهنّ لاصوات السُّقاة رِوانى
بأكثرَ منى غُلةً وصبابةً * اليك ولكنَّ العدوّ عرانى

وأخذت آخرها من قول رؤبة بن العجاج

إني وان لم ترنى فانى * أخوك والراعى اذا استرعيتَنى
أراك بالود وان لم ترنى

قال : فاستخفنى فى ذلك ونسب الىّ سوء الادب

شعر ابن المعتز

وكان أبو العباس عبد الله بن المعتز فى المنصب العالى من الشعر والنثر ، وفى النهاية فى إشراق ديباجة البيان ، والغاية من رقة حاشية اللسان . وكان كما قال ابن المرزبان: اذا انصرف من بديع الشعر ، الى رقيق النثر ، أتى بحلال السحر ،

(١) الاخلاف : الاثداء يفيض منها اللبن ، والدجن المطبق هو السحاب المتراكم (٢) ماد : مال (٣) لم يمذق : لم يمزج ، يشبه الغيث القوى بالخمر الصرفة تصرع الشاربين (٤) الصيرفى : الرجل الحاذق فى تمييز النقود

وليس بعد ذى الرُّمة أكثر افتناناً ، وأكبر تصرفاً واحساناً فى التشبيه منه . وانما فرقت جملة مااخترت من شعره ونثره فى جملة هذا الكتاب ، لئلا أخرج عما تقدّم به الشرط فى البسط ، وآتى ههنا ببعض ماأختاره له . قال

وفتيانٍ سَرَوْا والليلُ داجٍ * وضوء الصبح منهم الطلوعِ
كأن بُزاتهم امراء جيشٍ * على أكنافهم صَدَأ الدروعِ

وقال أيضاً

فى ليلةٍ أكل المحاق هلالها * حتى تبدّى مثل وقف العاج (١)
والصبح يتلو المشترى فكأنهُ * عُرْيان يمشى فى الدُّجا بسراجِ (٢)

وقال أيضاً يصف فرسا

ولقد غدوت على طِمِرٍّ سابحٍ * عقدتْ سنابكه عَجَاجة قَسْطَلِ (٣)
متلثِّمٍ لُجُمُ الحديد يلوكها * لوك الفتاة مساوكا من إسْحَلِ (٤)
ومُحجَّل غير اليمين كأنهُ * متبختر يمشى بكمٍّ مسبلِ

وقال

قد اغتدى بقارحٍ * مُسَوَّمٍ يعبوبِ
ينفى الحصى بحافرٍ * كالقَدَح المكبوب
قد ضحكت غُرَّتهُ * فى موضع التقطيبِ

وقال أيضاً

ولقد وطئت الغيث يحملنى * طِرْفٌ كلون الصبح حين وَفَدْ
جمَّاع أطراف الصوار فما الأخرى عليه إذا جرى بأشَدْ

(١) وقف العاج : هو القطعة من العاج يمسك بها الثوب كالدبوس ونحوه
(٢) الدجى : جمع دجية وهى الظلمة (٣) طمر : حصان سريع الجرى كأنما يهوى من طمار ، أى من مكان مرتفع ، وسنابك الجواد حوافره ، والعجاجة السحابة ، والقسطل الغبار (٤) اللجم جمع لجام ، والاسحل بالكسر شجر يستاك به

يمشي فيعرض في العنان كما * صدف المعشّق ذو الدلال وصدّ
فكأنه موجٌ يذوب إذا * أطلقتهُ فاذا حبست جمَدْ

وقال أيضاً يصف سيفاً

ولى صارمٌ فيه المنايا كوامنٌ * فما يُنتضى إلا لسفك دماء
ترى فوق متنيه الفِرند كأنهُ * بقية غَيْمٍ رقّ دون سماء

وقال يصف ناراً

مشهّرةٌ لايحجب النخلُ ضوءها * كأن سيوفا بين عيدانها تُجلى
يفرّج أغصان الوقود اضطرامها * كما شقت الشقراء عن متنها جلاّ(١)

السرى الموصلى

وقال بعض أهل العصر وهو السَّرى الموصلىّ

يومُ رذاذٍ مُسَكَّك الحجُبِ * يضحك فيه السرور من كثَبِ
ومجلسٍ أسبلت ستائرهُ * على شموس البهاء والحسبِ
وقد جرت خيل راحنا خَبَباً * فى حَلبها أو هممن بالخبَبِ
والنهبت نارنا فمنظرُها * يغنيك عن كل منظرٍ عجب
إذا ارتمت بالشرار فاطّردت * على ذُراها مطارد اللهب
رأيت ياقوتة مشبكةً * تطير عنها قُراضة الذهب
فانهض إلى المجلس الذى ابتسمت * فيه رياض الجمال والادبِ

وقال بعض أهل العصر وهو أبو الفرج الببغا

فَحَماً قدّم الغلام فأهدى * فى كوانينه حياة النفوسِ
كان كالآبنوس غير محلّى * فغداوهو مُذْهب الآبنوسِ

(١) الشقراء : فرس زهير بن جذيمة

لقىَ النارَ فى ثياب حِدادٍ * فكسته مُصبَّغات عروسِ

وقال أبو الفضل الميكالى

كأن الشرارَ على نارنا * وقد راق منظرها كل عَيْن
سُحَالة تِبرٍ اذا ماعلا * فإمّا هوى فَفَتَات اللُّجَيْن (١)

وقال ابن المعتز يصف سحابة

ومُوقرةٍ بثِقل الماء جاءتْ * تَهَادى فوق أعناق الرياحِ
فباتت ليلها سَحًّا ووبْلاً * وهطلا مثل أفواه الجراحِ
كأن سماءها لما تجلّتْ * خِلالَ نجومها عند الصباحِ
رياضُ بَنَفْسج خَضِلٍ ثراهُ * تفتّح بينه نَوْرُ الأقاحِ (٢)

وقال

ولُجة للمنايا خضت غمرتها * بصارم ذكرٍ صَمْصَامةٍ خذم (٣)
وقارحٍ صبغ الخيلان دُهْمَتَهُ * بشُهْبةٍ كاختلاط الصبح بالظُّلَم (٤)

وقال

وليل ككحل العين خُضت ظلامَهُ * بأزرقَ لمّاعٍ وأبيضَ صارمِ
ومَضْبورة الأعضادِ حَرْفٍ كأنها * تصافح رَضْراض الحصى بمناسم

وقال يصف حية

نَعتُّ رقطاءَ لايحبى لرُقيتها * لوقدّها السيفَ لم يعلق به بَلَلُ (٥)
تُلقى اذا نسلخت فى الارض جلدتها * كأنها كُمّ دِرعٍ قدّهُ بطلُ

وقال أيضاً

وأسأرَ منى الدهرُ عضْباً مهنّداً * يفُلُّ شَبَا حظى وقلبا مشيّعا
ورأيا كمرآة الصّناع أرى بهِ * سرائرَ غيب الدهر من حيث ماسعى

---

(١) السحالة : النخالة (٢) خضل : ندى (٣) خذم : قاطع (٤) قارح : أغر والدهمة السواد ، والشهبة لون بين السواد والبياض (٥) رقطاء : منقطة

(أخذه من قول المنصور لابنه المهدى)

لاتبرمنّ أمراً حتى تفكر فيه ؛ فان فكر العاقل مرآته ، يريه قبحه وحسنه .

رثاء المنصور

ولما دُفن المنصور وقف الربيع على قبره فقال : رحمك الله ياأمير المؤمنين ، وغفر لك فقد كان لك حمى من العقل ، لايطير به الجهل ، وكنت ترى باطن الأمر بمرآة من الرأى ، كما ترى ظاهره . ثم التفت الى يحيى بن محمد أخى المنصور فقال هذا كما قال أبو دعبل الجمحى

عقم النساء فما يلدن شبيهه * إن النساء بمثله عُقمُ (١)

وبعده

متهللٌ بنعم بلا متباعدٌ * سيّان منه الوفرُ والعدمُ (٢)

نزر الكلام من الحياء تخاله * ضمناً وليس بجسمه سقمُ (٣)

أوصاف الرجال

أخذ البيت الأخير من قول ليلى الاخيلية

لاتقربنّ الدهر آل مطرّف * إنْ ظالماً يوماً وإنْ مظلوما

قومٌ رباط الخيل حول بيوتهم * وأسنّةً زُرقاً يُخَلْنَ نُجُوما

وممزّق عنه القميص تخاله * وسَطَ البيوت من الحياء سقيما

حتى اذا رفع اللواء رأيته * يوم الهياج على الخميس زعيما (٤)

وقال

يُشبّهون ملوكا فى تجلّتهمْ * وطول أنصبة الأعناق واللّمم (٥)

اذا بدا المسك يجرى فى مفارقهم * راحوا كأنهمُ مَرْضى من الكرم

(١) عقم : جمع عقيم وهى المرأة العاقر (٢) الوفر والعدم : الغنى والفقر

(٣) ضمن : مريض (٤) اللواء : الراية ، والخميس الجيش لأنه خمس فرق : المقدمة والقلب والميمنة والميسرة والساقة . والزعيم الرئيس (٥) الأنصبة : جمع نصاب وهو الأصل الذى ركب فيه العنق

وقال أبو على الحاتمى : وما أحسن أبياتا أنشدها أبو عمرو المطرز غلام ثعلب يعترض فى أثنائها هذا المعنى

تخالهُمُ للحلم صُمًّا عن الخنا * وخُرْساً عن الفحشاء عند التهاتُرِ
ومَرْضَى اذا لاقوا حياءً وعِفةً * وعند الحروب كالليوث الخوادرِ
لهم عز إنصافٍ وذل تواضع * بهم ولهم ذلت رقاب العشائر
كان بهم وصما يخافون عارهُ * وليس بهم الاانتقاء المعائرِ (١)

وأنشد

أحلام عادٍ لايخاف جليسهم * وان نطق العوراء عيب لسانِ
اذا حُدثوا لم يخش سوء استماعهم * وان حدَّثوا أدّوا بحسن بيان

طيب الوصال

وقال ابن المعتز

وعاقدِ زنّارٍ على غُصُن الآس * دقيق المعانى مُخْطَفِ الخصر ميّاسِ
سقانى عقاراً صبَّ فيها مزاجها * فأضحك عن ثغر الحَباب فم الكاسِ

وقال

ياليلةً نسىَ الزمان بها * أحداثه كونى بلا فجرِ
فاح المساء ببدرها ووشت * فيها الصَّبا بمواقع القطرِ
ثم انقضت والقلب يَتْبَعُها * فى حيثما سقطت من الدهرِ

وقال

يارُبَّ إخوانٍ صَحِبتُهمُ * لايملكون لسلوةٍ قلبا
لوتستطيع قلوبهم نفرَتْ * أجسامهُم فتعانقت حبا

هذا كقول ابن الرومى

أعانقهُ والنفسُ بعد مشوقةٌ * إليه وهل بعد العناقِ تدانى

(١) المعائر : المعايب

وألثم فاه كى تزول حرارتى * فيشتد ما ألقى من الهيمان
ولى فيك مقدار الذى بى من الهوى * ليروى ما ترشف الشفتان
كأن فؤادى ليس يشفى غليله * سوى أن يرى الروحان يمتزجان

نثر ابن المعتز

ومن منثوره: لا يزال الاخوان يسافرون فى المودة ، حتى يبلغوا الشقة ، فاذا بلغوها ألقوا عصا التسيار ، واطمأنت بهم الدار ، وأقبلت وفود النصائح ، وأمنت خبايا الضمائر ، فحلوا عقد التحفظ ، ونزعوا ملابس التخلق (وله) سار فلان فى جيوش عليهم أردية السيوف ، وأقمصة الحديد ، وكأن رماحهم قرون الوعول[1] وكأن دروعهم زبد السيول ، على خيل تأكل الارض بحوافرها ، وتمد بالنقع سُرادقها[2] قد نشرت فى وجوهها غرر كأنها صحائف الرق ، وأمسكها تحجيل كأنه أسورة اللجين ، وقرطت عُذُراً كأنها الشنف[3] تتلقف الاعداء أوائله ولم تنهض أواخره ، قد صُبّ عليهم وقار الصبر ، وهبت معهم ريح النصر ، (وله فى عليل) آذن الله فى شفائك ، وتلقى داءك بدوائك ، ومسح بيد العافية عليك ، ووجّه وفد السلامة اليك ، وجعل علتك ماحية لذنوبك ، مضاعفة لثوابك. وكتب إلى عبد الله بن سليمان بن وهب فى يوم عيد (أخرتنى العلة عن الوزير أعزه الله ، فحضرت بالدعاء فى كتابى لينوب عنى ، ويعمر ما أخلته العوائق منى ، وأنا أسأل الله تعالى أن يجعل هذا العيد أعظم الاعياد السالفة بركة على الوزير ودون الأعياد المستقبلة فيما يحب ويحب له ، ويقبل ما توسل به الى مرضاته ، ويضاعف الاحسان اليه ، على الاحسان منه ، ويمتعه بصحبة النعمة ، ولباس العافية ، ولا يريه فى مسرة نقصاً ، ولا يقطع عنه مزيدا ، ويجعلنى من كل سوء فداه ، ويصرف

(١) الوعول : جمع وعل وهو التيس الجبلى (٢) النقع : الغبار
(٣) الشنف : القرط والعذر بضمتين جمع عذار

عيون الغير عنه ، وعن حظى منه (وله) الى بعض الرؤساء : لاتَشِنْ حسن الظفر بقبح الانتقام ، وتجاوز عن كل مذنب لم يسلك من الاعذار طريقا ، حتى اتخذ من رجاء عفوك رفيقا (وله) اعتذار الى القاسم بن عبيد الله : ترفّع عن ظلمى ان كنت بريئاً ، وتفضل بالعفو ان كنت مسيئاً ، فوالله انى لأطلب عفو ذنب لم أجنه ، والتمس الإقالة مما لا أعرفه ، لتزداد تطولا وازداد تذللا ، وأنا أعيذ حالى عندك بكرمك من واش يكيدها ، وأحرسها بوفائك من باغ يحاول افسادها ، واسأل الله تعالى أن يجعل حظى منك بقدر ودى لك ؛ ومحلى من رجائك ، بحيث استحق منك .

وله اليه : لو كان فى الصمت موضع يسع حالى لخففت عن سمع الوزير ونظره ، ولم أشغل وجها من فكره ، وما زالت الشكوى تعرب عن لسان البلوى ، ومن اختلت حالته ، كان فى الصمت هلكته ، وقد كان الصبر ينصرنى على ستر أمرى حتى خذلنى — وهذا كقول احمد بن اسماعيل : فصاحة الشكوى ، على قدر البلوى ، إلا أن يكون بالشاكى انقباض ، وبالمشكو إليه إعراض]

وصف الماء

وقد أحسن أبو العباس بن المعتز فى صفة الماء فى أرجوزته التى أنشدتها آنفاً . وقد قال فى قصيدة له وذكر إبلا

فتبدّى لهن بالنجف المد * ير ماءٌ صافى الجمام مرىٌّ
يتمشى على حصى يسكب الما * ء قذاه فمتنه مجلىٌّ
واذا داخلته درة شمس * خلته كُسِّرت عليه الحلىّ

وقال

لا مثل منزلة الدويرة منزلٌ * يادار جادك وابلٌ وسقاكِ
بُؤساً لدهر غيرتك صروفهُ * لم يَمْحُ من قلبى الهوى ومحاكِ

لم يحلَ للعينين بعدك منظرٌ * ذمَّ المنازل كلهنَّ سواكِ
أيّ المعاهد منك أندب طيبهُ * مَمْساكِ بالآصال أم مغداكِ
أم بَرد ظلك ذى الغصون وذى الجنى * أم أرضك الميثاء أم رياكِ (١)
وكأنما سعطت مجامر عنبر * أوفُتَّ فار المسك فوق ثراكِ (٢)
وكأنما حصباء أرضك جوهرٌ * وكأن ماء الورد دمع ندالكِ
وكأنّ دِرْعاً مُفْرغاً من فضة * ماء الغدير جَرَتْ عليه صَبَاكِ (٣)

عفاف عاتكة المرية

وعشقت عاتكة المرية ابن عم لها فراودها عن نفسها فقالت

وما طعم ماء أىّ ماء تقولهُ * تحدَّر عن غُرٍّ طوال الذوائبِ
بمنعرَج من بطن وادٍ تقابلتْ * عليه رياح الصيف من كل جانبِ
نَفَتْ جَرية الماء القذى عن متونهِ * فما إن به عيبٌ تراه لشارب
بأطيبَ ممن يقصر الطرف دونهُ * تقى الله واستحياء بعض العواقبِ

أحواض مأرب

وأنشد الأصمعى قال أنشدنى أبو عمرو بن العلاء لجابر بن الأرق وقال هو أحسن ما قيل فى معناه

أيا ويح نفسى كلما انْتَحَتْ لوحةً * على شربة من ماء أحواض مأربِ
بقايا نِطاف أودع الغيم صفوها * مصقَّلة الأرجاء زُرْق المشاربِ
ترقرق دمع المزن فيهنَّ والنَّوَتْ * عليهن أنفاس الرياح الغرائب

وأنشد اسحاق بن ابراهيم للأبيرد اليربوعى ورويت لمضرس بن ربعى الاسدى

(١) الميثاء : اللينة (٢) فار المسك : ماتجمد من دم الغزال (٣) مفرغ : مصبوب

فألقت عصا التسيار عنها وخيمت * بأرجاء عذب الماء زرق محافره
أزال القذى عن مائه وافد الصبا * يروح عليه ناسماً ويبا كره

وأول من أتى بهذا زهير بن أبى سلمى فى قوله

فلما وردن الماء زُرقا جمامُهُ * وضعن عصىّ الحاضر المتخيّم (١)

وقال ابن الرومى

وماء جلت عن حُر صفحته القذى * من الريح معطار الاصائل والبُكر
به عَبَق مما تسحّب فوقهُ * نسيم الصبا يجرى على النَّور والزهر

بركة الجعفرى

ويتعلق بهذا الباب قول البحترى يصف بركة الجعفرى وهو قصر ابتناه المتوكل فى سُرَّ من رأى

يامن رأى البركة الحسنا ورونقها * والآنسات إذا لاحت مغانيها
ما بال دجلة كالغيرى تنافسها * فى الحسن طوراً وأطوارا تباهيها
اذا علتها الصَّبا أبدت لها حُبكاً * من الجواشن مَصْقولاً حواشيها
فحاجب الشمس أحيانا يغاز لها * وريِّق الغيث أحيانا يبا كيها
اذا النجوم تراءتْ فى جوانبها * ليلا حسبت سماءً ركِّبت فيها
كأنما الفضة البيضاء سائلةً * من السَّبائك تجري فى مجاريها
تنصبّ فيها وفود الماء مُعْجَلةً * كالخيل خارجةً من حَبْل مُجريها
كأن جنَّ سليمان الذين وَلُوا * إبداعها فأدقوا فى معانيها
فلو تمرُّ بها بلقيس معرضةً * قالت هى الصَّرْح تمثيلاً وتشبيها
يَعُمْنَ فيها بأوساطٍ مجنَّحةٍ * كالطير تنشر فى جوٍّ خوافيها

(١) المتخيم : المقيم ، ويحسن الرجوع الى معلقة زهير فى كتاب « جمهرة أشعار العرب »

قصور المتوكل

ولم ينفق أحد من خلفاء بنى العباس فى البناء ما أنفقه المتوكل ، وذلك انه أنفق فى أبنيته ثلثمائة ألف ألف. وفى أبنيته يقول على بن الجهم

ومازلت أسمع أن الملو * ك تبنى على قدر أخطارها
وأعلم أن عقول الرجا * ل يُقضى عليها بآثارها
صُحُونٌ تسافر فيها العيون * فتحسر من بُعْد أقطارها (١)
وقبة مُلْكٍ كأن النجو * م تُفضَى اليها بأسرارها
اذا أُوقِدَت نارها بالعراق * أضاءَ الحجازَ سنانارها
لها شُرُفات كأن الربيع * كساها الرياض بأنوارها
فهنّ كمصطحبات خرجن * لفُصْح النصارى وإفطارها (٢)
نظمن القِسِىّ كنظم الحلى * بعُونِ النساء وأبكارها
فمن بين عاقصةٍ شعرها * ومُصلحة عِقْد زِنّارها (٣)

وللبحترى فيها شعر كثير منه

أرى المتوكليّة قد تعالت * مصانعها وأكملت التماما
قصور كالكواكب لامعاتٌ * يكدن يُضِئْن للسارى الظلاما
وروض مثل بُرْد الوشى فيهِ * جنى الحوذان ينشر والخُزامى (٤)
غرائب من فنون النَّور فيها * جنَى الزهر الفُرادى والتؤاما
يضاحك نورها طوراً وطوراً * عليه الغيم ينسجم انسجاما
ولو لم يستهلّ لها غمامٌ * بريقةلكنت لها غماما (٥)

(١) تحسر : تكل ، والاقطار النواحى والأرجاء (٢) الفصح من أعياد النصارى (٣) الزنار : رباط يشد به الخصر (٤) الحوذان والخزامى من النباتات المزهرة (٥) ريق المطر : الغزير منه

وقال أيضاً

قد تمَّ حسن الجعفرى ولم يكن * ليتمَّ إلا للخليفة جعفرِ
ملكٌ تبوَّأ خير دارٍ انشئت * وترابها مسك يُشاب بعنبرِ (١)
مخضرَّة والغيث ليس بساكبٍ * ومضيئة والليل ليس بمقمر
رفعت بمنخرق الرياح وجاورت * ظل الغمام الصيِّب المستعبر (٢)

وبعده:

ورفعت بنيانا كأن زُهاءَهُ * أعلام رضوى أو شواهق مثبر (٣)
عالٍ على لحظ العيون كأنما * ينظرن منه الى بياض المشترى (٤)
ملأت جوانبه الفضاء وعانقت * شُرفاته قِطع السحاب المُمْطر
وتسيل دجلة تحته فِضناؤهُ * من لجَّة فُرشت وروض أخضَر
شجر تلاعبه الرياح فتنثنى * أعطافه فى سائح متفجِّرِ

وصف موضع

أخذ أبو بكر الصنوبرى قول البحترى فى صفة البركة فقال يصف موضعا

سقا حلباً سافك دمعهُ * بطيء الرقوء اذا ما سَفكْ
ميادينه بُسطهنّ الرياضْ * وساحاتهُ بينهن البِرَكْ
ترى الريح تنسج من مائهِ * دُرُوعاً مضاعَفةً أو شبك
كأن الزجاج عليها أذيبَ * وماء اللجين بها قد سُبِك
هى الجوُّ من رِقة غير أنّ * مكان الطيور يطيرُ السمك
وقد نُظم الزهر نظم النُجُومْ * فمفترق النظم أو مشتبك
كما درَّج الماء مَرُّ الصَّبا * ودبَّج وجهَ السماء الحُبُك

(١) يشاب : يمزج (٢) الصيب : الكثير الانهمال (٣) رضوى ومثبر أسماء جبال (٤) المشترى : اسم نجم

يباهين أعلام قُمص القِيان * ونقش عصائبها والتِّكَكْ

وأخذ قوله * اذا النجوم تراءت فى جوانبها * فقال

ولما تعالى البدرُ وامتدّ ضوءهُ * بدجلة فى تشرين فى الطول والعَرْضِ

وقد قابل الماء المقضض نورهُ * وبعض نجوم الليل يقفوسنا بعض (١)

توهّم ذو العين البصيرة أنهُ * يرى باطن الافلاكِ من ظاهر الارض

ولأهل العصر فى هذا النحو كلام كثير . قال الأمير أبو الفضل الميكالى يصف بركة وقع عليها شعاع الشمس فألقته على بهو مطل عليها يقول

أما ترى البركة الغراء قد لبست * نوراً من الشمس فى حافاتها سطعا

والبهو من فوقها يلهيك منظرهُ * كأنهُ ملكٌ فى دَستهِ ارتفعا

والماء من تحته ألقى الشعاع على * أعلا سماواته فارتجَّ ملتمعا

كأنه السيف مصقولاً تُقلبُهُ * كفّ الكمى الى ضرب الكمى سعى

دار البحر بالمنصوريه

وقال على بن محمد الايادى يمدح المعز ويصف دار البحر بالمنصورية

ولما استطال المجد واستولت البُنى * على النجم واشتدالرواق المروَّقُ (٢)

بنى قبةً للملك فى وسط جَنةٍ * لها منظرٌ يُزهى به الطرف مونقُ

بمعشوقة الساحات أما عِراصها * فخضرٌ وأما طيرها فهى نُطَّق (٣)

تحف بقصر ذى قُصُور كأنما * ترى البحر فى أرجائه وهو مُتأَقُ (٤)

له بركة الماء ملء فضائهِ * تَخُبُّ بقصريْها العيون وتَعنَقُ (٥)

لها جَدْولٌ ينصبُّ فيها كأنهُ * حُسامٌ جلاه القين بالأرض مُلْصَقُ (٦)

(١) يقفو : يتبع ، والسنا الضوء (٢) البنى : جمع بنيه بالضم والكسر
(٣) العراص هى الباحات (٤) متأق ملآن (٥) تخب وتعنق من الخبب والعنق بفتحتين وهما من أنواع السير (٦) القين : الحداد

لها مجلسٌ قد قام فى وسْط مائها * كما قام فى فيض الفرات الخورنق (١)
كأنَّ صفاءَ الماء فيها وحُسْنَهُ * زجاجٌ صفت أرجاؤه فهو أزرقُ
اذا بثّ فيها الليل أشخاص نجمِهِ * رأيت وجوه الزنج بالنار تُحْرَقُ
وان صافحتها الشمس لاحت كأنها * فِرند على تاج المعزّ ورَوْنَقُ
كأن شُرافات المقاصر حولها * عذارى عليهنّ الملاء المنطق
يذوب الجفاء الجعد عن وجه مائها * كما ذاب آل الصحصحان المرقرق (٢)

وقال عبد الكريم بن ابراهيم

يارب فتيان صدقٍ رحت بينهمُ * والشمس كالدنف المعشوق فى الأفقِ
مرضى أصائلها حسرى شمائلُها * تروّح الغُصُن الممطور فى الورق
معاطياشمس إبريق اذا مزجتْ * تقلدت عقد مرجان من النزق
عن ماحلٍ طافح بالماء معتلج * كأنما نفسه صيغت من الحدق
تضمهُ الريح أحيانا وتفرقهُ * فالماء ما بين محبوس ومنطلق
من أخضر ناضر والطل يلحقهُ * وأبيض تحت قبطىّ الضحى يقق
تهزّهُ الريح أحياناً فيمنحها * للزجر خفق فؤاد العاشق القلقِ
كأنَّ حافاتهِ نُطّقن من زبدٍ * مناطقاً رصّعت من لؤلؤ نَسَقِ
كأن قبته من سُنْدُسٍ نمطٍ * حسناء مجلوّة اللبّات والعنق
إذا تبلّج فجرٌ فوق زرقتهِ * حسبته فرساً دهْماء فى بَلَقِ
أو لازَوَرْداً جرى فى متنه ذهب * فلاح فى شارقٍ من مائه شرقِ
عشية كملت حُسناً وساعدَها * ليل يمدد أطنابا على الأفق
تجلى بغرة وضّاح الجبين لهُ * ماشئت من كرم وافٍ ومن خلُقِ

(١) الخورنق : اسم قصر (٢) الصحصحان : موضع بين حلب وتدمر ، والآل السراب

المياه والغدران

ألفاظ لأهل العصر فى وصف الماء وما يتصل به

ماء كالزجاج الازرق ، غدير كعين الشمس ، موارد كالمبارد ، وماء كاسان الشمعة ، فى صفاء الدمعة ، يسبح فى الرضراض ، سبح النضناض ، ماء أزرق كعين السِّنَّور [١] صاف كقضيب البلّور ، ماء إذا مسته يد النسيم حكى سلاسل الفضة ، ماء إذا صافحته راحة الريح ، لبس الدرع كالمسيح ، كأن الغدير بتراب الماء رداء مصندل ، بركة كأنها مرآة السماء ، بركة مفروزة بالخضرة ، كأنها مرآة مجلوة ، على ديباجة خضراء ، بركة ماء كأنها مرآة الصناع [٢] غدير ترقرقت فيه دموع السحائب ، وتواترت عليه أنفاس الرياح الغرائب ، ماء زُرق جِمامه ، طامية أرجاؤه ، يبوح بأسراره صفاؤه ، وتلوح فى قراره حصباؤه ، ماء كأنما يفقده من يشهده ، يتسلسل كالزرافين [٣] ويرضع أولاد الرياحين ، انحل عقد السماء ، ووهى عقد الأنواء ، انحل سلك القطر عن در البحر ، أسعد السحاب جفون العشاق [٤] ، وأكف الأجواد ، وانحل خيط السماء وانقطع شريان الغمام ، سحابة يتجلى عليها ماء البحر ، وتفض علينا عقود الدر ، سحاب حكى المحب فى انسكاب دموعه ، والتهاب النار بين ضلوعه ، سحابة تحدو من الغيوم جمالا ، وتمد من الامطار حبالا ، سحابة ترسل الامطار أمواجاً ، والامواج أفواجاً ، تحلات عقد السماء ، بالديمة الهطلاء ، غيث أجش يروى الهضاب والآكام [٥] ، ويحيى النبات والسوام ، غيث كغزارة فضلك ، وسلامة طبعك وسلامة عقدك ، وصفاء ودك ، وبل كالنبل ، سحابة يضحك من بكائها الروض

(١) السنور : القط (٢) الصناع : المرأة الماهرة فيما تصنع ، وكأنما يراد بها هنا المرأة التى تهتم بزينة النساء (٣) الزرافين : الآلات يرفع بها الماء ، فترى له عليها بريقا ولمعانا (٤) أسعد : من الاسعاد وهو المشاركة فى البكاء
(٥) الآكام : جمع أكمة وهى التل

وتخضر من سوادها الارض ، سحابة لاتجف جفونها ، ولايجف أنينها ، ديمة روت أديم الثرى ، ونبهت عيون النور من الكرى ، سحابة ركبت أعناق الرياح وسحّت كأفواه الجراح ، مطر كأفواه القِرب ، ووحل إلى الركب ، أندية من الله معها على البيوت بالثبوت ، وعلى السقوف بالوقوف ، أقبل السيل ينحدر انحدارا ويحمل أحجاراً ، وأشجاراً ، كأن به جِنة ، أوفى أحشائه أجنة

وبعض مامر من هذه الألفاظ محاول نظام ماتقدم إنشاده

(ولهم فى مقدمات المطر) لبست السماء جلبابها ، وسحبت السحائب أذيالها ، قد احتجبت الشمس فى سرادق الغيم ، ولبس الجو مطرفه الأدكن ، باحت الريح بأسرار الندى ، وضربت خيمة الغمام ، ورش جيش النسيم ، وابتل جناح الهواء ، واغرورقت مقلة السماء ، وبشر النسيم بالندى ، واستعدت الارض للقطر ، هبت شمائل الجنائب ، لتأليف شمل السحائب ، تألفت أشتات الغيوم ، وأسبلت الستور على النجوم

وصف الرعد والبرق

«وفى الرعد والبرق» قام خطيب الرعد ، ونبض عرق البرق ، سحابة ارتجزت رواعدها ، وأذهبت ببروقها مطاردها ، نطق لسان الرعد ، وخفق قلب البرق ، فالرعد ذو صخَب ، والبرق ذو لهب ، ابتسم البرق عن قهقهة الرعد ، زأرت أسد الرعد ، ولمعت سيوف البرق ، رعدت الغمائم ، وبرقت ، وانحلت عزالى السماء فطبقت ، هدرت رواعدها ، وقربت أباعدها ، وصدقت مواعدها كأن البرق قلب مشوق ، بين التهاب وخفوق (ويتصل بهذه الانحاء) ماحكاه عمر بن على المطوعى قال : رأى الامير السيد أبو الفضل عبيد الله بن أحمد أدام الله عزه أيام مقامه بجوين أن يطالع قرية من قرى ضياعه تدعى نجاب على سبيل التنزه والتفرج فكنت فى جملة من استصحبه إليها من أصحابه ، واتفق انا وصلنا والسماء مصحية والجو صاف لم يطرز ثوبه بعلم الغمام ، والافق فيروزج لم يعبق به

كافور السحاب ، فوقع الاختيار على ظل شجرة باسقة الفروع ، متسقة الأوراق والغصون ، قد سترت ماحواليها من الأرض طولا وعرضاً ، فنزلنا تحتها مستظلين بسماوة أفنانها[1] مستترين من وهج الشمس بستارة أغصانها ، وأخذنا نتجاذب أذيال المذاكرة ، ونتسالب أهداب المناشدة والمحاورة ؛ فما شعرنا بالسماء إلا وقد أرعدت وأبرقت ، وأظلمت بعد ما أشرقت ، ثم جادت بمطر كأفواه القرب فأجادت ، وحكت أنامل الاجواد ومدامع العشاق [2] بل أوفت عليها وزادت حتى كاد غيثها يعود عيثا[3] وهمّ وبلّها أن يستحيل ويلا ، فصبرنا على أذاها ، وقلنا سحابة صيف عما قليل تَقَشَّع ، فاذا نحن بها قد أمطرتنا بردا كالثغور ، لكنها من ثغور العذاب ، لامن الثغور العِذاب ، فأيقنا بالبلاء ، وسلمنا لأسباب القضاء ؛ فما مرت إلا ساعة من النهار ، حتى سمعنا خرير الانهار ، ورأينا السيل قد بلغ الزُّبى ، والماء قد عمر القيعان والربى[4] فبادرنا إلى حصن القرية لائذين من السيل بأفنيتها . وعائذين من القطر بأبنيتها ، وأثوابنا قد صندل كافورَيْها ماء الوبل ، وغلف طرازيها طين الوحل ، ونحن نحمد الله تعالى على سلامة الابدان ، وان فقدنا بياض الاكمام والأردان ، ونشكره على سلامة الأنفس والأرواح ، شكر التاجر على بقاء رأس المال إذا فجع بالارباح ، فبتنا تلك الليلة فى سماء تكِفُ ولا تكُفُّ [5] وتبكى علينا إلى الصباح بأدمع هوام ، وأربعة سِجام[6] ، فلما سُلَّ سيف الصبح من غِمد الظلام ، وصُرف بوالى الصحو عامل الغمام ، رأينا صواب الرأى أن نوسع الاقامة بها رفضاً ، ونتخذ الارتحال عنها فرضاً ، فما زلنا نطوى الصحارى أرضاً فأرضاً ، إلى أن وافينا المستقر ركضاً ؛ فلما نفضنا غبار ذلك

(١) السماوة : السماء وهو السقف (٢) المدامع : جمع مدمع ، وهو الدمع ، أو العين نفسها لأنها مكان الدمع ، وكذلك سمى كتاب « مدامع العشاق » فهو دموعهم أو عيونهم (٣) العيث : الفساد (٤) القيعان : جمع قاع ، والربى : جمع ربوة (٥) تكف : تسيل ، وتكف تمتنع (٦) هوام : جمع هامية ، وسجام : جمع ساجمة ، أى ممطرة

المسير ، الذى جمعنا فى رِبقة الأسير ، وأفضينا إلى ساحة التيسير ، بعد ما أصبنا بالأمر العسير ، وتذاكرنا ما لقينا من التعب والمشقة ، فى قطع ذلك الطريق وطى تلك الشقة ، أخذ الامير السيد أطال الله بقاءه القلم فعلق هذه الابيات ارتجالا

دهتنا السماء غداة السحابْ * بغيث على أفقه مُسْبَلِ
فجاء برعد له رنةٌ * كرنة ثكلى ولم تثكل
وثنّى بويلٍ عدا طورَهُ * فعاد وبالا على المُحِل (١)
وأشرف أصحابنا من أذاه * على خطر هائل مُعْضل
فمن لائذ بفناء الجدار * وآوٍ الى نَفَق مُهْمل (٢)
ومن مستجير ينادى الغريق * هناك ومن صارخ مُعْوِلِ
وجادت علينا سَمَاء السقوف * بدمعٍ من الوجد لم يهمل
كأن حراماً لها أن ترى * يبيساً من الأرض لم يُبْلَل
وأقبل سَيْلٌ له روعةٌ * فأدبر كلٌّ عن المقبل
يُقلّع ماشاء من دوحةٍ * ومايلقَ من صخرة يحمل
كأنَّ باحشائِهِ إذ بدا * أجنة حُبْلَى ولم تحبل
فمن عامرٍ ردَّهُ غامراً * ومن مَعْلَمٍ عاد كالمجهل (٣)
كفانا بليته ربنا * فقد وجب الشكر للمفضل
فقل للسماء ارعدى وابرقى * فانا رجعنا الى المنزل (٤)

أخذ المطوعى قوله (فلما سل سيف الصبح من غمد الظلام) من قول أبى الفتح البستى

رُبَّ ليل أغمد الانوار إلاّ * نُورَ ثَغْرٍ أو مدام أو ندام
قد نعمنا بدياجيه إلى أن * سل سيف الصبح من غمد الظلام

(١) المحل : المجدب (٢) النفق : السرداب (٣) غامر : خراب ، ومعلم ومجهل : معلوم ومجهول ، وكلاهما على وزن مقعد (٤) هذا البيت غاية فى خفة الروح

أبو العباس الناشىء

خليليّ هل للمزن مقلة عاشقٍ * أم النار فى أحشائها وهى لاتدرى
أشارت إلى أرض العراق فأصبحت * وكاللؤلؤ المنثور أدمعها تجرى
سحاب حكت نكلى أصيبت بواحدٍ * فعاجت له نحو الرياض على قبر
تسربل وشْيا من حزونٍ تطرزت * مطارفها طرزاً من البرق كالتبر
فوشىٌ بلا رقمٍ ورقمٌ بلا يدٍ * ودمع بلا عين وضحك بلا ثغر

وقال آخر

أرقت لبرق شديد الوميض * ترامى غواربه بالشُّهب
كأن تألقه فى السماء * سطور كُتِبْنَ بماء الذهب

وقال ابن المعتز

كأن الرّباب الجَوْن دون سحابهِ * خليع من الفتيان يسحب مِئْزرا[1]
إذا لحقته خيفة من رعودهِ * تلفّت واستلّ الحسام المذكرا

وقد قال حسان بن ثابت

كأن الرباب دُوَيْن السحاب * نعامٌ تعلّق بالارجلِ[2]

وقال ابن المعتز

باكية يضحك فيها برقها * موصلةٌ بالارض مرخاة الطنُب
رأيت فيها برقها منذ بدا * كمثل طرف العين أوقلب يجب[3]
جرت بها ريح الصَّبا حتى بدا * منها لىَ البرق كأمثال الشهب
تحسبه طوراً إذا ما انصدعت * أحشاؤها عنه شجاعاً يضطرب[4]

(١) الرباب : السحاب ، والجون الاسود (٢) دوين : تصغير دون (٣) يجب : يضطرب (٤) الشجاع : الثعبان

وتارة تحسبه كأنهُ * أبلق مال جلّه حين وثب[1]
وتارة تحسبه كأنهُ * سلاسل مفصولة من الذهب

وقال الطائى

ياسهم للبرق الذى استطارا * صار على رغم الدجى نهارا
آض لنا ماء وكان نارا[2]

وينشد أصحاب المعانى

نارٌ تجدد للعينين نضرتها * والنار تلفح عيدانا فتحترق

الشرب فى الصحو

وقال ابن المعتز يمدح الشرب فى الصحو ويذمه فى المطر

أنا لا أشتهى سماء كبطن الـ * ـير والشرب تحتها فى خرابِ
بين سقف قد صار مُنخل ماء * وجدار ملقًى وتل ترابِ
وبيوت يوقّع الوكف فيهن * وإيقاعه بغير صوابِ
انما أشتهى الصبوح على وجـ * ـه سماء مصقولة الجلباب
ونسيم من الصبا يتمشى * فوق روضٍ ندٍ جديد الشباب
وكأن الشمس المضيئة دين * ارٌ جلته حدائد الصُّرّاب
فى غداة وكأسها مثل شمس * طلعت فى مُلاءة من شرابِ
أو عروس قد ضمّخت بخلوقٍ * فهى صفراء فى قميص حَباب
وغناء لا عذر للعود فيـ * ـهِ بتندّى الأوتار والمضراب
وبراة البساط من وضر الطـ * ـين ومسح الأقدام فى كل باب
ونشاط الغلمان ان عرضت حا * جاتنا فى مجيئهم والذهاب
وجفاف الريحان والنرجس الغض * بأيدى الخلان والاصحاب

(١) الأبلق : الجواد يرتفع تحجيله الى الفخذين ، والتحجيل بياض فى القوائم ، والجل مايوضع على ظهر البعير والجواد (٢) آض: رجع وصار

لاتندّى أنوفهم كلما حيوا * بضغث ندى أنوف الكلاب
ذاك يوم أراه غنما وحظا * من عطاء المهيمن الوهاب

وقال الصنوبرى

أنيس ظباء بوحش الظبا * وصبغ حياً مثل صبغ الحيا
ويوم تكلله الشمس من * صفاء الهوى وصفاء الهوا
بشمس الدّنان وشمس القيان * وشمس الجنان وشمس السما

وشبيه بالابيات التى كتبها ثعلب الى أبى العباس بن المعتز لجميل قول الآخر

وماوجد ملواح من الهيم خلّيت * عن الورد حتى جوفها يتصلصلُ (١)
تحوم وتغشاها العصىُّ وحولها * أقاطيع أنعام تعلُّ وتنهلُ
بأكثرَ منى لوعةً وصبابةً * الى الوِرْد الا أننى أتجمّلُ (٢)

وقال أبو حية النميرى

كفى حزناً انى أرى الماء معْرِضا * لعينى ولكن لاسبيل الى الوِرْدِ
وما كنت أخشى أن تكون منيتى * بكف أعز الناس كلهم عندى

وصف رجل حازم

وقال ابن المقفع : كان لى أخ أعظم الناس فى عينى ، وكان رأس ماعظّمه فى عينى صِغَرَ الدنيا فى عينه ، وكان خارجا من سلطان بطنه فلا يشتهى مالايجد ، ولايكثرُ اذا وجد ، وكان خارجا من سلطان فرجه ، فلا تدعوه اليه مؤنة ، ولا يستخف له رأيا ولا بدنا . وكان لايتأثر عند نعمة ، ولا يستكين عند مصيبة . وكان خارجا من سلطان لسانه ، فلا يتكلم بما لايعلم ، ولا يمارى فيما علم ، وكان خارجا من سلطان الجهالة ، فلا يتقدم أبدا الاعلى ثقة بنفسه ، وكان أكثرُ دهره

(١) الملواح : الناقة الضامر ، والهيم : جمع هيماء ، وهى التى أصيبت بداء الهيام وهوشدة الظمأ ، ويتصلصل : يصوت (٢) أنظر لوعة الشوق فى كتاب مدامع العشاق

صامتا ، فاذا قال بزّ القائلين [1] وكان ضعيفا مستضعفا ، فاذا جدّ الجدّ فهو الليث عاديا . وكان لا يدخل فى دعوى ، ولا يشارك فى مراء ، ولا يدلى بحجة حتى يرى قاضيا فهما وشهودا عدولا . وكان لا يلوم أحدا فيما يكون العذر فى مثله حتى يعلم ما عذره . وكان لا يشكو وجعه الا عند من يرجو عنده البرء . ولا يستشير صاحبا الا ان يرجو منه النصيحة . وكان لا يتبرّم ، ولا يتسخّط ، ولا يتشكى ، ولا يتشهّى ، ولا ينتقم من العدو ، ولا يغفل عن الولىّ ، ولا يخص نفسه بشىء دون اخوانه من اهتمامه وحيلته وقوته . فعليك بهذه الاخلاق أن أطقتها ، ولن تطيق ، ولكن أخذ القليل خير من ترك الجميع

ابراهيم بن أدهم

وعلى ذكر قوله (وان قال بز القائلين) قال ابن كناسة واسمه محمد بن عبد الله ويكنى أبا يحيى فى ابراهيم بن أدهم الزاهد

رأيتك لا ترضى بما دونه الرضى * وقد كان يرضى دون ذاك ابن أدهما
وكان يرى الدنيا صغيرا عظيمها * وكان لأمر الله فيها معظّما
وأكثر ما تلقاه فى الناس صامتا * وان قال بزّ القائلين فأفحما
يُشيع الغنى فى الناس إن مسه الغنى * وتلقى به البأساء عيسى ابن مريما
أهان الهوى حتى تجنّبه الهوى * كما اجتنب الجانى الدم الطالب الدما

وصف التقى والزهد

(ألفاظ لأهل العصر فى ذكر التقى والزهد)

فلان عذب المَشْرب ، عفّ المطلب ، نقى الساحة من المآثم ، برىء الذمة من الجرائم ، اذا رضى لم يقل غير الصدق ، واذا سخط لم يتجاوز جانب الحق ،

(١) بز غلب ، بالذال والزاى ، ومنه : من عز بز

يرجع الى نفس أمّارة بالخير ، بعيدة من الشر ، مدلولة على سبيل البر ، أعرض عن زِبرج الدنيا وخدعها ، وأقبل على اكتساب نعم الآخرة ومُتَعِها ، كَفَّ كَفَّه عن زخرف الدنيا ونضرتها ، وغض طرفه عن متاعها وزهرتها ، وأعرض عنها وقد تعرضت له بزينتها ، وصدَّ عنها وقد تصدّت له فى حليتها — فلان ليس ممن يقف فى ظل الطمع ، فيُسف الى حضيض الطبَع [1] ، نقى الصحيفة ، علا عن الفضيحة ، عف الإزار ، طاهر من الأوزار ، قد عاد لاصلاح المعاد ، واعداد الزاد

ابن المقفع

وكان ابن المقفع من أشراف فارس ، وهو من حكماء زمانه ، وله مصنفات كثيرة ، ورسائل مختارة ، وكان مُحجما عن قول الشعر ، وقيل له لم لا تقول الشعر فقال : الذى أرضاه لايجيئنى والذى يجىء لا أرضاه

أخذ هذا بعضهم فقال

أبى الشعر الا أن يفىء رَدِيُّهُ * الىَّ ويأبى منه ما كان مُحْكَما

فيالَيتنى إذلم أجد حَوْك وشيهِ * ولم أك من فرسانه كنت مُفْحَما [2]

وكان ظريفا فى دينه ، وذكر انه مر ببيت النار فقال

يابيت عاتكة الذى أتعزَّلُ * حذر العِدَا وبه الفؤاد موكَّلُ

أصبحت أمنحك الصدود وانى * قسما اليك مع الصدود لأميلُ [3]

البيتان للاحوص بن محمد بن عاصم بن ثابت بن أبى الأفلح الانصارى أخى بنى عمرو بن عوف

(١) الطبع : بفتح الباء الخسة (٢) مفحم : مغلوب (٣) انظر ما كتب عن هذا الشعر فى كتاب البدائع تحت عنوان (الأدب الجديد)

عاصم بن ثابت

وعاصم بن ثابت حمى الدبر قتله بنو لحيان من هذيل يوم الرجيع فأرادوا ان يبعثو برأسه الى مكة . وكانت سلافة بنت سعد نذرت لتشربن فى رأسه الخمر وكان قتل بعض ولدها من طلحة بن أبى طلحة أحد بنى عبد الدار يوم أحد ، فلما أرادوا أخذ رأسه حمته الدبر وهى النحل فلم يجدوا اليه سبيلا وجعلوا يقولون إن الدبر لوقد أمسى صرنا الى حشواسته فلما أمسوا بعث الله أتيّ فواراه منهم (١) وعاتكة التى ذكر هى عاتكة بنت يزيد بن معاوية

فهم المنصور

ولما دخل أبو جعفر المنصور المدينة قال للربيع: ابغنى رجلا عاقلا عالما بالمدينة ليقفنى على دورها ، فقد بعد عهدى بديار قومى ، فالتمس له الربيع فتًى من أعقل الناس وأعلمهم ، فكان لا يبتدئ باخبار حتى يسأله المنصور فيجيبه بأحسن عبارة ، وأجود بيان ، وأوفى معنى . فأعجب المنصور به وأمر له بمال فتأخر عنه ، ودعته الضرورة الى استنجازه ، فاجتاز ببيت عاتكة فقال : يا أمير المؤمنين هذا بيت عاتكه الذى يقول فيه الاحوص * يا بيت عاتكة الذى أتعزّل * البيت ففكر المنصور فى قوله وقال : لم يخالف عادته بابتداء الإخبار ، دون الاستخبار ، إلا لأمر . وأقبل يردّد القصيدة وينصفها بيتا بيتا حتى انتهى الى قوله فيها

وأراك تفعل ما تقول وبعضهم * مَذِق اللسان يقول مالا يفعلُ (٢)

فقال: يا ربيع ، هل أوصلت الى الرجل ما أمرنا له به ؟ فقال أخرته عنه لعلة ذكرها الربيع ، فقال عجله له مضاعفا . وهذا ألطف تعريض من الرجل ، وحسن فهم من المنصور (ومن كلام ابن المقفع) الحاسد لا يزال زارياً على نعمة الله ،

(١) الأتى : على وزن غنى هو السيل (٢) مذق اللسان : يمزج الجد بالهزل

ولا يجد لها مزالا ، ومكدرا على نفسه مابه من النعمة فلا يجد لها طعما ، ولا يزال ساخطا على من لا يترضّاه ، ومتسخطا لما ينال ، فهو كظوم هلوع جزوع ، ظالم أشبه شئ بمظلوم ، محروم الطِلبة ، منغّص العيشة ، دائم التسخط ، لا بما قسم له يقنع ، ولا على مالم يقسم له يغلب ، والمحسود يتقلب فى فضل نعم الله مباشراً للسرور ممهلا فيه الى مدة لا يقدر الناس لها على قطع ولا انتقاص ، ولو صبر الحاسد على مابه لكان خيراً له لأ نه كلما أراد أن يطفئ نور الله أعلاه ، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون

ألسنة الحساد

قال الطائى

لولا التخوّفَ للعواقب لم تزَلْ * للحاسد النُّعمى على المحسودِ
واذا أراد الله نشر فضيلةٍ * طُوِيت أتاح لها لسان حسودِ
لولا اشتعال النار فيما جاورت * ما كان يُعْرف طيب عَرف العودِ

أخذه البحترى فقال

ولن تستبين الدهرَ موضع نعمةٍ * اذا أنت لم تُدلَلْ عليها بحاسِدِ

ولقد أحسنَ القائل

إن يحسدونى فانى غير لائمهمْ * قبلى من الناس أهل الفضل قد حُسِدوا
فدام لى ولهم مابى ومابهمُ * ومات أكثرنا غيظاً بما يَجِدُ
أنا الذى يجدونى فى صدورهِم * لا أرتقى صَدَراً عنها ولا أرِدُ (١)

وقال ابن الرومى لصاعد بن مخلد

وضِدٍّ لكم لازال يسفُل جَدُّهُ * ولا برحتْ انفاسه تتصعّدُ (٢)
يرى زبرج الدنيا يزف إليكمُ * ويُغضى عن استحقاقكم فهو يُفأَدُ (٣)

(١) لا ارتقى صدراً ولا أرد : أى لا اصعد ولا أهبط فأنا كالشجى الدائم الذى لا سلامة لاعدائى منه . وهذه الابيات غاية فى جمال البيان (٢) الجد : بالفتح ، الحظ (٣) يفأد : يحرق فؤاده

ولو قاس باستحقاقكم ما مُنِحتُمُ * لأطفأ ناراً فى الحشا تتوقّد
وآنَقُ من عِقد العقيلةِ جيدُها * وأحسن من سِربالها المتجرَّدُ (١)

وقال معن بن زائدة

إنى حُسِدت فزاد الله فى حسدى * لا عاش من عاش يوماً غير محسودِ
ما يُحسد المرء الا من فضائلهِ * بالعلم والظرف أو بالبأس والجودِ

وصف الحسد

(ألفاظ لأهل العصر فى ذكر الحسد) قد دبت عقارب الحسَّد ، وكمنت أفاعيهم بكل مرصد — فلان معجون من طينة الحسد والمنافسة ، مضروب فى قالب الضيق والمناقشة ، قد وكلّ بى لحظا ينتضل بأسهم الحسد — فلان جسد كله حسد ، وعقد كله حقد — الحاسد يعمى عن محاسن الصبح ، بعين تدرك حقائق القبح * كتب محمد ابن حماد يُعرِّض فى حاجة له ببيتى شعر الى الواثق يقول

جذبت دواعى النفس عن طلب المنى * وقلت لها كُفى عن الطلب المزْرى
فان أمير المؤمنين بكفهِ * مدار رحًى بالرزق دائبة تجرى

فوقّع تحتهما (جذبك نفسك عن امتهانها بالمسألة دعانى الى صونك بسعة فضلى عليك فخذ ما طلبت هنيئا)

باب السلطان

قال على بن عبيدة أتيت الحسن بن سهل بفم الصلح فأقمت ببابه ثلاثة أشهر لا أحظى منه بطائل فكتبت اليه

مدحت ابن سهل ذا الايادى ومالهُ * بذاك يدٌ عندى ولا قَدَم بعدُ
وما ذنبه والناس الا أقلّهم * عيال له إن كان لم يك لى جَدُّ
سأحمده للناس حتى إذا بدا * له فىَّ رأى عادلى ذلك الحمد

(١) يقول : ان جيد العقيلة أجمل من العقد الذى يظن انه يزينه ، والمتجرد ، أى الجسم العريان ، أجمل من السربال وهو القميص

فكتب إلىّ : باب السلطان يحتاج الى ثلاث خِلال: عقل وصبر ومال ، فقلت للواسطة تؤدى عنى ؟ قال نعم قلت تقول له: لو كان لى مال لاغنانى عن الطلب اليك ، أو صبر لصبرت عن الذل ببابك ، أو عقل لاستدللت به على النزاهة عن رفدك ! فأمر لى بثلاثين ألف درهم

نجوى محب

وقال على بن عبيدة الريحانى يوما وقد رأى جارية يهواها : لولا البُقيا على الضمائر ، لبحنا بما تجنه السرائر ، لكن نيران الحب تتدارك بالاخفاء ، ولا تعاجل بالابداء ، فان دوامها مع اغلاق أبواب الكتمان ، وزوالها فى فتح مصارع الإعلان . وقد قال محمد بن يزيد الاموى :

لا وحبيك لا أصا * فح بالدمع مدمعا
من بكى حبه استرا * ح وان كان موجعا

ومن كلام على بن عبيدة : اجعل أنسك آخر ما تبذل من ودك ، ومن الاسترسال منك، حتى تجد له مستحقا ، فان الانس لباس العِرض ، وتحفة الثقة ، وحِباء الاكفاء ، وشِعار الخاصة ، فلا تُخلق جِدته الا لمن يعرف قدر ما بذلت له منك * وقال : لولا حركات من الابتهاج أجد حسها عند رؤيتك فى نفسى لا أعرف لها مثيراً من مظانها الا مؤانستك لى ، لأبقيت عليك من العناء ، وخففت عنك مؤنة اللقاء ، لكنى أجد من الزيادة بك عندى أكثر من قدر راحتك فى تأخرك عنى ، فأضيق عن احتمال الخسران بالوحدة منك ، وقال : لوجلى من طلوع الملالة بكرّ اللقاء أستخف التجافى مع شدة الشوق لتبقى جِدة الحالَ عند من أحب دوامه لى . ورد طرف الشوق باطنا أيسر من معاناة الجفاء مع الود ظاهراً . وقال بعض المحدَثين

كم استراح إلى صبر فلم يُرحِ * صب اليكم من الاشواق فى بُرَحِ
تركتمُ قلبه من حزن فرقتكم * لو يرزق الوصل لم يقدر على الفرحِ

وقال أعرابى

ألا قل لدار بين أكثبة الحمى * وذات الغضى جادت عليك الهواضبُ[1]
أجَدك لا آتيك الا تتابعت * دموع أضاعت ما حفظتُ سواكب
ديارٌ تنسّمتُ المنى نحو أرضها * وطاوعنى فيها الهوى والحبائبُ
ليالىَ لا الهجران محتكم بها * على وصل من أهوى ولا الظن كاذب

ابراهيم بن المهدي

تنازع ابراهيم بن المهدى وابن بختيشوع الطبيب بين يدى احمد بن أبى دؤاد فى مجلس الحكم فى عقار بناحية السواد فاربى عليه ابراهيم وأغلظ له فأحفظ ذلك ابن أبى دؤاد فقال : يا ابراهيم اذا نازعت فى مجلس الحكم بحضرتنا امرءً فلا أعلمنّ انك رفعت عليه صوتا ، ولا أشرت بيد ، وليكن قصدك أمَمَا[2] وريحك ساكنة ، وكلامك معتدلا ، مع وفاء مجالس الخليفة حقوقها من التعظيم ، والتوقير ، والاستكانة ، والتوجه الى الواجب ، فان ذلك أشكل بك ، واشمل لمذهبك فى محتدك ، وعظيم خطرك ، ولا تعجلن فرب عجلة تهب رَيْثا ، والله يعصمك من خطل القول والعمل ، ويتم نعمته عليك كما أتمها على أبويك من قبل ، ان ربك حكيم عليم . فقال ابراهيم : أصلحك الله تعالى أمرت بسداد ، وحضضت على رشاد ، ولست عائداً لما يثلم مروءتى عندك ، ويسقطنى من عينك ، ويخرجنى من مقدار الواجب الى الاعتذار ، فها أنا معتذر اليك من هذه البادرة ، اعتذار مقرّ بذنبه ، معترف بجرمه ، ولا يزال الغضب يستفزنى بواده ، فيردنى مثلك بحلمه ، وتلك عادة الله عندك وعندنا منك ، وقد جعلت حقى من هذا العقار لابن بختيشوع ، فليت ذلك يكون وافيا بأرش الجناية عليه[3] ولم يتلف مال أفاد موعظة ، وحسبنا الله ونعم الوكيل

---

(١) الهواضب : السحب المواطر (٢) أمم : قريب (٣) الأرش : الدية

أردشير بن بابك

لما استوثق أمر أردشير بن بابك وجمع ملوك الطوائف وتم له ملكه ، جمع الناس فخطبهم خطبة حض فيها على الألفة والطاعة ، وحذرهم المعصية ومفارقة الجماعة ، وصف الناس أربعة صفوف فخروا له سجدا وتكلم متكلمهم فقال : لازلت أيها الملك محبوّاً من الله تعالى بعز النصر ، ودرك الأمل ، ودوام العافية ، وتمام النعمة ، وحسن المزيد ، ولا زلت تتابع لديك المكرمات ، وتشفع اليك الذمامات ، حتى تبلغ الغاية التى يؤمن زوالها ، وتصل الى دار القرار التى أعدها الله تعالى لنظرائك من أهل الزلفى عنده ، والمكانة منه ، ولا زال ملكك وسلطانك باقيين ببقاء الشمس والقمر ، زائدين زيادة النجوم والأنهار ، حتى تستوى أقطار الارض كلها فى علوّ قدرك عليها ، ونفاذ أمرك فيها ، فقد أشرق علينا من ضياء نورك ما عمنا عموم ضياء الصبح ، ووصل الينا من عظيم رأفتك ما اتصل بانفسنا اتصال النسيم ، فأصبحت قد جمع الله بك الايدى بعد افتراقها ، وألف القلوب بعد توقد نيرانها ، ففضلك لا يدرك بوصف ، ولا يحدّ بنعت . فقال أردشير : طوبى للمدوح اذا كان للمدح مستحقا ، وللداعى اذا كان للاجابة أهلا * وقيل لاردشير أيها الملك الرفيع الذى حلب العصور ، وجرّب الدهور ، أى الكنوز أعظم قدراً ؟ قال العلم الذى خف محمله ، فثقلت مفارقته ، وكثرت مرافقته ، وخفى مكانه ، فأمن من السرقة عليه ، فهو فى الملأ جمال ، وفى الوحدة أنيس ، يرأس به الخسيس ، ولا يمكن حاسدك عليه انتقاله عنك * قيل له فالمال ؟ قال ليس كذلك : محمله ثقيل ، والهم به طويل ، ان كنت فى ملأ شغلك الفكر فيه ، وان كنت فى خلوة أتعبتك حراسته

أخلاق الملوك

قال الجاحظ : حدثنى الفضل بن سهل قال : كانت رسل الملوك إذا جاءت بالهدايا يجعل اختلافهم الىّ ، فتكون المؤامرات فيما معهم من ديوانى ، فكنت أسأل رجلا رجلا منهم عن سِيَرِ ملوكهم ، وأخبار عظمائهم ، فسألت رسول ملك الروم عن سيرة ملكهم ، فقال : بذل عُرفه ، وجرّد سيفه ، فاجتمعت عليه القلوب رغبة ورهبة ، لا يُنْظِر جنده ، ولا يُحرج رعيته ، سهل النوال ، حزن النكال : الرجاء والخوف معقودان فى يده ، قلت فكيف حكمه ؟ فقال: يرد المظالم ويردع الظالم ، ويعطى كل ذى حق حقه ، فالرعية اثنان : راض ومغتبط . قلت فكيف هيبتهم له ؟ قال يُتصور فى القلوب ، فتُغضى له العيون . قال : فنظر رسول ملك الحبشة إلى إصغائى إليه ، واقبالى عليه ، فسأل الترجمان ما الذى يقوله الرومى قال يذكر ملكهم ، ويصف سيرته ، فتكلم مع الترجمان بشئ فقال لى الترجمان إنه يقول إن ملكهم ذو أناة عند القدرة ، وذو حلم عند الغضب ، وذو سطوة عند المغالبة ، وذو عقوبة عند الاجترام ، قد كسا رعيته جميل نعمته ، وخوّفهم عسف نقمته ، فهم يتراءونه رأى الهلال خيالا ، ويخافونه مخافة الموت نكالا ، وسعهم عدله ، وردعتهم سطوته ، فلا تمتهنه مزحة ، ولا تؤمّنه غفلة ، إذا أعطى أوسع ، وإذا عاقب أوجع ، فالناس اثنان : راج وخائف ، فلا الراجى خائب الأمل ، ولا الخائف بعيد الاجل . قلت فكيف هيبتهم له ؟ قال لاترفع إليه العيون أجفانها ولا تتبعه الابصار انسانها ، كأن رعيته قطاً رفرفت عليها صقور صوائد . فحدثت المأمون بهذين الحديثين فقال : كم قيمتهما عندك ، قلت ألفا درهم . قال يافضل ان قيمتهما عندى أكثر من الخلافة ، أما عرفت قول على بن أبى طالب كرم الله وجهه (قيمة كل امرئ مايحسن)أفتعرف أحداً من الخطباء البلغاء يحسن أن يصف أحداً من خلفاء الله الراشدين المهديين بهذه الصفة ؟ قلت لا ، قال : فقد

أمرت لها بعشرين ألف دينار ، واجعل العذر مادة بيني وبينهما في الجائزة فلولا حقوق الاسلام وأهله لرأيت اعطاءها ما في بيت مال الخاصة والعامة دون ما يستحقانه

أخت ملك الخزر

وقال الجاحظ حدثني حميد بن عطاء قال : كنت عند الفضل بن سهل وعنده رسول ملك الخزر ، وهو يحدثنا عن أخت لملكهم ، قال : أصابتنا سنة احتدم شُوَاظُها علينا بحر المصائب ، وصنوف الآفات ، ففزع الناس إلى الملك ، فلم يدر مايجيبهم به ، فقالت أخته : أيها الملك إن خوف الله خُلُق لايخلق جديده ، وسبب لايتهن عزيزه ، وهو دال الملك على استصلاح رعيته ، وزاجره عن استفسادها ، وقد فزعت اليك رعيتك بفضل العجز عن الالتجاء إلى من لاتزيده الاساءة إلى خلقه عزا ، ولا ينقصه العود بالاحسان إليها ملكا ، وما أحد أحق بحفظ الوصية من الموصى ، ولا بركوب الدلالة من الدال ، ولا بحسن الرعاية من الراعي . ولم تزل في نعمة لم تغيرها نقمة ، وفي رضى لم يكدره سخط ، إلى أن جرى القدر ، بما عمِيَ عنه البصر ، وذهل عنه الحذر ، فسلب الموهوب ، والواهب هو السالب ، فعد إليه بشكر النعم ، وعُذ به من فظيع النقم ، فمتى تنسه ينسك ، ولا تجعلن الحياء من التذلل للعز المذل سترا بينك وبين رعيتك ، فتستحق مذموم العاقبة ، ولكن مُزهم ونفسك بصرف القلوب ، إلى الاقرار له بكنه القدرة ، وبتذلل الألسن في الدعاء بمحض الشكر له ، فان المالك ربما عاقب عبده ليرجعه عن سيئ فعل إلى صالح عمل ، أو ليبعثه على دائب شكر ليحرز به فضل أجر ، فأمرها الملك أن تقوم فيهم فتنذرهم بهذا الكلام ففعلت ، فرجع القوم وقد علم الله منهم قبول الوعظ في الامر والنهي ، فحال عليهم الحول وما منهم مفتقد نعمة كان سلبها ، وتواترت عليهم الزيادات بجميل الصنع ، فاعترف لها الملك بالفضل فقلدها الملك ، فاجتمعت

الرعية لها على الطاعة فى المكروه والمحبوب ، قال : وهذا وهُمْ أعداء الله تعالى وضرائر نعمته ، ومستوجبو نقمته ، أعاد لهم بالشكر ما أرادوا ، وأعطاهم بالاقرار له بكنه قدرته ماتمنوا ، فكيف بمن يجمعه على الشكر نوران اثنان : قرآن منزل ، ونبى مرسل ، لوصدقت النيات ، واجتمعت على الافتقار إليه الطلبات ، لكنهم أنكروا ماعرفوا ، وجهلوا ماعلموا ، فانقلب جدهم هزلا ، وسكونهم خَبْلا

أقوال الملوك

(قطعة صادرة من أقوال الملوك دالة على فضل كرمهم وبعد هممهم)

غضب كسرى أنوشروان على بعض مرازبته فقال : يحط عن مرتبته ، ولا يُنقص من صلته ، فان الملوك تؤدّب بالهجران ، ولا تعاقب بالحرمان . واصطنع أنوشروان رجلا فقيل له : إنه لاقديم له ، قال : اصطناعنا اياه شرفه . قال معاوية رضى الله عنه : نحن الزمان من رفعنا دار تفع ، ومن وضعناه اتضع . وكان يقول : انى لآنف من أن يكون فى الارض جهل لايسعه حلمى ، وذنب لايسعه عفوى ، وحاجة لايسعها جودى . وقال عبد الملك بن مروان : أفضل الناس من تواضع عن رفعة ، وعفا عن قدرة ، وأنصف عن قوة (زياد) استشفعوا لمن وراءكم ، فليس كل أحد يصل الى السلطان ، ولا كل من وصل اليه يقدر على كلامه (المهلب) عجبت لمن يشترى المماليك بماله ، كيف لايشترى الاحرار بمعروفه . وقد روى هذا لابن المبارك وقال لبنيه يابنى أحسن ثيابكم ما كان على غيركم (قال أبو تمام الطائى) يستهدى فرواً وعرّض بقول المهلب

فهل أنت مهديه بمثل شكيرةٍ * من الشكر يعلو مُصْعِداً ويصوّبُ (١)
فأنت العليمُ الطب أى وصيةٍ * بها كان أوصى فى الثياب المهلّبُ

(١) شكيرة : شعرة ، يريد ان هديتك لاتساوى شعرة من شكره ، ويعلو ويصوب يرتفع وينخفض

كلمات مأثورة

(يزيد بن المهلب) استكثروا من الحمد فان الذم قلّ من ينجو منه (السفاح) ما أقبح بنا أن تكون الدنيا لنا وأولياؤنا خالون من أثرها (المامون) إنما تطلب الدنيا لتُملك، فاذا مُلكت فلتوهب، وقال: إنما يتكثر بالذهب والفضة من يَقِلان عنده (الحسن بن سهل) الأطراف منازل الاشراف، يتناولون ما يريدون بالقدرة، وينتابهم من يريدهم بالحاجه. وتعرّض له رجل فقال له من أنت؟ قال أنا الذى أحسنت الى يوم كذا وكذا فقال مرحبا بمن توسل الينا بنا. ولما أراد المعتصم أن يشرّف أشناس التركى بعقب فتح الخزمية أمر أصحاب المراتب بالترجل اليه فنظر الحسن بن سهل الى حاجبه يمشى ويتعثر فى مَشْيه فبكى، فقال ما يبكيك؟ إن الملوك شرّفتنا وشرّفت بنا (ومن كلام أهل العصر) للأمير شمس المعالى قابوس بن وشمكير: من أقعدته نكاية الأيام، أقامته إغاثة الكرام ومن ألبسه الليل ثوب ظلماته، نزعه النهار عنه بضيائه (وله) ابتناء المناقب، باحتمال المتاعب، وإحراز الذكر الجميل، بالسعى فى الخطب الجليل * الصاحب بن عباد

وقائلةٍ لِمْ عرتك الهموم * وأمرك ممتثل فى الأمم
فقلت ذريني لما أشتكى * فان الهموم بقدر الهِمَم

أبو الطيب المتنبى

أفاضل الناس اغراضٌ لذا الزمنِ * يخلو من الهم أخلاهم من الفطنِ

أبو الفتح البستى

صاحب السلطان لا بدَّ لهُ * من هُمُومٍ تعتريه وغُمَمْ
والذى يركب بَحْرا سيرى * قُحم الأهوال من بعد قُحَمْ (١)

(١) قحم: جمع قحمة وهى الشدة

كلام الملوك

(اردشير) اذا رغبت الملوك عن العدل رغبت الرعية عن الطاعة (افريدون) الأيام صحائف آجالكم ، فخلدوها أحسن أعمالكم . وقيل للاسكندر : ما بال تعظيمك لمؤدبك أكثر من تعظيمك لأبيك ؟ قال لأن أبي سبب حياتي الفانية ومؤدبي سبب حياتي الباقية . ودخل محمد بن زياد مؤدب الواثق على الواثق فأظهر إكرامه ، وأكثر اعظامه ، فقيل له من هذا يا أمير المؤمنين ؟ قال هذا أول من فتق لساني بذكر الله وأدناني من رحمة الله . وأشير على الاسكندر بتبييت الفرس[1] فقال : لا أجعل غلبتي سرقة . وقيل له لو تزوجت بنت دارا ؟ فقال لا تغلبني امرأة غلبت أباها (أنوشروان) الملك إذا كثر ماله مما يأخذ من رعيته كان كمن يعمر سطح بيته بما يقتلعه من قواعد بنيانه (ابرويز) أطع من دونك (السفاح) إن من أدنى الناس ووضعائهم من عد البخل حزما ، والعفو ذلا . وكان يقول : إذا كان الحلم مفسدة كان العفو معجزة ، والصبر حَسَن إلا على ما أوقع بالدين ، وأوهى السلطان ، والأناة محمودة إلا عند امكان الفرصة . وقد قال ابن المعتز

كم فرصةٍ ذهبت فعادت غصةً * تشجي بطول تلهف وتندّم

الرأي والعزيمة

ولما عزم المنصور على الفتك بأبي مسلم فزع من ذلك عيسى بن موسى فكتب اليه

إذا كنت ذا رأي فكن ذا تدبرٍ * فان فساد الرأي أن تتعجلا

فأجابه المنصور

اذا كنت ذا رأي فكن ذا عزيمةٍ * فان فساد الرأي أن تترددا

(١) التبييت : الهجوم بغته بالليل

ولا تمهل الاعداء يوما بغُدوةٍ * وبادرهُمُ أن يملكوا مثلها غدا

وهذا فى موضعه كقول الامام على كرم الله وجهه (من فكَّر فى العواقب لم يشجَع)

همة سعد بن ناشب

وقال سعد بن ناشب فأفرط

عليكم بدارى فاهدموها فانها * تراثُ كريمٍ لايخاف العواقبا
اذاهمَّ ألقى بين عينيه عزمَهُ * وتكُب عن ذكر العواقب جانبا
ولم يستشر فى رأيه غيرَ نفسِهِ * ولم يرض إلاقائمَ السيف صاحبا
سأغسل عنى العار بالسيف جالباً * علىَّ قضاء الله ما كان جالبا
ويصغر فى عينى ثلادى اذا انثنت * يمينى بادراك الذى كنت طالبا

وكان سعد من مَرَدَةِ العرب وشياطين الإنس وفيه يقول الشاعر

وكيف يُفيق الدهرَ سعدُ بن ناشب * وشيطانه عند الأهلةِ يُصرَعُ

كلام الملوك

(كتب مروان) بن محمدٍ الجعدى الى عبد الله بن علىّ يسأله حِفظَ حرمه فقال له : الحق لنا فى دمك ، وعلينا فى حرمك (وقال الرشيد) لاسماعيل بن صبيح : ايك والذلة فانها تفسد الحرمة ، ومنها أوتى البرامكة (وقال المأمون) الملوك تحتمل كل شىء الاثلاثا : إفشاء السر ، والقدح فى الملك ، والتعرض للحَرَم (المعتصم) اذا نُصر الهوى بطل الرأى (المنتصر) لذة العفو أطيب من لذة التشفى . وذلك أن لذة العفو يلحقها حمد العاقبة ، ولذة التشفى يلحقها ذم الندم . والمنتصر يقول عن تجربة لانه قتل أباه المتوكل . والامر فى ذلك أشهر من أن يذكر ولكنى أَلَمَّعُ منه باليسير

مقتل المتوكل

كان المتوكل قد عقد لولده المنتصر والمعتز والمؤيَّد ولاية العهد ، ثم تغير على المنتصر دون أخويه ، وكان يسميه المنتظِر ، ويقول له أنت تتمنى موتى ، وتنتظر وقتى ! ويأمر الندماء أن يعبثوا به الى أن أوغر صدره ، وأقل صبره ، فلما كانت ليلة الاربعاء لثلاث خلون من شوال سنة سبع وأربعين ومائتين كان المتوكل يشرب مع الفتح فى قصره المعروف بالجعفرى ومعه جماعة من الندماء والمغنين ، وكان المنتصر معهم ، فلما انصرف ثلاث ساعات من الليل قال لزرافة التركى : ألا تسعنى ساعة حتى أشكو اليك ما يمر بى ؟ قال بلى وجعل يماطله ويطاوله ، وغلق بُغا الشرابى الابواب كلها الا باب الماء ومنه دخل الذين قتلوه ، فأول من ضربه باغر التركى ضربة قطع بها حبل عاتقه ، وتلقاه الفتح بنفسه فأكب عليه ، فقتلا جميعا ، وبويع المنتصر من ساعته ، وكانت مدة المنتصر فى الخلافة مدة شيرويه ابن كسرى حين قتل أباه ستة أشهر وقال ابراهيم بن أحمد الاسدى يرثى المتوكل

هكذا فلتكن منايا الكرامِ * بين نايٍ ومزهر ومدامِ
بين كأسين أروتاه جميعاً * كأس لذاته وكأس الحِمام
يقِظٌ فى السرور حتى أتاهُ * قَدَر الله حتفه فى المنامِ
والمنايا مراتب يتفاضلن * وبالمرهفات موت الكرام
لم يزُر نفسه رسولُ المنايا * بصنوف الأوجاع والاسقام
هابه مُعْلناً فدبّ اليهِ * فى ستور الدجى بحد الحسام

أخذ هذا المعنى عبد الكريم بن ابرهيم التيمى فقال يرثى عيسى بن خلف صاحب خراج المغرب وكان قد تناول دواء فمات بسببه

منايا سدَدْتَ الطُّرق عنها ولم تدع * لها من ثنايا شاهق متطلَّعا
فلما رأت سُور المهابة دونها * عليك ولما لم تجد فيك مطمعا

ترقّت بأسباب لِطافٍ ولم تكد * تواجه موفور الجلالة أرْوَعا
فجاءتك فى سر الدواء خَفِيّةً * على حينَ لم تحذر لداءٍ تَوَقُّعا
فلم أر مالا يُتقى مثل سَهْمِها * ولا مثلها لم تخش كيداً فترجعا

وفاء البحترى

وقد رثاه البحترى ويزيد المهلبى بمرثيتين من أجود ماقيل فى معناها وكانا حاضرين ليلة قَتْلِه فاختفى أحدهما فى طىّ الباب ، والآخر فى قناة الشاذروان ، فمن قصيدة البحترى

تغيّر حُسْنُ الجعفرى وأُنْسُهُ * وقُوِّض بادى الجعفرىّ وحاضرُهْ
تحمّل عنه ساكنوهُ فُجاءةً * فآضت سواءً دورُه ومقابرُه (١)
ولم أر مثل القصر إذ ريع سِرْبُهُ * وإذ ذُعرت أطلاؤه وجآذرُه (٢)
وإذ صِيح فيه بالرّحيل فهتّكت * على عجلٍ أستارُهُ وستائرُهْ
إذا نحن زرناه أجدّ لنا الأسى * وقد كان قبل اليوم يَبْهَجُ زائره
فأين عميد الناس فى كل نوبةٍ * تنُوب وناهى الدهر فيهم وآمرُهْ
تخفّى لهُ مغتالُهُ تحت غِرةٍ * وأولى لمن يغتاله لو يجاهره
صريعُ تقاضا السيوف حُشاشةً * يجود بها والموت حُمْرٌ أظافره
حرام علىّ الراح بعدك أو أرى * دماً بدم يجرى على الأرض مائره
وهل يُرْتجى أن يطلب الدم طالبٌ * مدى الدهر والموتور بالدم واتره (٣)
فلا مُلِّىَ الباقى تراثَ الذى مضى * ولا حملت ذاك الدعاءَ منابره

وهى طويلة وكان أبو العباس ثعلب يقول فيها : ما قيلت هاشمية أحسن منها ، وقد صرّح فيها تصريح من أذهلته المصائب ، عن تخوّف العواقب ، وقد كان

(١) آضت : صارت (٢) الاطلاء : جمع طلا وهوولد الظبية ، والجآذر جمع جؤذر وهو ولد البقرة (٣) الموتور هو الواتر لأن الذى قتل المتوكل هو ابنه

البحترى يرتاح فى كثير من شعره الى ذكره وذكر الفتح بن خاقان، فمن ذلك قوله لبعض من يمدحه

تداركنى الإحسان منك ونالنى * على فاقةٍ ذاك النَّدى والتطوُّلُ
ودافعتَ عنى حين لا الفتح يُرتجى * لدفع الأذى عنى ولا المتوكلُ

وقال

مضى جعفرٌ والفتح بين مُوسَّدٍ * وبين قتيل فى الدماء مضرَّجِ
أأطلب أنصاراً على الدهر بعدما * ثوى منهما فى الترب أوسى وخزرجى (١)

وقال فى غلام له

عسى آيسٌ من رجعة الوصل يُوصلُ * ودهرٌ تولىَّ بالأحبَّةِ يُقبلُ
أيا ساكناً فات الفراق بنفسهِ * وحال التعادى دونه والتنزُّلُ
أتعجبُ لمألم يَغلُ جسمى الضنا * ولم يخترم نفسى الحمام المعجَّلُ
فقبلك بان الفتح منى مودّعاً * وفارقنى شفْعاً له المتوكل
فما بلغ الدّمع الذى كنت أرتجى * ولا فعل الوجدُ الذى خِلت يفعلُ
وما كل نيران الجوى تحرق الحشا * وما كل أدواء الصَّبابة تقتل

وقال أبو خالد بن محمد المهلبى فى قصيدة أولها

لا وجد إلا أراه دون ما أجدُ * ولا كمن فقدت عيناى مفتقَدُ

يقول فيها

لا يَبْعَدَنْ هالكٌ كانت منيتهُ * كما هوى من عِضاهِ الرُّبية الأسد (٢)
جاءت منيتهُ والعينُ هاديةٌ * هلاَّ أتته المنايا والقنا قُصُد (٣)
نفرَّ فوق سرير الملك منجدلاً * لم يحمه ملكه لما انقضى الأمدُ
لا يرفع الناس صبحا بعد ليلهمُ * إذ لا يهزُّ الى الجانى عليك يَدُ

(١) مات أوسه وخزرجه : مثل فى فقد النصير لان الاوس والخزرج يضرب بهما المثل فى النصرة (٢) العضاه جمع عاضهة وهى الحية تقتل لساعتها ، والربية المكان المرتفع (٣) قصد : جمع قصد على وزن كتف أى متكسر

علتك أسياف، من لادونه أحدٌ * وليس فوقك الا الواحد الصمد
اذا بكيتُ فان الدمع منهملٌ * وان رثيتُ فان الشعر مطَّردُ
إنا فقدناك حتى لا اصطبار لنا * ومات قبلك أقوام فما فقدوا
قد كنت أسرف فى مالى فتُخلِفُهُ * فعلّمتنى الليالى كيف أقتصد

وقال فيها يذكر الانراك ويحض على اصطناع العرب

لما اعتقدتم أناسا لاحفاظ لهم * ضعتم وضيعتمُ من كان يعتقدُ
ولو جعلتم على الأحرار نعمتكم * حمتكم الذادة المنسوبة الحشُدُ
قومٌ هم الأصل والاسماء تجمعكم * والدين والمجد والأرحام والبلدُ
ان العبيد اذا أذللتهم صلُحوا * على الهوان وان اكرمتهم فسدوا

أبو حيّة النميرى

وقال أبو حية النميرى

رمته فتاة من ربيعة عامرٍ * نؤوم الضحى فى مأتمٍ أىّ مأتمِ
فقلن لها فى السرّ نفديك لا يرح * صحيحاً والاّ تقتليه فألمِمى
فألقت قِناعاً دونه الشمس واتقت * بأحسن موصولَيْن كف ومعصم
وقالت فلما أفرغت فى فؤادهِ * وعينيه منها السحر قالت له نَمِ
فأصبح لا يدرى أفى طلعة الضحى * تروَّح أم داجٍ من الليل مظلمِ

أخذ قوله فألقت قناعا دونه الشمس من قول النابغة الذبيانى

قامت تراءى بين سَجفَىْ كِلّةٍ * كالشمس يوم طلوعها بالأسعُدِ (١)
سقط النَّصيف ولم ترد إسقاطَهُ * فتناولته واتقتنا باليدِ

وقال أبو حية يرثى سلمة بن عياش

كأن أبا حفص قنى البأس لم يُجَبْ * به الليل والبيض القِلاص النجائبُ
الى الغاية القصوى ولم يهد فتيةً * كراما وتخطوه الخطوب النوائب

(١) الكلة : الناموسية

ويُعْمِلُ عناقَ العيس حتى كأنها * اذا وُضعت عنها العلايا المشاجبُ
بعيد مثاني الهمِّ يمسي وماله * سوى اللهِ والعضْبِ السُّرَيجيِّ صاحب
يروم جسيمات العلى فينالها * قنى فى جسيمات المكارم راغبُ
فان يُمس وحشاً بابه فلربما * تواترُ أفواجا اليه المواكب
يحيّون بسّاما كأن جبينهُ * هلال بدا وانجاب عنه السحائب
وماغائب من غاب يرجى إيابهُ * ولكنه من ضُمِّن اللحدَ غائب

وزعم الصولى ان أباحية إنما قالها فى محمد بن سليمان بن على بن عبيد الله ابن العباس

وكان أبو حية جيّد الطبع ، مألوف الكلام ، رقيق حواشى الشعر . وسئل الأصمعى عن قيس بن الملوح المجنون ، فقال لم يكن مجنونا ، وإنما كانت به لُوثة كلوثة أبى حية [1] وهو القائل

رمتنى وسِترُ الله بينى وبينها * عشية أحجار الكناس رَميمُ
رميمُ التى قالت لجارات بيتها * ضمنت لكم أن لا يزال يهيمُ
ألا رُبَّ يومٍ لو رمتنى رميتها * ولكنَّ عهدى بالنضال قديم
فياعجبا من قاتل لى أودّهُ * أشاط دمى شخصٌ علىَّ كريم [2]
يرى الناس أنى قد سلوت وإننى * لمدنَفُ أحناء الضلوع سقيم

جناية المشيب

وأنشدنى اسحاق بن ابراهيم الموصلى فى مثله ولم يسم قائله

هل الأُدم كالآرام والدهر كالدُّمى * معاودتى أيامهنَّ الصوالحُ
زمانَ سلاحى بينهن شبيبتى * لها سائق من حسنهن ورامحُ
فأقسمن لا يسقينى قطر مزنةٍ * لشيبى ولو سالت بهن الاباطحُ [3]

(١) اللوثة بالضم مس الجنون (٢) أشاط : أحرق (٣) أنظر بكاء الشباب فى كتاب « مدامع العشاق » —

وقال هارون بن على بن يحيى المنجّم

الغانيات عهود هن * الى انصرام وانقضابِ
من شاب شبن له المودةَ * بالخديعة والكذابِ (١)
فانعم بهن وزند سنـــــك فى الشبيبة غير خابى (٢)
مادمت فى ورق الصبا * وغصونه الخضر الرطابِ
فافخر بأيام الصبا * واخلع عذارك فى التصابى
واعط الشباب نصيبهُ * مادمت تعذر بالشباب

وقال أشجع بن عمرو السُّلمى

ومالىَ لا أعطى الشباب نصيبهُ * وغصناه مهتزان فى عوده الرطبِ
رأيت الليالى ينتهبن شبيبتى * فأسرعت باللذات فى ذلك النهبِ
فان بنات الدهر يخلسن لذتى * فقد جزن سلمى وانتهين الى حربى
وقد حوّلت حالى الليالى وأسرجت * على الرأس أمثال الفتيل من العطبِ
وموت الفتى خير له من حياتهِ * اذا كان ذا حالين يصبو ولا يصبى

وقال آخر

ما العيش الا أن تحبَّ * وان يحبك من تحبهْ

وصف الشباب

(فقَر تتصل بهذه الابيات فى وصف الشباب)

أطاع الشباب وغرّته ، وأجاب الصبا وشرّته ، جر إزار الصبا ، وأذال ذيول الهوى (٣) ، وركض فى ميدان التصابى ، وجنى ثمرات الملاهى ، هو فى اقتبال شبابه ، وحداثة أترابه ، وريعان عمره ، وعنفوان أمره ، هو فى إبّان

(١) شبن : مزجن (٢) غير خاب : غير منطفىء ، ويقال : خبا لهبه اذا سكن فورغضبه (٣) أذال : أهان

شبابه واعتداله ، وريعان أقباله واقتباله ، بعثه على ذلك أشَرُ الصبا ، ولين الغصن ، وشرخ الشبيبة ، وسكر الحداثة ، قنى السنّ ، رطيب الغصن ، عمرد فى إقباله ، ونشاطه فى استقباله ، وشبابه فى اقتباله ، وماؤه بحاله ، فلان فى حكم الاطفال ، الذين لم يعضوا على نواجذ الرجال ، هو فى عنفوان شبيبة تُخاف سقطاتُها وهفواتُها ، ولا يؤمن جَيْحاتُها ونزواتُها ، هو فى سكرى الشباب والشراب ، وبين نزوات الشبان ، ونزغات الشيطان ، شبابه أعمى عن الرشد ، أصم عن العذل ، قد لبّى داعى هواه ، وانغمس فى لجة صباه ، قد هجم بسكر الحداثة على سكرات الحوادث ، يجرى الى الصِّبا جرى الصَّبا — فلان غُفْلٌ من سِمة التجربة ، جامح فى عِذار الغفلة ، صعب الرأس على لجام العظة ، هو من سلطان الصبا فى النوبة الاولى ، قد خلع عذاره ومِقْوَده ، وألقى الى البطالة باعه ويده ، هو بين خُمار الغداة وسكر العشى [1] لا يعرف الصحو ، ولا يفارق اللهو ، فلان لا يفيق ، ولا يذكر التوفيق ، هو بين غرر الشباب ، وغُرر الاحباب

نجابة الشباب

(ويتعلق بهذه الالفاظ ألفاظ لهم فى نجابة الشباب وترشحهم للمعالى) قد جمع نضارة الشباب الى أبهة المشيب ، وهو على حدوث ميلاده ، وقرب إسناده شيخ قَدْرٍ وهيبة ، وان لم يكن شيخ سنّ وشيبه ، هو بين شباب مقتبل ، وعقل مكتمل ، قد لبس برد شبابه على عقل كهل ، ورأى جزل ، ومنطق فصل ، للدهر فيه مقاصد ، وللأيام فيه مواعد ، أرى له فى فصل ضمان الأيام ، وودائع الحظوظ والأقسام ، تباشير نجح ، ومخايل نصر وفتح ، قد استكمل قوّة الفضل ولم يتكامل له من الكهل ، ما زالت مخايله وليدا وناشئا ، وشمائله صغيراً ويافعا ، نواطق بالحسن عنه ، وضوامن النجح فيه ، قد سما الى مراتب أعيان الرجال ، التى لا تدرك مع الكمال والاكتهال ، حمدت عزائمه ، قبل أن حُلّت تمائمه ،

(١) الخمار بالضم مايعترى الشارب من الالم عند فقد الشرب

وشُهدت مكرماته ، قبل أن تَدرُج لذاته . وقال البحتري

لا تنظرنَّ الى العباس من صِغرٍ * فى السِّن وانظر الى المجد الذى شادا
ان النجوم نجومَ الأفق أصغرها * فى العين أذهبُها فى الجوّ إصعادا

وقال آخر

رأيت العقل لم يكن انتهاباً * ولم يقسم على قدر السنينا
فلو أنّ السنين تقسّمتهُ * حوى الآباء أنصبة البنينا

وقال الفضل بن جعفر الكاتب

فان خلّفته السن فالعقل بالغٌ * به رتبة الكهل المؤهَّل للمجدِ
فقد كان يحيى أوتى الحكم قبلهُ * صبيا وعيسى كلّم الناس فى المهدِ

ابن مناذر

وكان أبو حية كثير الرواية عن الفرزدق ، وعمر ، حتى التقى بابن مناذر فاستنشده شعره ، فأنشده أبو حية

ألا حيِّ من أجل الحبيب المغانيا * لبسن البلى مما لبسن الليالیا
اذا ما تقاضى المرءَ يومٌ وليلةٌ * تقاضاه شيءٌ لا يملُّ التقاضيا
حنتك الليالى بعدما كنت مَرّةً * سوِىَّ العصا لو كُنَّ يبقين باقيا

فقال ابن مناذر : أوَ شعرٌ هذا ؟ فقال أبو حيّة مافى شعرى عيب غير أنك تسمعه [1] وفى هذه القصيدة يقول أبو حية

ولما أبت الا التواءً بودّها * وتكديرها الشّرب الذى كان صافيا
شربتُ برَنْقٍ من هواها مكدَّرٍ * وكيف يعاف الرنْقَ من كان صاديا

أعباء الكهولة

وقد قال عمر بن قِمئة فى معنى قول أبى حية :

كانت قناتى لا تلين لغامزٍ * فألانَها الإصباحُ والامساء

(١) تجد فى (بكاء الملاح) من كتاب « مدامع العشاق » فصلا ممتعا عن ابن مناذر

ودعوت ربي في السلامة جاهداً * ليُصِحَّني فاذا السلامة داء

وقال النمر بن تولب :

يود الفتى طول السلامة والبقا * فكيف يرى طول السلامة يفعلُ

يعود الفتى من بعد حُسنٍ وصحةٍ * ينوء اذا رام القيام ويُحمَلُ(١)

وقد روى في الحديث الشريف: كفى بالسلامة داء . وقد أحسن حُمَيد بن ثور في قوله :

أرى بصري قد رابني بعد صحةٍ * وحسبك داءً أن تصح وتسلما

ولن يلبث العصران يوم وليلةٌ * اذا طلبا أن يدركا ما تيمما(٢)

حميد بن ثور

وهذان البيتان من قصيدة طويلة وهي أجود شعر حُمَيد ومن أجود ما فيها

وما هاج هذا الشوق الا حمامةٌ * دعت ساقَ حرٍّ ترحةً وترنما

تروح عليه والهاً ثم تغتدي * مولَّهةً تبغي له الدهرَ مَطعَما

تؤمل فيه مؤنساً لانفرادها * وتبكي عليه إن زَقا وترنما

كأن على أشراقه نور خمرةٍ * اذا هو مدّ الجيد منه ليَطعَما

فلما اكتسى الريش السُّحام ولم تجد * لها معه في ساحة الحي مَجثما(٣)

تنحت قريباً فوق غصن تذأبت * به الريح صِرفاً أيَّ وجه تيمَّما(٥)

فأهوى لها صقر مُسِفٌّ فلم يدع * لها ولداً إلا رِماماً وأعظُما

فأوفت على غصن ضحيًّا ولم تدع * لنائحة في نوحها مُتلوَّما

عجبت لها أنّى يكون غناؤها * فصيحاً ولم تفغَر بمنطقها فَما(٤)

فلم أر مثلي شاقه صوت مثلها * ولا عربيًّا شاقه صوت أعجما

---

(١) ينوء : ينهض بتثاقل وإعياء (٢) يمم : قصد (٣) السحام : الاسود والمجثم مكان الرقاد (٤) تذأبت : أتت من كل جانب كما يفعل الذئب (٥) تفغر : تفتح

ومن خبيث الهجاء قوله فى هذه القصيدة يخاطب رجلين بعينهما :

وقولا اذا جاوزتما أرض عامرٍ * وجاوزتما الحيين نهداً وخثعما
تُريعان من جَرم بن ريان انهم * أبوا أن يريقوا فى الهَزاهز محْجَما(١)

وما هُجيت جَرْم بأشد من هذا ، يريد أنهم لذلتهم لم يَترِوا أحداً فيطالبهم بذَحْل .

جناية الليالى

* وقال الأصمعى قيل لبعض الصالحين : كيف حالك ؟ قال كيف حال من يفنى ببقائه ، ويسقم بسلامته ، ويُؤتى من مأمنه ، وقال محمود الوراق :

يحب الفتى طول البقاء كأنهُ * على ثقةٍ أن البقاء بقاء
اذا ماطوى يوماً طوى اليومُ بعضَه * ويطويه إن جَنَّ المَساء مساء
زيادته فى الجسم نقصُ حياتِهِ * وأنى على نقص الحياة نماء(٢)
جديدان لا يبقى الجميع عليهما * ولا لهما بعد الجميع بقاء

وقال المتنبى :

* زيادة شيبٍ وهى نقص زيادتى * وقوة عشقٍ وهى من قوتى ضَعْفُ

وبيت محمود الأخير كقول البحترى :

أناةَ أيها الفلك المُدارُ * أنَهْبٌ ماتصرّف أم جُبارُ(٣)
ستَفنى مثل ماتُفنى وتَبْلى * كما تُبلى فيُدرَكُ منك ثار
تناب النائبات إذا تناهت * ويَدْمُر فى تصرّفه الدمارُ
وما أهل المنازل غير ركبٍ * مطاياهم رواحٌ وابتكارُ

ويقول فيها :

لنا فى الدهر آمالٌ طوالٌ * نُرجّيها وأعمارٌ قصارُ

(١) الهزاهز الحروب ، والمحجم وعاء الحجامة والفصد (٢) النماء : الزيادة
(٣) جبار : مهدر لاقود فيه

أما وأبى بنى حارِ بن كعبٍ * لقد طرد الزمان بهم فساروا
أصاب الدهر دولة آل وهبٍ * ونال الليلُ منهم والنهارُ
أعارهمُ رداءَ العز حتى * تقاضاهم فردّوا ما استعاروا
وقد كانوا وأوجههم بدورٌ * لمبصرِها وأيديهم بحار

أخذ قوله ستفنى مثل ما تفنى أبو القاسم بن هانىء فقال:

تفنى النجوم الزُّهرُ طالعةً * والنيِّران الشمسُ والقمرُ
وابن تبدت فى مطالعها * منظومةً فلسوف تنتثر
وابن سعى الفلك المدارُ بها * فلسوف يسلمها وينفطرُ

وقد استقصى على بن العباس الرومى المعنى الأول فقال

والدهر يُبلى الفتى من حيث ينشئهُ * حتى تكرّ عليه ليلة القُرُبِ
يغذوه فى كل آنٍ وهو يأكلهُ * ويحتسى تعباً منه على تعب
يُودى بحال فحالٍ من شبيبتهِ * تسرُّب الماء فى مستأنف الكثُبِ
حَسْبُ امرئٍ من جنى دهر تطاولُهُ * وان أُجِمَّ فلم يَنكب ولم يُنبِ
فى هُدْنة الدهر كاف من وقائعهِ * والعمر أقدح مِبراةً من الوصبِ

وقال أيضا

يابانى الحصن أرساه وشيدهُ * حرزاً لشلو من الاعداء مشجونِ[1]
انظر الى الدهر هل فاتته بغيتهُ * فى مطمح النسر أو فى مسبح النونِ[2]
ومن تحصّن مَنْحُوبا على وجل * فانما حصنه سجنٌ لمسجونِ
أشكو الى الله جهلا قد أضرّ بنا * بل ليس جهلا ولكن علم مفتونِ

وقال الطائى

وان تُبنَ حيطانٌ عليه فانما * أولئك عُقّالاتهُ لا معاقلهْ

ودخل يحيى بن خالد على الرشيد وقد ابتدأت حاله فى التغير ، فأخبر أنه مشغول ، فرجع فبعث اليه الرشيد : خنتنى فاتهمتنى ، فقال : إذا انقضت المدة

(١) شلو : جزء . ومشجون مشعوب ومكسور (٢) النون : التمساح

كان الختف فى الحيلة ، والله ما انصرفت الا تخفيفا . أخذه ابن الرومى فقال وقد فصده بعض الأطباء فزعم أن الفصد زاد فى علته

غلط الطبيب علىَّ غلطة موردٍ * عجزت مَحَالَتُه عن الإصدار (١)

والناس يلحون الطبيب وإنما * غلط الطبيب إصابة المقدار

وصف الثغر

وقال أبو حية النميرى

سقتنى بكأس الحب صِرفا مروَّقاً * رِقاق الثنايا عذبة المترنّقِ (٢)

وخُمصانةٍ تفتر عن متنشّقٍ * كَنَوْرِ الأقاحى طيّب المتذوَّقِ (٣)

اذا امتضغت بعد امتناع من الضحى * أنابيب من عُود الاراك المخلَّق (٤)

سقت شُعبَ المسواك ماء غمامةٍ * فَضيضاً بخُرطوم الرحيق المروَّقِ (٥)

وأنشد الثورى

ترى الدُّر منثوراً اذا ما تكلمت * وكالدر منظوماً اذا لم تَكلَّمِ

تَعبَّدُ أحرار القلوب بدلّها * وتملأ عين الناظر المتوسّمِ

والبيت الأول من هذين كقول البحترى :

فمن لؤلؤ تجلوه عند ابتسامها * ومن لؤلؤ عند الحديث تُساقطُه

وقد تقدم . قال أبو الفرج الرياشى سمعت الأصمعى يقول أحسن ما قيل فى وصف الثغر قول ذى الرمة :

وتجلو بفرع من أراك كأنه * من العنبر الهندىّ والمِسْكِ يُصْبَحُ

(١) المحالة : الحيلة ، ومنه (المرء يعجز لا المحالة) ويخطىء من يقول : المرء يعجز لا محالة (٢) المترنق : العين ، وتقول : رنق النوم فى عينيه خالطهما

(٣) خمصانة : ضامر البطن — والمتنشق : الثغر ، لانك تتنشق منه نكهته العطرة ، والمتذوق هو الريق لانك تلذ تذوقه (٤) المخلق : المدهون بالخلوق وهو ضرب من الطيب (٥) الفضيض : ماتناثر من الماء

ذُرى اقحوان واجه الليل وارتقى * اليه الندى من رامة المتروّحُ
هجان الثنايا مُعْرِبٌ لو تبسمت * لأخرسَ عنه كاد بالقولُ يفصح

ومن قديم هذا المعنى وجيده قول النابغة الذبيانى فى صفة المتجردة امرأة النعمان ابن المنذر

تجلو بقادمتى حمامة ايكةٍ * بَرَداً أُسِفّ لثاتُه بالإثمدِ
كالأقحوان غداةَ غبّ سمائهِ * جفت أعاليه وأسفله ندى
زعم الهمام بأن فاها باردٌ * عذبٌ مقبّلُه شهىُّ المورد
زعم الهمام ولم أذقه أنهُ * يروى بريّا ريقها العطِش الصدى

ومن قوله ولم أذقه أخذ كل من أتى بهذا المعنى ففتقه الناس بعده (قال المتوكل) الليثى

كأن مدامة صهباءَ صرفاً * تَرقرق بين راووق ودَنّ
تُعَلُّ بها الثنايا من سليمى * فِراسةُ مقلتى وصحيح ظنى

وقال بشار :

يا أطيب الناس ريقا غير مختبرٍ * إلا شهادةَ أطراف المساويكِ
قد زرتنا مرةً فى الدهر واحدةً * ثنّى ولا تجعليها بيضةَ الديكِ
يا رَحمة الله حُلّى فى منازلنا * حَسبى برائحة الفردوس من فيكِ

وقيل لبشار يا أبا معاذ كم بين قولك ، وأنشد هذه الأبيات ، وبين أن تقول

إنما عظم سليمى خُلُقى * قصب السكر لا عظم الجمل
واذا قُرّب منها بصلٌ * غلب المسك على ريح البصل

فقال انما الشاعر المطبوع كالبحر : مرةً يقذف صدَفه ، ومرةً يقذف جيفة .

وصف الجوارى السود

وقد تناول هذا المعنى أبو الحسن على بن العباس الرومى من أقرب متناوَل فقال وكشفه بأوضح عبارة فى صفته لجارية أبى الفضل عبدالملك بن صالح السوداء بعد أن استوفى جميع صفاتها وكان قد اقترح عليه وصفها

وصفت فيها الذى هَوِيت على الوهـ * ـم ولم نختبر ولم نَذُقِ
إلا بأخبارك التى رُفِعَتْ * منك الينا عن ظبية البُرَق (١)
حاشا لسوداء منظرٍ سكنت * ذُراك الا عن مخبر يقِقِ (٢)

وهذه الأبيات من قصيدة له وصف فيها السواد ، واحتج بتفضيله على البياض ، حتى أغلق فيه الباب بيده ، ومنع أن يقصد فيه أحد قصده ، الا كان مقصر السهم عن غرض الاحسان . وقد نبه على بن عبد الله بن العباس المسيب على فضائلها وأجاد التشبيه وكشف عن وجوه الابداع ، وضروب الاختراع ، وقد مدح الناس السواد والسُّود فأكثروا ، فمن جيد ماقالوا فيه قول أبى حفص الشطرنجى :

أشبهك المسك وأشبهتِهِ * قائمةً فى لونهِ قاعِدَهْ
لاشكَّ إذ لونكما واحدٌ * أنكما من طينةٍ واحدَهْ

فأخذ ابن الرومى هذا المعنى وأضاف اليه أشياء أخر توسعا واقتداراً فقال :

بذكرك المسك والغوالى والسك * ذوات النسيم والعَبَقِ (٣)

وهذه الأشياء وان كانت ناقصة عن المسك ، فهى ممدوحة بالطيب ، غير مستغنى عن ذكرها فى التشبيه ، فأما زيادته على جميع من تعاطى مدح السواد فقوله :

(١) البرق : جمع برقة بالضم وهى مكان تكثر فيه الظباء (٢) يقق : ناصع البياض (٣) السك : نوع من الطيب

سوداء لم تنتسب الى برص الشة * ولا كُلْفَةٍ ولا بَهَقِ (١)

والأبيض الشديد البياض معيب، وقد دل عليه قوله :

وبعض ما فُضِّلَ السوادُ بهِ * والحق ذو سُلَّمٍ وذو نَفَقِ
ألاّ يعيب السَّوادَ حُلكتُه * وقد يُعاب البياض بالبَهَقِ (٢)

قوله (الحق ذو سُلم وذو نفق) أراد أن الحق يتصرف فى جهات ، وضرب الصعود والنزول لذلك مثلا ، ثم قصد لوصف هذه السوداء بالكمال فى الصفة ، ومن عيب السود أن أكفّهم عابسة متشققة ، وأطرافهم ليست بناعمة لينة ، وكذلك لا يزال الفَلَح فى شفاههم ، وهى الشقوق المذمومة الموجودة فى أكثر السود فى أوساط الشفاه ، وأيضا فان الاسود مهجوّ بخبث العَرَق ، فنفى هذه الصفات المذمومة الموجودة فى أكثر السود عنها فقال :

ليست من العُبْس الاكفّ ولا الفُلْـ * ـح الشفاهِ الخبائث العرقِ

ثم عاج بخاطره على وصف هذه السوداء بأضداد تلك الصفات المذمومة ، فقال :

فى لين سَمُّورةٍ تخيرها الفرّا * ء أو لين جيّد الدّلَق (٣)

ومن بديع مدح السوداء قوله :

أكسبها الحب انها صُبِغَتْ * صبغةَ حبِّ القلوب والحَدَقِ
فانصرفت نحوها الضمائر والابـ * ـصار يعشقن أيما عَشَقِ

فأخبر انّ القلوب انما أحبتها بالمجانسة التى بينها وبين حَبِّ القلوب من السواد ، وكذلك الحدق . ومن جيد تشبيهات أبى نواس وقد نبّه نديماً للصبوح فأخبر عن حاله وقال

فقام والليل يجلوه الصباح كما * جلا التبسُّم عن غُرِ الثنيّاتِ

(١) الكلفة : النمش يوجد فى الوجه ، والبرص والبهق معروفان
(٢) الحلكة : شدة السواد ، ومنه : ظلام حالك (٣) الدلق : دويبة كالسمورة

ولعلى بن العباس عليه التقدم بقوله :

يفتر ذاك السواد عن يقق * من ثغرها كاللآلىء النسق (١)

كأنها والمزاح يضحكها * ليل تعرّى دُجاه عن فلق (٢)

وفضل هذا الكلام على ذاك ان هذا قدم لمعناه فى التشبيه مقدمة أيدته ، ووطأت له الآذان ، وأصغت الافهام الى الاستحسان ، وهى قوله :

* يفترُّ ذاك السواد عن يقق *

وفى هذه السوداء يقول : وقد سأله أبو الفضل الهاشمى أن يستغرق صفات محاسنها الظاهرة والباطنة فقال

لها حرٌّ يستعير وَقْدَتَهُ * من قلب صبٍّ وصَدْرِ ذى حنق (٣)

كأنما حرُّهُ لخابره * ما ألهبتْ فى حشاه من حُرَقِ

يزداد ضيقا على المراس كما * تزداد ضيقا أنشوطة الوهق (٤)

ثم فكر فيها فكر فيه النابغة ، وقد أمره النعمان بوصف المتجردة فوصف ما يجوز ذكره من ظاهر محاسنها ، ثم كره أن يذكر من فضائلها مالا يسوغ بمثله أن يذكر منها فرد الأخبار عن تلك الفضائل الى صاحبها وهو الملك فقال :

زعم الهمام بأن فاها بارد * عذبٌ اذا قبّلته قلت ازْدَدِ

فاحتذى على بن العباس هذا فقال بعد ما سأله أن يستغرق فى وصف فضائلها الظاهرة والباطنة

خذها أبا الفضل كسوة لك من * خزّ الاماديح لا من الخرَقِ

وصفت فيها التى هويت على الوه * م ولم نختبر ولم نذقِ

إلا باخبارك التى وقعت * منك الينا عن ظبية البُرَقِ

(١) نسق : منسق (٢) تعرى : تكشف (٣) الحر : بكسر الحاء هو الفرج

(٤) الوهق : الحبل يرمى فى أنشوطه فتؤخذ به الدابة والانسان

حاشا لسوداء منظرٍ سكنت * ذراك الا عن مخبر يقِقِ

وهذا المعنى أومأ اليه النابغة ايماء خفيا تذهب معرفته عن أكثر الناس ، ولو آثر النابغة ترك الاختصار وهمّ بكشف المعنى وايضاحه ما زاد على هذا الكشف الذى كشفه ابن الرومى — وأصحاب المعاني ينشدون للفرزدق

وجفن سلاح قد رُزئت فلم أنح * عليه ولم أبعث عليه البواكيا

وفى بطنه من دارم ذو حفيظةٍ * لو ان المنايا أنسأته لياليا[1]

ومعناه عندهم انه رثى امرأة توفيت حاملا ، فقال على بن العباس وقد وصف هذه المرأة السوداء

أخلِقْ بها أن تقوم عن ذَكَرٍ * كالسيف يَفْرى مُضاعف الحلَقِ

إن جفون السيوف أكثرها * أسودُ والحق غير مختلَقِ

فهذه زيادة بينة ، وعبارة واضحة ، لم تحتج الى تفاسير أصحاب المعانى ، وقال مما لم ينشده المتنبي :

غصن من الآبنوس ركّب فى * مؤتزرٍ مُعجبٍ ومنتطَقِ

يهتز من ناهديه فى ثمرٍ * ومن دواجى ذُراه فى وَرَقِ

وهذا معنى قد بلغ قائله من الاجادة ، فوق الارادة ، وامتثل أبو الفضل الهاشمى ما أشار به ابن الرومى فأولدها فأنجبت

وفى معنى قول الفرزدق قال الطائى وأحسن وذكر ولدين توأمين ماتا لعبد الله ابن طاهر .

ان تُرْزَ فى طرفَىْ نهار واحدٍ * رُزْ أين هاجا لوعةً وبلابلا

فالثِّقلُ ليس مضاعفا لمطيةٍ * إلا إذا ما كان وَهْمًا بازلا[2]

لهفى على تلك المشاهد منهما * لو أمهلَتْ حتى تكون شمائلا

لغدا سكوتهما حِجًى وصباهما * حُكما وتلك الأريحية نائلا

إن الهلال اذا رأيت نماءَهُ * أيقنت أن سيكون بدرا كاملا

---

(١) الحفيظة : قوة الاباء (٢) الوهم : الجمل الضخم القوى ، والبازل المكتمل السن

التهنئة بتوأمين

(وعلى ذكر التوأمين ألفاظ لأهل العصر فى التهنئة بتوأمين) تيسّرت منحتان فى موطن ، وانتظمت موهبتان فى قرَن [١] طلع فى أفق الكمال نجما سعد ، وشهابا عز ، وكوكبا مجد ، فتأهلت بهما ربوع المحاسن ، ووطّئت لهما أكناف المكارم ، واستشرفت اليهما صدور الأسرة والمنابر — بلغنى خبر الموهبة المشفوعة بمثلها ، والنعمة المقرونة بعِدلها [٢] فى الفارسين المقبلين ، رضيعى العز والرفعة ، وقرينى المجد والمنَعة ، فشملنى من الاغتباط ما يوجبه ازدواج البشرى ، واقتران غادية بأخرى ، والشئ يذكر بما قارب ناحية من انحائه ، وجاذب حاشية من ردائه

شئ من الهجاء

وقال بعض أهل العصر يهجو رجلا وضمّن قول النابغة

* كالأقحوان غداة غب سمائه *

وأزاحه عن بابه ، فجاء مليحا فى الطبع ، مقبولا فى السمع

يا سائلى عن جعفر عهدى بهِ * رَطْبَ العِجان وكفه كالجلمدِ [٣]

كالأقحوان غداة غِبِّ سمائهِ * جفّت أعاليه وأسفله ندى

ومن مستحسن ماروى فى هذا التضمين قول الآخر وضمن بيتا لمهلهل بن ربيعة

وسائلةٍ عن الحسن بن وهبٍ * وعمّا فيه من كرم وخيرِ

فقلت هو المهذب غير أنى * أراه كثير إرخاء الستورِ

وأكثر ما يغنّيه فتاهُ * حُسَيْنٌ حين يخلو بالسُّرورِ

فلو لا الريح أسمعَ من بِحجرٍ * صليل البيض تُقرع باللُّكورِ

وهذا البيت لمهلهل مما يعدّونه من أول كذب العرب وكانت قبل ذلك

(١) القرن : الحبل المفتول من لحاء الشجر أومن الصوف (٢) العدل بالكسر النظير (٣) العجان: الارداف

لا تكذب فى أشعارها ، وكان بين الموضع الذى كانت فيه هذه الواقعة وهى بالجزيرة وبين حجر وهى قصبة باليمامة مسافة بعيدة ، فأخرجه هذا الشاعر بقوة منته ، ونفاذ فطنته ، الى معنى آخر مستظرف فى بابه . وهذا المذهب أحسن مذاهب التضمين . ومن مليح مافى هذا الباب تضمينات الحمدونى فى طيلسان أحمد بن حرب المهلبى وسيأتى ما أختاره من ذلك فى غير هذا الموضع

وصف الافواه

وقد جاء فى صفة الثغور والأفواه والريق شعر كثير . قال جميل

تمنيت منها نظرةً وهى واقفٌ * تُريك نقيًّا واضح الثغر أشنبا (١)
كأن عريضا من فضيض غمامةٍ * هزيم الذرى تمرى له الريح هيدبا (٢)
يصفق بالمسك الذكى رضابهُ * إذا النجم من بعد الهدوء تصوَّبا (٣)

وقال

وكأن طارقها على عَلَلِ الكرى * والنجم وهْناً قد بدا لتغوُّرِ
يستاف ريح مُدامة معلولةٍ * بُرضابِ مسكٍ فى ذكىِّ العنبرِ

وقال عمر بن عبد الله بن أبى ربيعة المخزومى

يمج ذكىّ المسك منها مفلَّجٌ * نقىّ الثنايا ذو غروب مُؤشَّرُ (٤)
يَرِفّ اذا تفتر عنه كأنهُ * حصى بَرَدٍ أو أقحوان منوَّرُ

وقال الهذلى :

وما صهباء صافيةٌ لصبٍّ * كلون الصَّرف منجابٌ قذاها
تُشَجُّ بنطفةٍ من ماء مُزْنٍ * أحلّته برضراضٍ عُراها

---

(١) أشنب : من الشنب وهو رقة الثغر وصفاؤه (٢) العريض القطعة من السحاب ، والفضيض ماتناثر من المطر والماء ، والهزيم الصوت ، والذرى الاعالى ، والهيدب ذيل السحاب (٣) تصوب : انحدر (٤) مؤشر : من الاشر وهو تحزيز أطراف الثنايا ، والغروب جمع غرب وهو ماء الرضاب

بأطيبَ مشرعاً من طعم فيها * اذا ما طار عن سِنةٍ كراها

وقال آخر :

وشق عنها قِناع الخز عن بَرَدٍ * كالدُّرّ لا كسَسٌ فيه ولا تَعَلُ[1]

كأنه اقحوان بات يضربُهُ * طلٌّ من الدَّجْنِ سقّاط الندى هَطِلُ

كأنَّ صِرفاً كُميت اللون صافية * شُجَّت بماءِ سماءٍ شنَّه جبلُ[2]

فُوها اذا ماقضت من نومها سِنَةً * أو اعتراها سبات النوم والكسل

وقال آخر :

هِجانُ اللون واضحة المحيَّا * قطيع الصوت آنسة كسولُ[3]

تَبسّمُ عن أغرَّ له غُرُوبٌ * فُرات الريق ليس به فُلولُ[4]

كأن صبيب غادية لصبٍّ * تشجُّ به شآميةٌ شمولُ

على فيها اذا الجوزاء عالت * محلِّقة وأردفها رعيلُ[5]

وقال ابن المعتز :

يا نديمَيَّ اشربا واسقيانا * قد بدا الصبح لنا واستبانا

واقتلاهمّي بصِرفٍ عُقارٍ * واتركا الدهر فما شاء كانا

ان للمكروه لَذْعةَ شرٍ * فاذا دام على المرء هانا

وامزجا كأسي بريقةِ ألْمَى * طاب للعطشان وِرداً وحانا

من فم قد غرس الدر فيهِ * ناصح الريق إذا الريق خانا[6]

وقال ابن الرومي

يارُبَّ رِيقٍ بات بدرُ الدُّجى * يمجُّهُ بين ثنايا كا

يروى ولا ينهاك عن شربهِ * والماء يرويك وينهاكا

(١) الكسس : قصر الاسنان ، والثعل زيادة سن أو دخول سن تحت سن (٢) كميت اللون : فيها سواد وحمرة ،وشجت مزجت ، والشن التبريد (٣) هجان اللون : بيضاء ، وقطيع الصوت هي التي يتكسر كلامها لرقته (٤) فرات عذب (٥) الرعيل : جماعة النجوم (٦) ناصح الريق : لم تتغير نكهته

وقال عبيد الله بن عبد الله بن طاهر

وإذا سألتك رَشْفَ ريقك قلت لى * أخشى عُقُوبة مالك الأملاكِ
ماذا عليك جُعلت قبلك فى الثرى * من أن أكون خليفة المِسْواكِ
أيجوز عندك أن يكون متيمٌ * صبٌّ بحبّكَ دون عود أراكِ

وهذا المعنى يجاوز الإحصاء ، ويفوت الاستقصاء ، وكله مأخوذ من قول مرئ القيس

كأنَّ المدامَ وَصَوْبَ الغَمامْ * وريح الخُزامى ونَشْرَ القُطُرْ (١)
يُعَلُّ به بَرْدُ أنيابِها * إذا طرب الطائر المستحرِ (٢)

فجمع ما فرقوه ، وأخذه الجعفرى فقصر عنه

كأن المدام وصوب الغمام * وريح الخزامى وذَوْب العَسَلْ
يعلُّ به برد أنيابها * اذا النجم وسط السماء اعتدل

فتنة الساقى

ويلحق بهذه المعانى من شعر أهل العصر قول أبى على محمد بن الحسين ابن المظفر الحاتمى وذكر خمراً

من كفِّ ساقٍ أهيفٍ حركاتهُ * فِتنٌ تَقَنَّعَ بالملاحةِ واعتَجَرْ (٣)
ناولتهُ كأسى وكَسْرُ جفونهِ * يوحي الىَّ أن ارتقبهم واصطبر
فثنى لها أقلام دُرٍّ رَخْصَةٍ * تهوى الى أفراد دُرٍّ ذى أشَرْ (٤)
فتحدّرت من كأسهِ فى ثَغْرهِ * كالشمس تَغْرُب فى هلالٍ من قمر

وأهدى أبو الفتح كشاجم لبعض القيان مسواكا وكتب اليها :

قد بعثناه لكى تجلو بهِ * واضحاً كاللؤلؤ الرطب أغر

(١) القطر بالضم العود الذى يتبخر به (٢) المستحر : الحران (٣) اعتجر : من الاعتجار وهو لبسة خاصة بالنساء والغلمان (٤) رخصة : لينة

طاب منه العَرْف حتى خِلتُهُ * كان من ريقك يُسقى فى السَّحر (١)
وأمَا والله لو يعــلمُ ما * حظُّهُ منــكِ لأثنى وشكر
ليتنى المُهــدَى فيَروى عطشى * بَرْد أنيابك فى كل سَحَر (٢)

شعر ابن أبى ربيعة

وكان ذكر بحضرة ابن أبى عتيق شعر عمر بن أبى ربيعة والحارث بن خالد المخزوميين ، فقال رجل من ولد خالد بن العاصى بن هشام بن المغيرة صاحبنا الحارث أشعر ، فقال ابن أبى عتيق : دع قولك يا ابن أخى فلشعر ابن أبى ربيعة لَوْطةٌ بالقلب (٣) وعَلَقٌ بالنفس ، ودرك للحاجة ، ليس لشعر الحارث ، وما عُصى الله بشعر قط أكثر مما عُصىَ بشعر ابن أبى ربيعة ، فخذ عنى ما أصفُ لك ، أشعر قريش من رقّ معناه ، ولَطُف مَدْخله ، وسهل مَخْرجه ، وتعطَّفت حواشيه ، وأنارت معانيه ، وأعرب عن صاحبه ، فقال الذى من ولد خالد بن العاصى صاحبنا الذى يقول :

انى وما نحروا غداة مِنًى * عند الجمار تَؤدها العُقُلُ (٤)
لو بُدّلت أعلى منازلهــا * سِفْلاً وأصبح سفلها يعلو
فيكاد يعرفها الخبير بها * فيردُّه الإقواء والمحْل
لعرفت معناها بما احتملت * منى الضلوع لأهلها قبــلُ

فقال ابن أبى عتيق : يا ابن أخى استر على صاحبك ، ولا تشاهد المحاضر بمثل هذا ، أما تطيَّر الحارث عليها حين قلب ربعها فجعل عاليه سافله ، ما بقى الا أن يسأل الله حجارة من سجّيل وعذابا أليما ، ابن أبى ربيعة كان أحسن الناس للربع مخاطبةً وأجمل مصاحبةً اذ يقول :

(١) لا يطيب الريق فى السحر الا عند اكتمال القوة (٢) يتمنى لو انه كان المسواك (٣) لوطة بالقلب : علوق به (٤) العقل : جمع عقال

سائلا الربع بالبُلَّى وقولا * هجت شوقا لى الغداة طويلا
أين أهلٌ حلّوك إذ أنت مسرو * رٌ بهم آهلٌ أراك جميلا
قال ساروا وأمعنوا واستقلوا * وبكرهى لو استطعت سبيلا
سئمونا وماسئمنا مقاماً * واستحبوا دمانةً وسهولا

مزيد المدنى

وها هنا حكاية تأخذ بطرف الحديث ، دخل مزيد المدنى على مولى لبعض أهل المدينة وهو جالس على سرير ممهد ، ورجل من ولد أبى بكر الصديق وآخر من ولد عمر رضى الله عنهما جالسان بين يديه على الارض ، فلما رأى المولى مزيدا تجهّمه وقال : يامزيد ما أكثر سؤالك ، وأشد الحافك ، جئت تسألنى شيئاً قال لا والله ، ولكنى أردت أن أسألك عن معنى قول الحارث بن خالد

إنى وما نحروا غداة منى * عند الجمار تؤدها العُقُلُ
لو بُدلت أعلى منازلها * سفلا وأصبح سفلها يعلو

فلما رأيتك ورأيت هذين بين يديك عرفت معنى الذى قال ، فقال اعزُب فى غير حفظ الله ! وضحك أهل المجلس

بكاء الديار

وأخذ الحارث قوله :

لعرفت مغناها بما احتملت * منى الضلوع لأهلها قبلُ

من قول امرئ القيس ، قال على بن الصباح ورّاق أبى مَحلم قال لى أبو محلم أتعرف لامرئ القيس أبياتا سينية قالها عند موته فى قروحه والحلة المسمومة غير قصيدته التى أولها * ألما على الربع القديم بعسعسا * فقلت لا أعرف غيرها فقال أنشدنى جماعة من الرواة

لمن طَلَلٌ دَرَست آيهُ * وغيّره سالف الأحْرَسِ (١)

(١) الاحرس : الدهر

تَنكّره العين من حادثٍ * ويعرفه شغَفُ الأنفسِ

وقد أخذه طريح بن اسماعيل الثقفى فقال

تستخبر الدِّمنَ القِفار ولم تكنْ * لتردّ اخبارا على مُستخبرِ
فظللت تحكم بين قلب عارفٍ * مَغْنى أحبتهِ وطرف مُنكرِ

وقال الحسن بن وهب اشارة الى هذا المعنى

أبليت جسمى من بعد جدتهِ * فما تكاد العيون تُبْصِرُهُ
كأنه رسم منزل خلقٍ * تعرفه العين ثم تنكرُهُ

وقال يحيى بن منصور الذهلى

أما يستفيق القلب الا انبرى لَهُ * تذكُّر طيف من سعاد ومربع
أخادع عن عرفانه العين إنهُ * متى تعرف الاطلال عينىَ تدمعِ

وقال آخر :

هى الدار التى تعـ * ـرفِ لِمْ لا تعرفُ الدارا
ترى منها لأحبا * بك أعـلاماً وآثارا
فيبـدى القلب عرفاناً * وتبدى العين إنكارا

وقال أبو نواس ، وتعلق أول قوله بهذا المعنى ، وأنا أنشد الأبيات كلها لملاحتها ، إذ كان الغرض فى هذا التصرف هو ارادة الافادة

ألا لا أرى مثلى امترى اليوم فى رسْم * تغصّ به عيـنى ويلفظه وهْمى
أتت صُوَر الأشياء بينى وبينهُ * فظنى كلا ظنّ وعلمى كلا علم
فطب بحديث من حبيبٍ مساعدٍ * وساقية بين المراهق والحلمِ (١)
ضعيفة كرّ الطرف تحسب أنها * قريبة عهد بالإفاقة من سُقْمِ
يفرّق مالى من طريف وتالدٍ * تفوّقَ الصهباء من حلب الكرْمِ
وإنى لآتى الوصل من حيث يُبتغى * وتعلم قوسى حين أنزع من أرمى

(١) بين المراهق والحلم : يريد أن سنها قاربت سن الاحتلام وليست مع ذلك طفلة ، فهى كما قال صاحب البدائع : « طفلة فى المنظر ، وغادة فى المخبر »

شعر أبي نواس

وروى أبو هفان قال كان أبو عبد الله محمد بن زياد الاعرابي يطعن على أبي نواس ويعيب شعره ، ويضعّفه ، ويستلينه . فجمعه مع بعض رواة شعر أبي نواس فجلس والشيخ لا يعرفه ، فقال له صاحب أبي نواس : أتعرف أعزك الله أحسن من هذا وأنشده ضعيفة كر الطرف الأبيات ، فقال لا والله فلمن هو قال الذى يقول :

رسمُ الكرى بين الجفون مَحيلُ * عفّى عليه بكاً عليك طويلُ
يا ناظراً ما أقلعت لحظاتُهُ * حتى تشحَّطَ بينهنَّ قتيلُ

فطرب الشيخ وقال : ويحك ، لمن هذا ، فوالله ما سمعت أجود منه لقديم ولا لمحدَث ، فقال لا أخبرك أو تكتبه ، فكتبه ، وكتب الأول ، فقال الذى يقول :

ركبٌ تَساقَوْا على الأكوار بينهمُ * كأس الكرى فانتشى المسقيُّ والساقي
كأن أرؤسهم والنوم واضعها * على المناكب لم تُخلق بأعناق
ساروا فلم يقطعوا عقداً لراحلةٍ * حتى أناخوا إليكم قبل أشواقِ
من كل جائلةِ الطرفين ناجيةٍ * مشتاقةٍ حملت أوصال مشتاقِ

فقال لمن هذا وكتبه ، فقال : للذى تذمه ، وتعيب شعره ، أبي على الحكمى : قال اكتم علىّ ، فوالله لا أعود لذلك أبداً . أخذ قوله (كأن أرؤسهم والنوم واضعها) أبو العباس بن المعتز فقال يصف شَرْباً

كان أباريق اللجين لديهمُ * ظباءٌ بأعلى الرقمتين قيامُ
وقد شربوا حتى كأن رؤسهم * من اللين لم يخلق لهنَّ عِظامُ

البيت الاول من هذين من قول علقمة بن عبدة :

كأن ابريقهم ظبي على شَرفٍ * مفدَّم بسبا الكتان ملثومُ[1]

(١) مفدم : مسدود ، والفدام هو السدادة ، والملثوم الذى وضع عليه اللثام وهو كالفدام

أراد بسبائب[1] فحذف وقد أحسن مسلم بن الوليد فى قوله :

إبريقنا سلب الغزالة جيدها * وحكى المديرُ بمقلتيه غزالا

يسقيك بالالحاظ كأس صبابةٍ * ويديرها من كفه جريالا[2]

طرفة أدبية

وأنشد الحارث بن خالد أبياته

* إنى وما نحروا غداة منى *

لعبد الله بن عمر ، فلما بلغ الى قوله :

لعرفت معناها بما احتملت * منى الضلوع لاهلها قبلُ

قال له ابن عمر : قل ان شاء الله ، قال اذا يفسد الشعر يا أبا عبد الرحمن ، فقال لا خير فى شىء تفسده ان شاء الله

تظرف الحارث بن خالد

وكان الحارث بن خالد أحد المجيدين فى التشبيب ، ولم يكن يعتقد شيئاً من ذلك ، وانما يقوله تظرّفا وتخلّعاً ، وكان أكثر شعره فى عائشة بنت طلحة ، فلما قتل عنها مصعب بن الزبير قيل له لو خطبتها ! قال إنى لا كره أن يتوهم الناس علىّ انى كنت معتقداً لما أقول فيها ، وهو القائل

يا أمَ عمرَانَ مازالت ومابرحتْ * بنا الصبابة حتى مسّنا الشَّفقُ

القلب تاق اليكم كى يلاقيكم * كما يتوق الى منجاته الغرقُ

تُوفيك شيئاً قليلا وهى خائفةٌ * كما يمسّ بظهر الحيّة الفرقُ

أخذ هذا الطائى فحسّنه فقال :

تأبى على التصريد إلاّ نائلا * إلاّ يكنْ ماءً قراحا يُمْذَقِ

نَزْراً كما استكرهت عابر نفجةٍ * من فارة المسك التى لم تُفْتَقِ

(١) السبائب : جمع سبيبة وهى الحبل (٢) الجريال : الخمر

عائشة بنت طلحة

وحجّت عائشة بنت طلحة ، فوجه اليها يستأذنها فى الزيارة ، فقالت : نحن حرام ، فأخّر ذلك حتى نُحلّ ، فلما أحلّت أدلجت ولم يعلم ، فكتب اليها

ما ضرّكم لو قلتمُ سدَداً * إن المنية عاجلٌ غدُها
ولها علينا نعمةٌ سلفت * لسنا على الأيام نجحدُها
لو تمّمت أسباب نعمتها * تمّت بذلك عندنا يدُها
إنى وإياها كمفتَتِنٍ * بالنار تُحرقهُ ويعبدُها

ابن أبى عتيق

وابن أبى عتيق هذا هو عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، وكان من أفاضل زمانه علماً وعفافا ، وكان أحلى الناس فكاهة ، وأظرفهم مِزاحا ، وله أخبار مستظرفة سيمر منها ما يُستحسن ان شاء الله . روى الزبير بن أبى بكر أنه دخل على عائشة يعنى بنت طلحة رضى الله عنهما وهى لما بها ، فقال كيف أنت جُعلت فداكِ ؟ قالت فى الموت ، قال فلا إذاً ، انما ظننت فى الأمر فُسحة ، فضحكت ، وقالت : ما تدع مزحك بحال ! وفيه يقول عمر بن أبى ربيعة القرشى

ليت شعرى هل أقولَنْ لركب * بفلاةٍ هُمُ لديها خُشُوعُ
طال ما عرّسْتمُ فاستقِلّوا * حان من نجم الثريّا طُلوعُ
إنّ همّى قد نفى النوم عنى * وحديثٌ للنفس منى يروعُ
قال لى فيها عتيقٌ مقالاً * فجرت مما يقول الدموعُ
قال لى ودِّع سليمى ودعها * فأجاب القلب لا أستطيعُ
لا تلمنى فى اشتياقى اليها * وابكِ لى مما تجنّ الضلوع

الثريا بنت على

قال أبو العباس محمد بن يزيد قوله (حان من نجم الثريا طلوع) كناية ، وانما يريد الثريا بنت على بن عبد الله بن الحارث بن أمية الأصغر ، وكانت موصوفة بالجمال ، وتزوّجها سهيل بن عبد الرحمن بن عوف الزهرى فنقلها الى مصر ، وفى ذلك يقول عمر وضرب لهما المثل بالنجمين

أيها المنكح الثريّا سهيلاً * عمرك الله كيف يلتقيان
هى شاميّة اذا ما استقلت * وسهيلٌ اذا استقلّ يمانى

فمات سهيل عنها ، أو طلقها ، فخرجت الى الوليد بن عبد الملك وهو خليفة دمشق تطالب فى دين عليها ، فبينا هى عند أم البنين ابنة عبد العزيز اذ دخل الوليد فقال : من هذه عندكِ ؟ قالت: الثريا جاءتك تطالب فى دين ارتكبها ، فأقبل الوليد عليها فقال : أتروين من شعر عمر بن أبى ربيعة شيئاً ؟ قالت نعم ، أما انه رحمه الله كان عفيفاً عفيف الشعر ، أروى له قوله :

ما على الرسم بالبُلَيّين لو بيّن * رجْع السلام أولو أجابا
فالى قصر ذى العشيرة بالطاء * فأمسى من الأنيس يبابا
ربما قد ثوى به حىّ صدقٍ * ظاهرى العيش نعمة وشبابا
وحِسانا جواريا خفراتٍ * حافظات عند الهوى الأحسابا
لا يكثّرن بالحديث ولا ينعة * ن ينعقن بالبهام الظّرابا[1]

فلما خلا الوليد بأم البنين قال : لله درّ الثريا! أتدرين ما أرادت بانشادها ما أنشدت من شعر عمر ؟ قالت لا ، قال فانى لما عرّضت لها بعمر عرضت لى بأن أمى أعرابية ، وأم الوليد ولادة ابنة العباس بن جزء بن الحارث بن زهير العبسى وهى أم سليمان ، ولا تُعلم امرأة ولدت خليفتين فى الاسلام غيرها ، وغير الخيزران وهى سبية من خرشنة ولدت موسى الهادى وهارون الرشيد ابنى محمد المهدى ،

(١) الظراب : دويبة خبيثة الرائحة

وشاهسفرم بنت فيروز بن يزدجرد بن شهريار بن كسرى ابرويز ، فانها ولدت للوليد بن عبد الملك يزيد بن الوليد الناقص وابراهيم بن الوليد المخلوع جلس فى الخلافة بعد أخيه يزيد مدة يسيرة ثم جاء مروان بن محمد بن مروان آخر ملوك بنى أمية فخلعه وولى بعده

عزة كثير

وشبيه بقول الثريا فى باب التعريض أنه دخلت عزة على عبد الملك بن مروان فقال لها : أنت عزة كثير ؟ قالت أنا أم بكر الضمرية ، قال لها ياعزة هل ترين من شعر كثيّر شيئا ؟ قالت ما أعرفه ، ولكن سمعت الرواة ينشدون له

قضى كل ذى دَين فوفّى غريمهُ * وعزةُ ممطولٌ معنًّى غريمها

قال فترين قوله

وقد زعمت أنى تغيّرت بعدها * ومن ذا الذى ياعزّ لا يتغيرُ

تغيَّر حالى والخليقة كالذى * عهدتِ ولم يخبر بسرك مخبِرُ

قالت ما سمعت هذا ولكن سمعتهم ينشدون

كأنى أنادى صخرةً حين أعرضتْ * من الصُّم لو تمشى بها العُصْم زَلَّتِ

غضوباً فما تلقاك إلا بخيلةً * فمن ملَّ منها ذلك الوصل ملّت (١)

ظرف ابن أبى عتيق

قال وكل ما ذكر ابن أبى ربيعة فى شعره من عتيق ، أو أبى عتيق ، فانما هو ابن أبى عتيق ، وكان عمر بن عبد الله بن أبى ربيعة ، واسم أبى ربيعة حذيفة بن المغيرة بن عبد الله بن مخزوم ، يكنى أبا الخطاب ، أمه أم ولد سبية من حضرموت ويقال من حمير ومن ثم أتاه الغزل لأنه يقال (عشق يمانى ، ودلّ حجازى) قال اسحاق بن ابراهيم الموصلى

إن قلبى بالتل تلّ عِزازٍ * مع ظبى من الظباء الجوازى (٢)

---

(١) ليس لكثير أجمل من هذه التائية ، وتجدها برمتها مضبوطة مشروحة فى كتاب « مدامع العشاق » عند الكلام عن بخل الحسان (٢) الجوازى هى الظباء التى تجتزىء بالعشب عن الماء

شادن لم ير العراق وفيهِ * مع ظرف العراق دَلُّ الحجازِ

وقال الطائي وذكر نفسه

قد تثقّفت منه الحجاز وسهّلت * منه العراق ورقّقته المشرقُ (١)

وهجرت الثريا عمر فقال

قال لى صاحبى ليعلم مابى * أتحب القتول أخت الربابِ

قلت وجدى بها كوجدك بالما * ءاذا ما فقدت بَرْدَ الشرابِ

أرهقت أم نوفل إذ دعتها * مهجتى ما لقاتلى من متابِ

أبرزوها مثل المهاة تهادى * بين خمسٍ كواعبٍ أتراب

وهى مكنونةٌ تحدّر منها * فى أديم الخدين ماء الشباب

ثم قالوا تحبها قلت بهراً * عدد الرمل والحصى والتراب

ولما بلغ ابن أبى عتيق قوله

من رسولى الى الثريا فانى * ضقت ذرعاً بهجرها والكتابِ

قال إياى أراد ، وبى هتف ، ونوّه ، لا جرم لاذقت طعاما أو أشخص اليها ، وأصلح بينهما ، فقال مولى لبنى تميم قنهض ونهضت معه ثم خرج الى السوق الى الضمرتين فأتى قوما من بنى الديل بن بكر يكرون النجائب ، فقال بكم تكرونني راحلتين الى مكة ؟ قالوا بكذا وكذا درهما فقلت لبعض التجار استوضعوا شيئا ، فقال ابن أبى عتيق: ويحك ان المكاس ليس من أخلاق الناس (٢) ثم ركب واحدة وركبت أخرى وأجدّ السير فقلت ارفق بنفسك فقال ويحك : أبادر حبل الوصل أن يتقضّبا . وما أملح الدنيا اذا تم الوصل بين عمر والثريا ! فقدمنا مكة وأتى باب الثريا ، فقالت والله ما كنت لنازوّارا ، فقال أجل ، ولكن جئت برسالة ، يقول لك ابن عمك : ضقت ذرعا بهجرها والكتاب . فلامه عمر فقال ابن أبى عتيق إنما رأيتك مبادرا تلتمس رسولا ، فخففت فى حاجتك ، فانما كان ثوابى أن أشكر

(١) المشرق بخلاف باليمن (٢) المكاس : الشدة فى الاخذ والعطاء

كمثل الشيطان

ووصف ابن أبي عتيق لعمر امرأة من قومه ، وذكر جمالا رائعا ، وعقلا فائقا ، فرآها عمر فشبّب بها فغضب ابن أبي عتيق وقال : تتشبب بامرأة من قومي ؟ فقال عمر

لا تلمنى عتيقُ حسبى الذى بى * ان بى ياعتيق ماقد كفانى
انبى مضمراً من الحب قد أبـ * ـلى عظامى مكنونهُ وبرانى
* لا تلمنى وأنت زينتهالى *

فقال ابن أبي عتيق

* أنت مثل الشيطان للانسانِ *

فقال عمر هكذا ورب الكعبة قلت : فقال ابن أبي عتيق ان شيطانك ورب القبر ربما ألمّ بى !

رملة بنت عبد الله

وحجت رملة بنت عبد الله بن خلف أخت طلحة الطلحات فقال عمر فيها

أصبح القلب فى الحبال رهينا * مُقْصداً يوم فارق الظاعنينا
ولقد قلت يوم مكة سِرًّا * قبل وشك من بينكم يُلوينا
أنت أهوى العباد قربا وبعداً * لو تُواتين عاشقا محزونا
قاده الحينُ يوم سرنا الى الحج * جهاراً ولم يخف أن يحينا
فاذا نعجة تراعى نِعاجا * ومهًى نجّل النواظر عِينا
فسبتنى بمقلةٍ وبجيدٍ * وبوجه يضئ للناظرينا
قلت من أنتمُ فصدت وقالت * أمبدٍّ سؤالك العالمينا
قلت بالله ذى الجلالة لما * أن تبلت الفؤاد أن تصدقينا
أىُّ من نجمع المواسم أنتمْ * فأبينى لنا ولا تكذبينا
فرأت حرصىَ الفتاة فقالت * أخبريه بعلم ما تكتمينا

نحن من ساكنى العراق وكنّا * قبلها قاطنين مكة حينا
قد صدقناك إذ سألت فمن أنـ * ـت عسى أن يجرّ شأنٌ شؤونا
ونرى أننا عرفناك بالنعـ * ـت ظنوناً وما قبلنا يقينا
بسواد الثنيّتين ونعتٍ * قد نراه لناظرٍ مستبينا

صفقة أبى غبشان

قولها (وكنا قبلها قاطنين مكة حيناً) أرادت اذ كانت مكة لخزاعة . وكان آخر من نبذ مفتاح الكعبة من خزاعة أبوغبشان فباعه من قصى بزق خمر فقيل فى المثل (أخسر صفقةً من أبى غبشان) وكان أبو غُبشان إذ باع المفتاح قُصيًّا مريضاً قد يئس من نفسه ، فلما أبلّ من مرضه لامه قومه ، وسألوه استرجاعه ، وذلك الذى هاج الحرب بين خزاعة وقريش ، فظفر قصى واستولى على مكة ، وجمع قريشاً بها ولذلك سمى مجمعاً . قال مطرف الخزاعى

أبوكم قُصَىٌّ كان يدعى مجمّعاً * به جمّع الله القبائل من فِهْرِ

وقال الطائى

ولما نضا ثوب الحياة وأوقعت * به نائبات الدهر ما يتوقّعُ
غدا ليس يدرى كيف يصنع معدِمٌ * ذرى دمعه فى خدّه كيف يصنعُ
ولم أنس سعى الجود خلف سريرهِ * بأكسف بال يستقلُّ ويظلَعُ (١)
وتكبيره خمساً عليه معالنا * وان كان تكبيرَ المصلين أربعُ
وما كنت أدرى يعلم الله قبلها * بأنّ الندى فى أهله يتشيّعُ
غدوا فى زوايا نعشه وكأنما * قريش قريش يوم مات مُجمّعُ

وقال الشاعر فى أمر قصى وأبى غبشان

أبو غبشان أظلم من قصىٍّ * وأظلم من بنى فهرٍ خزاعه

(١) يستقل ويظلع : ينهض ويسقط

فلا تَلْحوا قصيًّا فى شِراهُ * ولوموا شيخكم اذ كان باعه

وكان عمر أسود الثنيتين . قال مولى ابن أبى عتيق بلال أتيت الثريا مسلماً عليها فقالت أنشدنى لعمر فأنشدتها * أصبح القلب فى الحبال رهينا * فقالت الثريا إى والله ان سلمت له لأردنّ من شأوه ، ولأثنينّ من عنانه ، ولأعرفنه نفسه ! فمررت فيها حتى انتهيت الى قوله

قلت من أنتمُ فصدَّت وقالت * أمبَدٍّ سؤالك العالمينا

فقالت أوقد أجابته بهذا أى وقت؟ فلما انتهيت الى قوله * وترى اننا عرفناك بالنعت * قالت جاءت النوكاء بآخر ما عندها فى موقف واحد (١)

حب ابن أبى ربيعة

وسأله أخوه الحارث وهو المعروف بالقبّاع وكان من أفاضل أهل دهره ، أن يترك الشعر ، ورغب اليه فى ذلك ووعظه ، فقال: أما ما دمت بمكة فلا أقدر ، ولكنى أخرج الى اليمن. فخرج فلما سار الى هناك لم تدعه نفسه وترك الشعر فقال

هيهات من أمَة الوهاب منزلنا * اذا نزلنا بسيف البحر من عدَن (٢)
واحتلّ أهلك أجياداً وليس لنا * الا التذكر أو حظٌّ من الحَزَن
بل ما نسيت غداة الخِيف موقفها * وموقفى وكلانا ثَمّ ذو شَجَن
وقولها للثريا وهى مطرقةٌ * والدمع منها على الخدَّين ذو سنَن
بالله قولى له فى غير مَعتبةٍ * ماذا أردت بطول المكث فى اليمن
ان كنت حاولت دنيا أو ظفرت بها * فما أخذت بترك الحج من ثمنِ

فلما بلغ الشعر الحارث قال قد علمنا انه لا يفى (وروى) سفيان بن عيينة عن ابن جريج قال: لزمنى دين مرّة فضاقت ساحتى وبلادى بى. فتوجهت الى معن ابن زائدة باليمن، فقال ما أقدمك هذه البلدة ؟ قلت دين طردنى عن وطنى ، قال يقضى دينك ، وتردّ الى وطنك محبوًّا محبوراً ، قال فأقمت عنده ثم رأيت الناس

(١) النوكاء : الحمقاء (٢) سيف البحر ، بكسر السين ، ساحله

يرحلون الى الحج فحننت الى مكة وذكرت قول ابن أبي ربيعة وذكر الأبيات فأتيت باب معن فقلت للحاجب استأذن لى على الامير ، فلما دخلت عليه قال إن لك لحادثَ خبر! قلت أستودع الله الامير واستحفظه عليه ، قال وما هاج هذا منك ؟ فقلت رأيت خروج الناس الى الحج وذكرت قول عمر فحننت الى مكة ، فقال أنت وحنينك ، وان كنتُ بفراقك ضنينا ، وسيتبعك ما تحتاج اليه ، فسر مصاحَبا . قال فسرت الى رحلى فاتبعنى بمال وثياب ومطايا ودواب ، وسرت الى مكة من فورى — وكان عمر على غزله وما يذكره فى شعره عفيفا (حدّث المغيرة) ابن عبد الرحمن عن أبيه قال دخلت مع أبى مكة فجاءه عمر فسلم عليه وأنا غلام شاب وعلىّ جبة فجعل يأخذ بخصلة من شعرى فتمتدّ فى يده ثم يرسلها فترجع فيقول وا شباباه! فقال لى يا ابن أخى قد سمعت قولى: قلت لها وقالت لى. وكل مملوك لى حرّ إن كنت قط كشفت عن فرج حرام! قال فقمت وفى نفسى من يمينه شىء فسألت عن رقيقه فقيل لى: أما فى هذا الحول فسبعون. ويستحسن قول عمر فى المساعدة

وخِلٍّ كنت عينَ النصح منهُ * اذا نظرتْ ومستمعاً مطيعا
أطاف بغيّة فنهيت عنها * وقلت له أرى أمراً شنيعا
أردت رشادَه جهدى فلما * أبى وعصى أتيناها جميعا

وهذا مأخوذ من قول دريد بن الصِّمّة الجُشَمى (١)

أمرتهمُ أمرى بمنعرَج اللوى * فلم يستبينوا الرشدَ الاّ ضُحى الغدِ
فقلت لهم ظُنّوا بألفىْ مدجَّجٍ * سَراتهم فى الفارسىّ المسَرَّدِ
فلما عصونى كنت منهم وقد أرى * غواتهم وانى غير مهتدى
وما أنا الا من غزية إن غوت * غويت وان ترشُد غزية أرشُدِ

ومن جيد شعره

يقولون إنى لست أصدق فى الهوى * وإنىَ لا أرعاك حين أغيبُ

(١) يحسن الرجوع الى هذه القصيدة فى ديوان الحماسة باب المراثى فانها من اروع ماقال الشعراء

فما بال طرفى عفّ عما تساقطت * له أنفسٌ من مشعر وقلوبُ
عشيةَ لا يستنكر القوم أن يروا * سِفاهَ حجّى ممن يقال لبيب
ولا فتنة من ناسك أومضت لهُ * بعين الصبا كسلى القيام لعُوبُ
تروَّحَ يرجو ان تُحط ذنوبهُ * فآب وقد زيدت عليه ذنوبُ
وما النسك أسلانى ولكن للهوى * على العين منى والفؤاد رقيبُ

ونظر عمر بن أبى ربيعة الى فتى من قريش يكلم امرأة فى الطواف فعاب ذلك عليه، فذكر انها ابنة عمه ، فقال ذلك أشنع لأمرك ، قال إنى خطبتها الى عمى وانه زعم أنه لا يزوّجنى حتى أصدقها أربعمائة دينار وأنا غير قادر على ذلك وذكر من حاله وحبه لها .فأتى عمر عمه فكلمه فى أمرها فقال انه مملق ، فزوّجه وساق عمر عنه المهر . وكان عمر حين أسنّ حلف أن لا يقول بيتا الا أعتق رقبة فانصرف الى منزله يحدث نفسه فجعلت جاريته تكلمه ولا يجيبها فقالت إن لك لشأنا وأراك تريد أن تقول شعرا ، فقال

تقول وليدتى لما رأتنى * طربت وكنت قد أقصرت حينا
أراك اليوم قد أحدثت أمراً * وهاج لك الهوى داءً دفينا
وكنت زعمت أنك ذو عزاءٍ * اذا ما شئت فارقت القرينا
لعمرك هل رأيت لها سميًّا * فشاقك أم لقيت لها خدينا
فقلت شكى الىّ أخ محبٌ * كبعض زماننا إذ تعلمينا
فقص علىَّ ما يلقى بهندٍ * فذكّر بعض ما كنا نسينا
وذو الشوق القديم وان تعزى * مشوق حين يلقى العاشقينا
فكم من خُلّة أعرضت عنها * لغير قِلىً وكنت بها ضنينا
أردت بعادها فصددت عنها * وان جُنّ الفؤاد بها جنونا

ثم دعا تسعة من رقيقة فأعتقهم(قال عثمان بن ابراهيم) حججت أنا وأصحاب لنا فلما رجعنا من مكة مررنا بالمدينة فرأينا عمر بن أبى ربيعة وقد نسك وترك

قول الشعر ، فقال بعضنا لبعض : هل لكم فيه ؟ فملنا اليه ، وسلمنا عليه ، وجلسنا وهو ساكت لا يكلمنا . فقال له بعضنا أيعجبك قول الفرزدق

سرت لعينك سلمى بعد مغفاها * فبت مستلهياً من بعد مسراها
فقلت أهلا وسهلا من هداك لنا * إن كنت تمثالها أو كنت إياها
تأتى الرياح التى من نحو بلدتكم * حتى تقول دنت منا بريّاها
وقد تراخت بهم عنا نوًى قُذُفٌ * هيهات مُصبَحها من بعد مُمساها(١)
من أجلها أتمنى أن يلاقينى * من نحو بلدتها ناعٍ فينعاها
كيما أقول افتراق لا اجتماع لهُ * وتضمر النفس يأساً ثم تسلاها
ولو تموت لراعتنى وقلت لها * يابؤس للدهر ليت الدهر أبقاها

فلم يهش لذلك فقال الآخر أيعجبك قول العذرى

لو حزّ بالسيف رأسى فى مودتها * لمرّ يهوى سريعا نحوها راسى
ولو بَلِى تحت أطباق الثرى جسدى * لكنت أبلى وما قلبى لكم ناسى
أو يقبض الله روحى صار ذكركمو * روحا أعيش به ماعشت فى الناس
لولا نسيمٌ لذكراكم يروّحنى * لكنت محترقا من حرّ أنفاسى

فتحرك ثم قال : ياويحه أبعد ما يحز رأسه يميل اليها ؟ ثم أنشأ يحدثنا فقال أتانى خالد الدليل فقال ان هندا وأترابها بموضع كذا وكذا من الصحراء أيام الربيع فقلت كيف الحيلة ؟ فقال تتلثم وتكتفل كأنك طالب ضالة ، ففعلت فدُفعت اليهن ، فقلن يا أعرابى ما تطلب ، قلت ضالة لى ، فقلن قد كَلِلْت يا اعرابى ، فلو جلست فأصبت من حديثنا وأصبنا من حديثك ، ولعلك تروح الى وجود ضالتك ، فنزلت ، فلما امتدّ الحديث بنا حسرت هند اللثام ، وقالت أتراك خدعتنا ؟ نحن والله خدعناك ، وبعثنا اليك خالدا ، رأينا خلاء ومنظراً فأردناك ونظرت فى درعى فأعجبنى ما رأيت ، فقلت يا أبا الخطاب ؟ قال عمر فقلت لبيك وفى ذلك أقول

(١) نوى قذف : بعيدة

ألم تسأل الاطلال والمتربّعا * ببطن خليّات دوارس بلقعا
الى الصرح من وادى المغمّس بُدِّلت * معالمه وبلاً ونكباء زعزعا (١)
فيبخلن أو يخبرن بالعلم بعدما * تكأن فؤادا كان قِدْماً مُوجّعا (٢)
لهنـد وأتراب لهند اذ الهوى * جميـع واذ لم نخش أن يتصدّعا
واذ لا نطيع العاذلين ولا نرى * لواش لدينا يطلب الهجر مطمعا
واذ نحن مثل المـاء كان مزاجه * كما صفّق الساقى الرحيق المشعشعا
تنوحين حتى عاود القلبَ خبلهُ * وحتى تذكرت الحبيب المودّعا
فقلت لِمُطريهنّ بالحسن انمـا * ضَررْتَ فهل تستطيع نفعاً فتنفعا
وأشريت فاستشرى وقد كان قد صحا * فؤاداً بأمثال المها كان مولعا (٣)
لئن كان ما حدثت حقا فما أرى * كمثل الألى أطريت فى الناس أربعا (٤)
فقال فقم فانظر فقلت وكيف لى * أخاف حديثا أن يشاع فيشنُعا
فقال اكتفل ثم التثم فأت باغيا * فسلم ولا تكثر بأن تتورّعا
فأقبلت أهوى مثل ماقال صاحبى * لموعدهِ أبغى قلوصا موقّعا (٥)
فلمـا تواقفنا وسلّمت أقبلت * وجوه زهاها الحسن أن تتقنعا
تباهلن بالعرفان لمـا رأينى * وقلن امرؤٌ باغٍ أكلَّ وأوضعا (٦)
وقرّبن أسباب الهوى لمتيمٍ * يقيس ذراعاً كلمـا قِسْنَ أصبعا
فلما تنازعن الأحاديث قلن لى * أخِفت علينا أن نُغَرّ ونُخدَعا
فبالأمس أرسلنا بذلك خالداً * إليك وبيناً له الأمر أجمعـا

(١) نكباء زعزع : ريح شديدة (٢) تكأ الجرح أصابه من جديد (٣) أشريته فاستشرى : هجته فهاج ، وشرى الشر ، على وزن رضى ، استطار . وشرى زيد غضب ولج ، ومثله استشرى ، ومنه الشراة للخوارج ، سموا بذلك للجاجتهم وإمعانهم فى الخروج ، لا لأنهم شروا أنفسهم وباعوها فى الطاعة كما وهم بعض الناس (٤) الاطراء : المبالغة فى الثناء (٥) الموقع : البعير تكثر عليه آثار الدبر (٦) أكل راحلته وأوضعها : اتعبها واجهدها

فما جئتنا الا على وَفْق موعدٍ * على ملأٍ منا خرجنا له معا
رأينا خلاءً من عيون ومنظراً * دميث الرُّبى سهل المحلة مُمْرعا
وقلن كريمٌ نال وصل كرائمٍ * فحق له فى اليـوم أن يتمتعا

وقوله : (وجوه زهاها الحسن أن تتقنعا) يقول هذه الوجوهُ مدلة بجمالها فلا تختمر فتستر شيئاعن الناظرين اليها ، وقد أشار الى هذا المعنى الشماخ بن ضِرار يصف ناقته :

كأنَّ ذراعيهـا ذراع مُدلة * بُعَيْد الشباب حاولت أن تعـذَّرا
من البيض أعطاها اذا اتصلت دعَتْ * فِراس بن غنم أو لقيط بن يَعْمُرا
بها شَرَقٌ من زعفران وعنبرٍ * أطارت من الحسن الرداء المحبرا

عائشة بنت طلحة

قال وكانت عائشة بنت طلحة بن عبيد الله لا تستر وجهها ، فلما دخلت على مصعب بن الزبير قال لها فى ذلك ، فقالت ان الله تعالى وسمنى بميسم جمال فأحببت أن يراه الناس ، والله مابى وصمة أستتر لها

وقال على بن العباس الرومى يصف قينة :

لم يعتصم عودها بزامرةٍ * ولا انضوى وجهها الى السِّتر

وقد ردد معنى قوله لم يعتصم عودها بزامرة فقال يصف برعة الـكبيرة :

غنّتْ فلم تحوج الى زامر * هل تحوج الشمس الى شمعه
كانما غنت لشمس الضحى * فألبستها حُسنها خِلْعـه
كأنما رنّة مسموعها * رقة شكوى سبقت دَمْعه
تبدى الى قلبك ما يشتهى * كأنها قد أطلعت طلعـه
يجتمع الظرف لُجـلاَّسِها * والحسن والاحسان فى بُقْعه

طَفِّل على من حصلت عندهُ * فبعض تطفيل الفتى رفعه[1]
ربيع غيث فانتجع روضَهُ * فلن يُعابَ الحر بالنُّجعه[2]

عمامة ابن الرومى

وكان ابن الرومى لا يزال معتمًّا وكان يغضب اذا سئل عن ذلك. وسأله بعض الرؤساء لم تعتَم؟ فقال بديها :

يا أيها السائلى لأخبرَهُ * عَنى لِمْ لا أراك معتجرا
أسترشيئا لو كان يمكننى * تعريفه السائلين ماستُرا

وقد بين العلة التى أوجبت اعتمامه فى قوله :

تعممت إحصاناً لرأسى بُرْهةً * من القَرّ يوما والحَرُور اذا سفَعْ
فلما دهى طول التعمم لِمّتى * وأودى بها بعد الاطالة والفرع
عزمت على لبس العمامة حيلةً * لتستر ماجرّت علىَّ من الصَّلَع
فيالك من جانٍ علىَّ جنايةً * جعلت اليه من جنايته الفَزَع
وأعجب شئ كان دائى جعلتهُ * دوائى على عمد وأعجبْ بأن نفع

وهذا كقوله وان لم يكن فى معناه وقد رأيت من ينسبه الى كشاجم

طربت الى المرآة فروّعتنى * طوالع لشيبتين ألمّتا بى
فأما شيبةٌ ففزعت منها * الى المقراض حباً للتصابى
وأما شيبة فصفحت عنها * لتشهد بالبراءة من خضابى
فأعجبْ بالدليل على مَشيبى * أقمت به الدليل على شبابى

وهو القائل فى صفة رجل أصلع

يجذب من نقرته طُرةً * الى مدى يقصر عن ميلهِ
فوجهه يأخذ من رأسهِ * أخذ نهار الصيف من ليلهِ

(١) التطفيل: غشيان الوليمة من غير دعوة (٢) النجعة: الارتحال فى سبيل الكلأ

وقال اعرابى

قد ترك الدهر صَفاتى صفصفا * فصار رأسى جبهة الى القفا [1]

كأنه قد كان ربعاً فعفا

سليمان بن عبد الملك

قال أعرابي لسليمان بن عبد الملك : إنى أكلمك يا أمير المؤمنين بكلام فاحتمِله ، فانَّ وراءه إن قبلته ما تحبه ، قال هاتِهِ يا أعرابى ، فنحن نجود بسعة الاحتمال على من لا نأمن غيبته ، ولا نرجو نصيحته ، وأنت المأمون غيبا ، الناصح جيبا [2] قال فانى سأطلق لسانى بما خرست عنه الألسن ، تأديةً لحق الله تعالى ، إنه قد اكتنفك رجال أساؤا الاختيار لأنفسهم ، وابتاعوا دنياك بدينهم ، ورضاك بسخط ربهم ، وخافوك فى الله ولم يخافوا الله فيك ، فهم حرب للآخرة ، وسلم للدنيا ، فلا تأمنهم على ما ائتمنك الله عليه ، فانهم لم يألوا الأمانة تضييعا ، والأمة كَسْفاً وخَسْفا ، وأنت مسؤل عما اجترموا ، وليسوا مسؤلين عما اجترمت ، فلا تصلح دنياهم بفساد آخرتك ، فان أعظم الناس عند الله غبناً من باع آخرته بدنيا غيره ، فقال سليمان: أما أنت يا اعرابى فقد سلمت لسانك وهو سيفك ، قال أجل يا أمير المؤمنين لك لا عليك (وروى) العتبى عن أبيه عن مولى لعمرو بن حريث قال : شخصت الى سليمان بن عبد الملك فقيل لى انك ترد على أفصح العرب وسيسألك عن المطر فانظر ما تجيبه ، فقلت ما عندى من الجواب الا ما عند العامة فقيل لى ما ذلك بمقنع عنده ، فلقينى اعرابى فقلت هل لك فى درهمين ؟ فقال انى والله محتاج اليهما ، حريص عليهما ، فما شأنك ؟ قلت لو سألك سائل عن هذا المطر بمَ كنت تجيبه ؟ قال أو يعيا بهذا أحد ؟ قلت نعم سائلك ! قال : أتعيا أن تقول : أصابتنا سماء ، عمد لها الثرى ، واتصل بها العرى ، وقامت منها الغُدُر ،

(١) الصفاة : الصخرة ، والمراد بها حال المرء (٢) نصح الجيب : كناية عن سلامة الطوية

وأنتك فى مثل وجار الضبع .فكتبت الكلام وأعطيته درهمين فكان هجّيراى على الراحلة [١] فاذا نزلت أقبلت عليه وأمثل نفسى كأنى واقف بين يديه وقد سلمت عليه بالخلافة وهو يسألنى عن المطر: فلما انتهيت اليه سألنى فاقتصصت الكلام فكسر إحدى عينيه ، وقال : إنى لأسمع كلاما ما أنت بأبى عُذْرته [٢] قلت صدقت وحياتك ياأمير المؤمنين اشتريته بدرهمين ! فاستغرب ضحكا ثم أحسن صلتى

وصف رجل ماجد

وقال اعرابى يمدح رجلا

حليمٌ مع التقوى شجاعٌ مع الجدَى * نَدٍ حين لا يَنْدَى السحابُ سَكُوبُ
ويجلو أمورا لو تضيَّفنَ غيرَهُ * لمـات خفاتاً أو لـكاد يذوبُ
شديد مَناط القلب فى الموقف الذى * به لقلوب العالمين وجيبُ
فتى هو من غير التخلّق ماجدٌ * ومن غير تأديب الرجال أديبُ

وقال بعض المحدثين يمدح

فتًى يجعل المعروف قبل سؤاله * ويجعل دون العذر فضل التكرُّمِ
أغرّ متى تقصد به فضل حظهِ * تصب ومتى تطلب به الغنم تغنمِ
على رأيه ينضم منصدع الصفا * ويَنحلّ من عقد العُرى كل مُبْرَمِ
له عزمة أغنى من الجيش فى الوغى * وخطرة رامٍ كالحسام المصمّمِ

(١) كان هجيراه على الراحله : أى لم يزل يكرره وهوسائر (٢) ليس بأبى عذرته : ليس صاحبه ، والعذر ، أو العذرة ، البكارة ، وهو أبو عذر هذا الكلام أى أول من افتض بكارته ، يعنى انه مبدعه

البديع الهمذانى

(جملة من كلام أبى الفضل احمد بن الحسين الهمذانى بديع الزمان) وهذا اسم وافق مسماه ، ولفظ طابق معناه ، وكلام غض المكاسر ، أنيق الجواهر ، يكاد الهواء يسرقه لطفا ، والهوى يعشقه ظرفا ، ولما رأى أبا بكر محمد بن الحسين ابن دريد الأزدى أغرب بأربعين حديثا ، وذكر أنه استنبطها من ينابيع صدره واستنخبها من معادن فكره ، وأبداها للابصار والبصائر ، وأهداها للافكار والضمائر ، فى معارض عجمية ، والفاظ حوشية ، فجاء أكثر ما أظهر تنبو عن قبوله الطباع ، ولا ترفع له حجبها الا سماع ، وتوسع فيها ، إذ صرّف الفاظها ومعانيها ، فى وجوه مختلفة ، وضروب متصرّفة ، عارضها بأربعمائة مقامة فى الكُدْيَة ، تذوب ظرفا وتقطر حسنا ، لا مناسبة بين المقامتين لفظا ولا معنى ، وعطف مساجلتها ، ووقف مناقلتها ، بين رجلين سمى أحدهما عيسى بن هشام والآخر أبا الفتح الاسكندرى ، وجعلهما يتهاديان الدر ، ويتنافثان السحر ، فى معان تضحك الحزين ، وتحرك الرصين ، يتطلع منها كل طريفة ، ويوقف منها على كل لطيفة ، وربما أفرد أحدهما بالحكاية ، وخص أحدهما بالراوية ، وسأذكر منها مالا يخل طوله بالشرط المعقود ، ولا ينافى حصوله الغرض المقصود

كتابه الى أبى نصر الميكالى

كتب الى أبى نصر احمد بن على الميكالى : كتابى أعز الله الأمير ، وبودى أن أكونه ، فأسعد به دونه ، ولكن الحريص محروم ، لو بلغ الرزق فاه ، لولاّه قفاه ، فرّق الله بين الأيام ، تفريقها بين الكرام ، وألهمها أن تورد بعقل ، وتُصدر بتمييز ، وما ذلك على الله بعزيز ، وأنا فى مفاتحة الأمير ، بين ثقة تَعِد ، ويد ترتعِد ، ولم لا يكون ذلك ؟ والبحر وان لم أره ، فقد سمعت خبره

ومن رأى من السيف أثره ، فقد عاين أكثره والليث وان لم ألقه ، فلم أجهل خُلقه ، وما وراء ذلك من تالد أصل وحسب ، وطارف فضل وأدب ، وبعد همة وصيت ، فمعلوم تشهد به الدفاتر ، والخبر المتواتر ، وتنطق به الاشعار ، كما تصدق به الآثار ، والعين أقل الحواس ادراكا ، والأذن أكثرها استمساكا ، وان بعدت الدار فلا ضير : إن أيسر البعدين ، بعد الدارين ، وخير القربين ، قرب القلبين (وكتب إليه فى سنة ثلاث وثمانين وثلثمائة) الأمير الفاضل ، والشيخ الرئيس ، رفيع مناط الهمة ، بعيد مثال الحرمة ، فسيح مجال الفضل ، رحيب منخرق الجود ، رطيب مكسر العود

فلو نظمت الثريا * والشِّعريَيْن قريضا
وكامل الأرض ضربا * وشعب رضوى عروضا
وصُغت للدر ضدا * وللهواء نقيضا
بل لو جلوت عليهِ * سُود النوائب بِيضا
أو ادّعيت الثريا * لأخمصيه حضيضا
والبحر عنـد لهاه * يوم العطاء مغيضا

لما كنت الا فى ذمة القصور ، وجانب التقصير ، فكيف وأنا قاعد الحالة فى المدح ، قاصر الآلة عن الشرح ، ولكنى أقول : الثناء مُنجحٌ أنى سلك ، والسخىُّ جوده بما ملك ، وإن لم تكن غُرّةٌ لائحة فلمحة دالة ، وان لم يكن صَدّاء فماء (١) وان لم يكن خمر نخل ، وان لم يصبها وابل فطل ، وبذل الموجود غاية الجود ، وبعض الجهد آخر المجهود ، وماش خير من لاش (٢) ووجود ماقل ، خير من عدم ماجل وقليل فى الجيب ، خير من كثير فى الغيب ، وجهد المقِل ، خير من عذر المخِل ،

(١) صداء : ماء يضرب به المثل فى الحلاوة ، ويقال : ماء ولا كصداء
(٢) لاش : لاشىء ، ويقابله ماش ، وهى عبارة مولدة

وحمار أيس . خير من فرس لَيْس [١] وكوخ فى العِيان، خير من قصر فى الوهم ، وزيت ، خير من ليت ، وما كان ، أجود من لو كان ، وقد قيل : عصفور فى الكف أجود من كركى فى الجو ، ولأن تقطف، خير من أن تقف ، ومن لم يجد الجميم ، رعى الهشيم [٢] ومن لم يحسن صهيلا نهق ، ومن لم يجد ماء تيمّم ، والأمير الرئيس أدام الله نعماه ، لاينظر فى قوافى صنيعته إلى ركاكة ألفاظها ، وبعد أغراضها ولكن إلى كثرة جَذرها ، وثقل مهرها ، وقلة كفؤها [٣] ، وانى منذ فارقت قصبة جرجان ، ووطئت عتبة خراسان ، مازفتها إلا اليه ، ولا وقفتها الا عليه ، هذا على تمرغى فى أعطاف المحن ، وضرورتى الى ابناء الزمن ، وان كان الامير الرئيس يرفع لكل لفظ حجاب سمعه ، ويفسح لكل شعر فِناء طبعه ، فهاك من النثر ما ترى ، ومن النظم مايترى

أدهق الكاس فعرف الفجـــر قد كاد يلوحُ
فهو للناس صباحٌ * ولذى الرأى صبوحُ
والذى يمرح بى فى * حلبة اللهو جموح
فاسقنيها والأمانىُّ * لها عَرف يفوحُ
ان للأيام أسرا * رآ بها سوف تبوحُ
لايغرنّك جسمٌ * صادق الحس وروح
انما نحن الى الآجا * ل نغدو ونروح
ويْك هذا العمر تبريـ * ـحُ وهذا الروح ريحُ
بينما أنت صحيح الجـ * ـسم اذ انت طريح
فاسقنيها مثل مايلـ * ـفظه الديك الذبيح
قبل ان يضرب فى العُمْـ * ـرِ بِى القدح السنيح

(١) الأيس : القهر ، يريد أن حمار الضرورة خير من الفرس المعدوم
(٢) الجميم : النبت الغزير ، والهشيم اليابس (٣) الجذر ما تكافأ به المغنية

انما الدهر غَرورٌ * ولمن أصغى نصيحُ
ولسان الدهر بالوعـ ـظ لواعيه فصيحُ
نستبيح الدهر والايا م منا تستبيح
نحن لاهون وآجا * ل المنايا لاتريح
ياغلام الكأس فالياً س من الناس مُريحُ
ضاع مانحميه من * أنفسنا وهو مبيح
وقنوعا فمقام الذلّ * بالحرء قبيح
أنا يادهر بأبنا * ئك شقٌّ وسَطيح (١)
وبأبكار القوافى * لا على كفوء شحيح
يابنى ميكال والجو * د لعلاّتى مزيح
شرفاً ان مجال الا فضل فيكم لفسيح
وعلى قدرسنا الممدو ح يأتيك المديح
فهناك الشرف الار * فع والطرف الطموح
والندى والخُلق انط اهر والخلق الصبيح
مرتقى مجد يحار الطر ف فيه ويطيح
أى هذا الكرم الما ثل والخلق السجيح
كان هذا الجود ميتاً * عاده منك المسيح

(هذه) أطال الله بقاء الأمير ، هدية الوقت ، وعفو الساعة ، وفيض البديهة ، ومسارقة القلم ، ومسابقة اليد للفم ، وجمرات الحدة ، وثمرات المدة ، ومجاراة الخاطر للناظر ، ومباراة الطبع للسمع ، ومجاذبة الجنان للبيان ، والشعر اذا لم تتقدمه روية ، ولم تنضجه نية ، لم يفتح له السمع بابه ، ولم يرفع له القلب حجابه ، واذا لبس الأمير هذه على علاتها رجوت أن يكون بعدها ما هو أفتن ، وأحسن ، وأرصن ، فرأيه أيده الله فى الوقوف عليها موفق ان شاء الله

(١) شق وسطيح : كاهنان يضرب بهما المثل فى معرفة الغيب

عتابه للميكالى

وله اليه معاتبة

أبن ساءنى أن نلتنى بمساءةٍ * لقد سرّنى انى خطرت ببالكِ

الامير الفاضل ، الشيخ الرئيس ، أطال الله بقاه ، الى آخر الدعاء ، فى حال برّه وجفائه متفضل ، وفى يومَىْ إبعاده وإدنائه متطوّل . وهنيئاً له من حِمانا ما يحُله ، ومن عُرانا ما يحُله ، ومن أعراضنا ما يستحله ، بلغنى أنه أدام الله عزه استزاد صنيعته ، وكنت أظننى مَجْنِيًّا عليه ، مُساءً اليه ، فاذا أنا فى قرارة الذنب ، ومثارة العتب ، وليت شعرى أى محظور فى العشرة حضرته ، أو مفروض من الخدمة رفضته ، أو واجب فى الزيارة أهملته ، وهل كنت الا ضيفاً أهداه بلدٌ شاسع ، وأداه أملٌ واسع ، وحداه فضل وإن قل ، وهداه رأى وإن ضل ، ثم لم يُلق إلا فى آل ميكال رحله ، ولم يصل الا بهم حبله ، ولم ينظم الا فيهم شعره ، ولم يقف إلا عليهم شكره ، ثم ما بعدت صحبة الا دنت مهانة ، ولا زادت حرمة الا نقصت صيانة ، ولا تضاعفت مِنّة ، الا تراجعت منزلة ، ولم تزل الضعة بنا حتى صار وابل الإعظام قطرة ، وعاد قميص القيام صِدْرة ، وذلك التقرب ازورارا ، وطويل السلام اختصارا ، والاهتزاز ايماء ، والعبارة اشارة ، وحين عاتبته آمُل إعتابه ، وكاتبته أنتظر جوابه ، وسألته أرجو إيجابه ، أجاب بالسكوت ، وأعتب بالقنوت ، فما ازددت الا له ولاء ، وعليه ثناء ، لا جَرَم انى اليوم ابيض وجه العهد ، واضح محجة الودّ ، طويل عنان القول ، رفيع حكمة العذر ، وقد حمّلت فلاناً من الرسالة ما تجافى عنه القلم ، والامير الرئيس أطال الله بقاءه ينعم بالاصغاء لما يورده موفقاً ان شاء الله

(وله اليــه فى هذا الباب) أنا فى خدمة الامير الرئيس ، أطال الله بقاءه ، مترجّح بين أن أشربها رنقة ولا أسيغها ، وألجلج منها مضغة ولا أجيزها ، وبين

أن أطويها على غرّها . ولا أرتضع أخلاف درّها

فلا نفسى تطاوعنى لرفضٍ * ولا همى توطننى لخفضِ

وبقى أن أقرصه بأناملِ العتب ، وأجمشه بألحاظ العذل ، وأعرفه انى ما أطوى مسافة مزار الا متجشما ، ولا أطأ عتبة دار الا متبرما ، ولست كمن يبسط يده مستجديا ، أو ينقل قدمه مستعديا ، فان كان الأمير الرئيس أيده الله يسرح طرفه منى فى طامح ، أو طامع ، فليعد للفراسة نظرا

فماالفقر من أرض العشيرة ساقنا * اليك ولكنا بقربكَ ننجحُ

وأجدنى كلما استفزنى الشوق الى تلك المحاسن ، أطير إليها بجناحين عجلا وأرجع بعرجاوين خجلا ، ولولا أن الرضى بذلك ضرب من سقوط الهمة ، وأن العتاب نوع من أنواع الخدمة ، لصنت مجلسه عن قلمى ، كما أصونه عن قدمى ولملت إلى أرض الدعاء فهو أنجع ، وإلى جانب الثناء فهو أوسع ، وسأفعل لتخف مؤنتى ، ولا تثقل وطأتى

اذا ما عتبت فلم تُعتِبِ * وهنت عليك فلم تُعنَ بى[1]

سلوت فلو كنت ماء الحياة * لعِفت الورود ولم أشربِ

ان من الشعر لحكمة

(قطعة من مفردات الأبيات لأهل العصر فى معان شتي تجرى مجرى الأمثال)

أبو فراس الحمدانى

اذا كان غير الله للمرء عُدَّةً * أتته الرزايا من وجوه المكاسبِ

وله

عفافك عِيٌّ انما عفة الفتى * اذا عفّ عن لذاته وهو قادرُ

(١) أعتبه : أزال عتبه

وقال المتنبي

كلُّ حلمٍ أتى بغير اقتدارٍ * حجةٌ لاجئٌ إليها اللئامُ

وله واذا كانت النفوس كباراً * تعبت فى مرادها الأجسامُ

وله وإذا أتتك مذمتى من ناقصٍ * فهى الشهادة لى بأنى كاملُ

وله لايُعجبنَّ مضيما حسن بزتهِ * وهل تروق دفيناجودةالكفنِ

وله من أطاق التماس شئ غلاباً * واغتصاباً لم يلتمسه سؤالا

وله والظلم من شيم النفوس فان تجد * ذا عفةٍ فلعِلّةٍ لا يظلمُ

وله ماذا لقيت من الدنيا وأعجبهُ * انى بما أنا باكٍ منه محسودُ

وله ذكر الفتى عمره الثانى وحاجته * ماقاته وفضول العيش أشغالُ

(والمتنبى) أكثر المحدثين افتناناً واحساناً فى الاغراب بهذا الباب، والاستقصاء يخرج عن شرط الكتاب

وقال السرى الموصلى

خذوا من العيش فالأعمار فائتةٌ * والدهر منصرمٌ والعيشُ منقرضُ

وله

فانك كلما استُودِعتَ سرًّا * أنمُّ من النسيم على الرياضِ

وقال أبو اسحق الصابي

الضب والنون قد يرجى التقاؤهما * وليس يرجى التقاء اللبِّ والذهبِ

وقال ابن نباتة

مثلٌ خلعت على الزمان رداءهُ * عَوَز الدراهم آفة الأجوادِ

وله

يهوى الثناء مبرِّزٌ ومقصرٌ * حب الثناء طبيعة الانسانِ

وقال أبو الحسن السلامى

تبسّطنا على اللذات لمّـا * رأينا العفو من ثمر الذنوبِ

وقال ابن لنكك البصرى

وماذا أرجّى من حياة تكدّرتْ * ولو قد صفَتْ كانت كأحلام نائمِ

وقال أبو طالب المأمونى

لى فى ضمير الدهر سرٌّ كامنٌ * لابدّ أن تستلّه الأقدارُ

وقال أبو الفضل بن العميد

الرأى يصدأ كالحسام لعارضٍ * يطرا عليه وصقله التذكيرُ

وقال أبو الفتح

بطرِتم فطرتم والعصا زَجْرٌ من عصى * وتقويم عبد الهُون بالهُون رادعُ

وله إذا بلغ المرء آمالهُ * فليس له بعدها مقترَحْ

وقال الصاحب اسماعيل بن عباد

إنأم الصقر فى الودّ * لِقَـــــــــلاتٌ نزورُ

وله من لم يعدنا إذا مرضنا * إن مات لم نشهد الجنازه

وله حفظ اللسان راحة الانسانِ * فاحفظه حفظ الشكر للاحسانِ

وقال اسماعيل الناشى

وكنت أرى أنّ التجارب عُدّةٌ * فخانت ثقات الناس حتى التجارب

وقال أبو الفتح البستى

لاترجُ شيئاً خالصاً نفعُهُ * فالغيث لا يخلو من العيثِ

وله ولم أر مثل الشكر جنة غارسٍ * ولامثل حسن الصبر جُنّة لابسِ

وله وطول مُقام الماء فى مستقرّهِ * يغيره ريحا ولوناً ومطعما

وله ما استقامت قناة رأيىَ إلا * بعد ما عوّج المشيب قناتى

وقال أبو الفضل الميكالى

هو الشوك لا يعطيك وافرِ منةٍ * يدَ الدهر إلا حين تضربه جَلْدَا

وله ذو الفضل لا يسلم من قَدْحٍ * وان غدا أقوم من قِدْحِ

وقال شمس المعالى

وفى السماء نجوم مالها عددٌ * وليس يكسف الا الشمس والقمر

هذا مأخوذ من قول الطائى

ان الرياح اذا ما استعصفت قصفتْ * عيدان نجْدٍ فلم يعبأن بالرَتَمِ(١)

بنات نعش ونعش لا كسوف لها * والشمس والبدر منها الدهر فى الرقم

وقال أبو الحسن على بن عبد العزيز القاضى

الهجر أروح من وصل على حذرٍ * والموت أطيب من عيش على غَرَرِ

وقال أبو بكر الخوارزمى

لاتغرنْك هذه الاوجه الغرُّ * فيارُبَّ حيةٍ فى رياضِ

أبو العيناء

قال أبو العناء كان عيسى بن فرخان شاه يتيه علىَّ فى ولايته الوزارة ، فلما صُرف رهبنى ، فلقينى فسلم علىّ فأحفى. فقلت لغلامى من هذا؟ قال أبو موسى فدنوت منه وقلت : أعزك الله ، والله لقد كنت أقنع بإيمائك ، دون بيانك ، وبلحظك ، دون لفظك ، فالحمد لله على ما آلت اليه حالك ، فلئن كانت أخطأت فيك النعمة ، فلقد أصابت فيك النقمة ، ولئن كانت الدنيا أبدت مقابحها بالاقبال عليك ، لقد اظهرت محاسنها بالانصراف عنك ، ولله المنة اذ أغنانا عن الكذب عليك ، ونزهنا عن قول الزور فيك ، فقد والله أسأت حمل النعم ، وماشكرت حق المنعم ، فقيل له ياأبا عبد الله لقد بالغت فى السب ، فما كان الذنب؟ قال سألته حاجة أقل من قيمته ، فردنى عنها بأقبح من خلقته

(١) الرتم : نبت ضعيف

أبو الصقر

وقال على بن العباس الرومى لابى الصقر اسماعيل بن بلبل لما نكبه الموفق أبو احمد وألمّ فى بعض قوله بقول أبى العيناء

لازال يومك عِبرةً لغدكْ * وبَكَت بشجوٍ عين ذى حَسَدِكْ
فلئن نكبت لطالما نكبتْ * بك هِمةٌ لجأت الى سَنَدِكْ
لوتسجد الايام ماسجدتْ * إلاّ ليوم فَتَّ فى عَضُدِكْ
يانعمةً ولّت غضارتها * ما كان أقبح حسنها بيدكْ
فلقد غدت بَرْداً على كبدى * لما غدت حَرًّا على كبدكْ
ورأيت نعمى الله زائدةً * لما استبان النقص فى عددكْ
ولقد تمنت كل صاعقةٍ * لو أنها صُبّت على كتدكْ (١)
لم يبق لى مما برى جسدى * الابقاء الروح فى جسدكْ

وله فيه أهاج كثيرة لما نكب ، منها قوله

خفِّض أبا الصقر فكم طائرٍ * خَرَّ سريعاً بعد تحليقِ
زُوّجت نعمى لم تكن كفأها * فصانها الله بتطليق
لاقُدّست نعمى تسربلتها * كم حجةٍ فيها لزنديق (٢)

وكان أبو الصقر للولى الوزارة مدحه ابن الرومى بقصيدته النونية التى أولها

أجْنَينك الوردأغصانٌ وكُثْبان * فيهن نوعان تُفّاحٌ ورمّانُ
وفوق ذينك أعنابٌ مهدّلةٌ * سُودٌ لهن من الظلماء ألوانُ
وتحت هاتيك عناب تلوح بهِ * أطرافهن قلوب القوم قنوان

---

(١) الكتد : مجتمع الكتفين (٢) يريد أن النعم التى تسربلها هذا الرجل وليس لها بأهل ، قوت حجة الزنادقة فى جحود الاٰله ، لانه لو كان هناك عدالة إلٰهية لحيل بين اللئام و بين جميع الطيبات

غصون بانٍ عليها الدهرَ فاكهةٌ * وما الفواكه مما يحمل البانُ
ونرجس بات ساري الطل يضربهُ * وأقحوان منير اللون ريّانُ
ألفنّ من كل شيء طيب حسَنٍ * فهنّ فاكهة شتّىً وريحانُ
ثمار صدق اذا عاينت ظاهرها * لكنها حين تبلو الطعم خُطبان[1]
ولا يَدُمْنَ على عهدٍ لمعتقدٍ * والغانيات كما شُبِّهن بُستان
يميل طوراً بحمل ثم يُعْدَمُهُ * ويكتسي ثم يُلْفَى وهو عُرْيانُ

وهي أكثر من مائتي بيت مرَّ له فيها احسان كثير ، فأنشدها أبا الصقر ، فلما سمع قوله

قالوا أبو الصقر من شيبان قلت لهم * كلا لعمري ولكن منه شيبانُ

قال هجاني ، قيل له إن هذا من أحسن المدح ألا تسمع مابعده

وكم أبٍ قد علا بابنٍ ذُرَى شرفٍ * كما علت برسول الله عدنانُ

قال أنا بشيبان لا شيبان بي. فقيل له فقد قال

ولم أقصِّر بشيبان التي بلغت * بها المبالَغ أعراقٌ وأغصانُ
لله شيبان قوم لا يشوبهُمُ * رَوْعٌ اذا الروع شابت منه ولدان

فقال لا والله لأثيبه على هذا الشعر ، وقد هجاني . قال أبو بكر محمد بن يحيى الصولي: كنت يوما عند عبيد الله بن عبد الله بن طاهر وقد ذكروا قصيدة ابن الرومي هذه النونية فقال : هذه دار البطيخ فاقرؤا تشبيهاتها تعلموا ذلك ! فضحك جميع من حضر

وفي هذه القصيدة يقول من المختار في النسيب

يارُبَّ حُسّانةٍ منهن قد فعلت * سوءا وقد يفعل الأسواء إحسانُ
تشكى المحب وتلفى الدهر شاكيةً * كالقوس تصمى الرمايا وهي مرنانُ[2]

(١) الخطبان : نبات مر ، يضرب به المثل فيقال : أمر من نقيع الخطبان . وهو بضم الخاء المعجمة (٢) تشكى المحب : تحمله بظلمها على الشكاية — والرمايا جمع رمية ، بمعنى مرمية ، وتصمى تقتل وتبيد

وهذا كقوله فى قصيدة يصف فيها قوس البندق

لهارَنّة أولى بها من تصيبهُ * وأجدر بالإعوال من كان مُوجَعا

يقول فيها

لاتلحيانى وإياها على ضَرَعى * وزهوها جَنّ مفنون وفتّانُ

إنى مُلِكت فبى للرق مسكنةٌ * ومُلِكت قلها بالمُلْك طُغيان

لى مذنأت وجنة ريّا بمشربها * من عبرتى وفمٌ ماعِشت ظمآنُ

وفيها فى مدح بنى شيبان

قومٌ سماحتهم غيثٌ ونجدتُهم * غوثٌ وآراؤهم فى الخطب شُهْبان

تلقاهُمُ ورماح الخط حولهُمُ * كالأُسد أنبسها الآجام خفّان (١)

صانوا النفوس عن الفحشاء وابتذلوا * منهنّ فى سُبُل العلياء ماصانوا

المنعمون وما منّوا على أحدٍ * يوما بنعمى ولو منوا لما مانوا

يقول فيها فى أبى الصقر

يفديه من فيه عن مقدار فديتهِ * عن المفاداة تقصير ونقصانُ

قومٌ كأنهُمُ موتى اذا مُدِحوا * ومالهم من حبير الشعر أكفان

صاحى الطباع اذا سالت هواجسُه * وان سألت يديه فهو نشوانُ

يُصحيه ذهنٌ ويأبى صحوهُ كرمٌ * مستحكم فهو صاح وهو سكرانُ

فردٌ جميعٌ يراه كل ذى بصرٍ * كأنه الناس طرّاً وهو إنسانُ

وهذا كقول أبى الطيب

ولقيت كل الفاضلين كأنما * ردّ الإله نفوسهم والاعصرا

نسقوا لنا نَسَق الحساب مقدّما * وأتى فذلك اذ أتيت مؤخرا

وقد تقدم . وقال

فان يك سيار بن مكرم انقضى * فانك ماء الوردإن ذهب الوردُ

(١) خفان ، بفتح الخاء المعجمة ، أجمة فى سواد الكوفة

مضى وبنوهُ وانفردتَ بفضلهم * وألفٌ اذا ما جُمِّعَت واحدٌ فردُ

وقال البحترى

ولم أر أمثال الرجال تفاوتاً * لدى المجد حتى عُدَّ ألفٌ بواحدِ

ومدحه وعاتبه بقصائد كثيرة فما أنجحت ، فمن ذلك قوله فى قصيدة طويلة يمدحه

فى وجهه روضة للحسن مُونِقَةٌ * مارادفى مثلهاطرفٌ ولاسرحا(١)

طَلُّ الحياء عليهـا ساقطٌ أبداً * كاللؤلؤ الرطب لو رقرقته سفحا

أنا الزعيم لمـكحول بغرتهِ * أن لا يرى بعدها بؤساً ولا تَرَحا

مهما أتى الناس من طَوْلٍ ومن كرم * فانما دخلوا الباب الذى فتحا

يعطى المزاح ويعطى الجد حقهما * فالموت إن جدّ والمعروف إن مزحا

وافى عطارد والمريخ مولدهُ * فأعطياه من الحظين ما اقترحا

ان قال لا قالها للآمريهِ بهـا * ولم يقلها لمن يستمنح المِنحا

فى كفهِ قلمٌ ناهيك من قلمٍ * نُبْلاً وناهيك من كف بما اتّشحا

يمحو ويثبت أرزاق العباد بهِ * فما المقادير الا ما محا ووحَى(٢)

كأنمـا القلم العلوىّ فى يدهِ * يجريه فى أى أنحاء البلاد نحا

لمـا تبسم عنك المجد قلت لهُ * قهقهْ فلا نَغَلاً تبدى ولا قَلَحا(٣)

أثنى عليك بنعماك التى عظمت * وقد وجدت بها فى القول منْفَسَحا

أمطر بذاك جنابى تكسه زَهَراً * أنت المحيّا بريّاد إذا نفحا

أنشدتها على توالى الاختيار وكذلك أجرى فى كثير من الاشعار

(١) راد وارتاد معناهما واحد (٢) وحى وحيا : كتب ، قال رؤبة « لقدر كان وحاه الواحى » (٣) النغل والقلح : فساد الاسنان

عتاب ابن الرومى لابى الصقر

وقال يعاتبه ويستبطئه

عَقِيدَ الندى أطلق مدائح جمةً * حبائسَ حَسْرى قد أبت أن تُسَرَّحا
وكنت متى تنشد مديحاً ظلمتهُ * يُرى لك أهجى ما يُرى لك أمدحا
عذرتك لو كانت سماءً تقشَّعت * سحائبها أو كان روض تصوَّحا
ولكنها سُقْيا حرمت رَوِيَّها * وعارضُها مُلْقٍ كلاكِلَ جُنَّحا (١)
وأكلاء معروفٍ حرمت مَرِيعها * وقد عاد منها السهل والحزن مَسْرَحا
عرضت لأورادى وبحرك زاخرٌ * فلما أردن الوِرْد ألفين ضَحْضَحا
فلولم ترد أوراد غيرى غمارهُ * لقلت سرابٌ بالملتان توضّحا
فيالك بحراً لم أجد فيه مشرَباً * وان كان غيرى واجداً فيه مسبحا
مديحى عصا موسى وذلك أننى * ضربت به بحر الندى فتضحضحا
سأمدح بعض الباخلين لعلَّهُ * اذا اطرد المقياس أن يتسمَّحا
فيا ليت شعرى ان ضربت به الصفا * أيبعث لى منه جداول سُيَّحا
كتلك التى أبدت ثرى الارض يابساً * وشقت عيوناً فى الحجارة سُفَّحا
ملكت فأسجِحْ يا أبا الصقر انهُ * اذا ملك الأحرارَ مثلُك أسجحا

وما ضرع الى أحد هذه الضراعة ، ولا فى طوقه هذا الاحتمال ، وهذه الأبيات الأخيرة انما ولد أكثرها من قول أبى تمام الطائى لمحمد بن عبد الملك الزيات

فلو حاردَتْ شَوْلٌ عذرت لِقاحها * ولكن حرمت الدَّرّ والضرع حافلُ
أكابرَنا عطفاً علينا فاننا * بنا ظمأٌ بَرْحٌ وأنتم مناهلُ

(١) الكلاكل : الصدور ، وجنح : جمع جانح ، وهو المائل

وفيه يقول

هذا مقامى يا بنى وائلٍ * من مستجيرٍ بكمُ عائذِ
أنشب فيه الدهر أظفارَهُ * وعضه بالناب والناجذِ
فانصفوا منه أخا حُرْمةٍ * لاذبكم منه مع اللاذِ
فما أرى الدهر على جورهِ * يخرج من حكمكم النافذِ

وقال أيضاً

يا أيها السيد الذى وَهنَتْ * أنصار أمواله ولم يهنِ
فأصبحت فى يد الضعيف وذى الـ * ـقوّة والباقلىّ واللسنِ
غيرى على انى مؤملك الأقـ * ـدم سائلٌ بذاك وامتحنِ
مادح عشرين حِجة كُمُلا * محرومها عنك غير مضطغن
فضلك أو عدلك الذى ائتمن اللهُ * عليه أجل مؤتمنِ
إن كنتُ فى الشعر ناقداً فطِنا * فلتعطنى حق حِصّة الفَطِنِ
وان أكن فيه ساقطاً زَمِناً * فلتعطنى حق حصة الزَّمِنِ
سُمْ بىَ ديوانك الذى عدلت * جدواه بين الصحيح والضمنِ (١)
كثر بشخصى من استطعت من النا * س فان لم أزنك لم أشنِ
ما حق من لان صدره لك بالودّ * لقاءُ بجانب خشنِ

وقال أبو العباس الرومى لرجل مدحه فى كلمة

أبعد لِقاىَ دونك كل قَفْرٍ * يدِق الشخص فيه أن يُلاقا
وإعمالى اليك به المطايا * وقد ضرب الظلام له رِواقا
ورفضى النوم إلا أن ترانى * أعانق واسط الكُور اعتناقا
تسوق بنا الحداة فليس تدرى * أشوقاً كان ذلك أم سِياقا
أصادف دِرَّة المعروف شكْرَى * لديك ولا أذوقها ذُواقا (٢)

(١) الضمن ، على وزن كتف ، المريض (٢) شكرى ، على وزن سكرى ، ملآنة

يقول فيها

غداً يعلو الجيادوكان يعلو * اذاماالستفرهالسّبت الرّقاقا[1]

أعنّتها الشسوع فان عراها * حفاء الكد أنعلها طراقا

فزُوِّج بعد فقرٍ منه نعمى * أرانى الله صُبْحَتَها الطلاقا

نسب أبى العيناء

قال أبو القاسم على بن حمزة بن شمردل حدثنى أبى قال سألت أبا العيناء عن نسبه فقال : أنا محمد بن القاسم بن خلاد بن ياسر بن سليمان ، وأصل قومى من بنى حنيفة من أهل اليمامة ، ولحقهم سِباء فى أيام المنصور ، فلما صار ياسر فى قيده أعتقه ، فولاؤنا لبنى هاشم ، وكان أبو العيناء ضرير البصر ، ويقال إن جده الأكبر لقى على بن أبى طالب رضى الله عنه فأساء مخاطبته ، فدعا عليه وعلى ولده بالعمى ، فكل من عمى منهم صحيح النسب ! قال الصولى : حدثنى أبو العيناء : قال : لما أدخلت على المتوكل فدعوت له وكلمته استحسن كلامى : وقال لى : إن فيك شرًّا ! فقلت يا أمير المؤمنين ان يكن الشر ذكر المحسن باحسانه والمسيء باساءته ، فقد زكّى الله تعالى وذم ، فقال فى التزكية (نعم العبد انه أواب) وقال فى الذم (همّاز مشاء بنميم مناع للخير معتد أثيم) وقال الشاعر

إذا أنا لم أمدح على الخير أهلهُ * ولم أذمم الجِبس اللئيم المذمَّما[2]

ففيم عرفت الخير والشر باسمهِ * وشقَّ الله لى المسامع والفما

وان كان الشر كفعل العقرب التى تلسع السَّنّ والدنِّ بطبع لا بتمييز فقد

(١) استفره : طلب الفاره القوى من الخيل ، والسبت بكسر السين المهملة جلود البقر : يريد أنه كان يركب الخيل من الدواب (٢) الجبس : هو الدنئ الجبان ، ويجمع على أجباس ، قال

ماض إذا الأجباس بعد الكرى * تناكحت ازواج أحلامها

صان الله عبدك عن ذلك : فقال لى بلغنى انك رافضىٌ ، فقلت يا أمير المؤمنين وكيف أكون رافضيا وبلدى البصرة ، ومنشئى فى مسجد جامعها ، واستاذى الأصمعى وليس يخلو القوم أن يكونوا أرادوا الدين أو الدنيا ، فان كانوا أرادوا الدين فقد أجمع الناس على تقديم من أخروا ، وتأخير من قدموا ، وان كانوا أرادوا الدنيا فأنت وآباؤك أمراء المؤمنين ، لادين الا بك ، ولا دنيا الامعك ، قال كيف ترى دارى هذه ؟ قال قلت رأيت الناس بنوا دورهم فى الدنيا ، وأنت بنيت الدنيا فى دارك ، فقال لى ماتقول فى عبيد الله ابن يحيى قلت نعم العبد لله ولك مقسَّم بين طاعته وخدمتك ، يؤثر رضاك على كل فائدة ، وما عاد بصلاح ملكك على كل لذة ، قال فما تقول فى صاحب البريد ميمون بن ابراهيم ، وكان قد علم أنى واجد عليه بتقصير وقع منه فى أمرى ، فقلت ياأمير المؤمنين يدٌ تسرق واستٌ تضرط ! وهو مثل اليهودى سرق نصف جزيته ، فله إقدام بما أدى ، واحجام بما أبقى ، إساءته طبيعة ، واحسانه تكلف ، قال قد أردتك لمجالستى قلت لاأطيق ذاك ، وما أقول ذلك جهلا بمالى فى هذا المجلس من الشرف ، ولكنى محجوب ، والمحجوب تختلف عليه الاشارة ، ويخفى عليه الايماء ، ويجوز أن يتكلم بكلام غضبان ووجهك راض ، أو بكلام راضٍ ووجهك غضبان ، ومتى لم أميز بين هذين هلكت ، قال صدقت ، ولكن تلزمنا ، قلت لزوم الفرض الواجب اللازم فوصلنى بعشرة آلاف درهم

أحاديثه مع المتوكل

ولأبى العيناء مع المتوكل مجالس أدخل الرواة بعضها فى بعض وسأورد مستظرفها ان شاء الله . قال له المتوكل يوماً ياأبا العيناء لاتكثر الوقيعة فى الناس ، قال إن لى فى بصرى لشغلا عن الوقيعة فيهم ؟ قال ذلك أشد لحيفك فى أهل العافية ! وقال له يوماً هل رأيت طالبياً حسن الوجه قط ؟ فقال ياأمير المؤمنين أرأيت أحد

قط سأل ضريراً عن هذا ؟ قال لم تكن ضريراً فيما تقدم ، وانما سألتك عما سلف ، قال نعم رأيت منهم ببغداد منذ ثلاثين سنة فما رأيت أجمل منه ، قال المتوكل تجده كان مواجراً وتجدك كنت قواداً عليه ! فقال أبو العيناء ، وفرغت لهذا ياأمير المؤمنين ، أترانى أدع موالىَّ على كثرتهم ، وأقود على الغرباء ؟ قال اسكت يامأبون ؟ قال مولى القوم منهم ! قال المتوكل أردت أن أشتفى به منهم فاشتفى لهم منى ! وكان أبو العيناء أحدَّ الناس خاطراً ، وأحضرهم نادرة ، وأسرعهم جواباً وأبلغهم خطاباً — والمتوكل أول من أظهر من خلفاء بنى العباس الانهماك على شهوته ، وكان أصحابه يسخفون ويسفون بحضرته ، وكان يباهر الجلساء ، ويفاخر الرؤساء ، وهو مع ذلك من قلوب الناس محبَّب ، واليهم مقرب : إذ أمات ما أحياه الوائق من إظهار الاعتزال ، واقامة سوق الجدال

رسائل أبى العيناء

قال محمد بن مكرم الكاتب : من زعم أن عبد الحميد أكتب من أبى العيناء إذا أحسَّ بكرم ، أو شرع فى طمع ، فقد ظلم . كتب الى أبى عبيد الله بن سليمان وقد نكبه وأباه المعتمد ، وهما يطالبان بمال يبيعان له ما يملكانه من عقار وأثاث وعبد وأمة ، وقد أعطى بخادم أسود لعبيد الله خمسون دينارا

« قد علمت أصلحك الله أن الكريم المنكوب أجرى على الأحرار من اللئيم الموفور ، لأن اللئيم يزيد مع النعمة لؤما ، والكريم لا يزيد مع المحنة إلا كرما ، هذا متكل على رازقه ، وهذا يسيء الظن بخالقه ، وعبدك الى ملك « كافور » فقير وثمنه على ما اتصل بى يسير ، لأنه بخدمته السلطان ، يعرفنى الرؤساء والاخوان ولست بواجد ذلك فى غيره من الغلمان ، فان سمحت به فتلك عادتك ، وان أمرت بأخذ ثمنه فمالك مادتى ، أدام الله دولتك ، واستقبل بالنعمة نكبتك . فأمر له به وسمع ابن مكرم يقول : من ذهب بصره قلت حيلته . قال ما أغفلك عن أبى العيناء

وكتب أبو العيناء الى عبيد الله بن سليمان : أنا أعزك الله تعالى وولدى وعيالى زرع من زرعك ، إن سقيته راع وزكا ، وإن جفوته ذبل وذوى ، وقد مسنى منك جفاء بعد بر ، وإغفال بعد تعاهد ، حتى تكلم عدو ، وشمت حاسد ولعبت بى ظنون رجال كنت بهم لاعباً ، ولهم مجرِّساً ، ولله در أبى الأسود فى قوله

لاتهنِّى بعد إذ أكرمتنى * وشديدٌ عادة منتزَعة

فوقّع فى رقعته: أنا أسعدك الله على الحال التى عهدت ، وميلى اليك كما علمت وليس من أنسأناه أهملناه ، ولا من أخرناه تركناه ، مع اقتطاع الشغل لنا ، واقتسام زماننا. وكان من حقك علينا أن تذكرنا بنفسك ، وتعلمنا أمرك ، وقد وقعت لك برزق شهرين ، لتريح غلتك ، وتعرفنى مبلغ استحقاقك ، لأطلق لك باقى أرزاقك ، إن شاء الله ، والسلام

وكان اذا خرج من داره يقول : اللهم إنى أعوذ بك من الركب والركب ، والآجر والخشب ، والروايا والقرب

نوادره وفكاهاته

(قطعة من خطابه وجوابه) دخل على أبى الصقر بعد ما تأخر عنه فقال : ما أخرك عنا ؟ قال سُرق حمارى : قال وكيف سرق ؟ قال لم أكن مع اللص فأخبرك ! قال فلم لم تأتنا على غيره ؟ قال قعد بى عن الشراء قلة يسارى ، وكرهت ذلة المكارى ، ومنة العوارى

وزحمه رجل بالجسر على حماره فضرب بيديه على أذنى الحمار ، وقال: يا فتى قل للحمار الذى فوقك يقول الطريق ! ودخل على ابراهيم بن المدبر وعنده الفضل ابن اليزيدى وهو يلقى على ابنه مسائل من النحو فقال فى أى باب هذا؟ قال فى باب الفاعل والمفعول به. قال هذا بابى وباب الوالدة حفظها الله ! فغضب الفضل

وانصرف ، وكان البحترى حاضراً فكتب بعد ذلك بقصيدته الى ابراهيم بن المدبر التى أولها

ذكّرتنيك روحةٌ للشمولِ * أوقدت لوعتى وهاجت غليلى
أى شئ ألهاك عن سر من را ءَ وظل للعيش فيها ظليلِ (١)

وفيها يقول

أقتصاراً على أحاديث فضلٍ * وهو مستكرَهٌ كثير الفضولِ
فلام اصطفيت منكسف البا ل معاد المخراق نزر القبول
ان تزره تجده أخلق من شيب ب الغوانى ومن تعفّى الطلول
مسرجاً ملجماً وما متّع الصـ ـبح ادّلاجا للشحذ والتطفيل (٢)
غير أن المالكين على حا ل قليلو التمييز ضعفى العقول
فاذا ما تذاكر الناس معنًّى * من متين الاشعار والمجهول
قال هذا لنا ونحن كشفنا * غيبه للسؤال والمسؤول
ضرب الأصمعى فيهم أم الاحـ ـمر أم ألقحوا بأير الخليل (٣)
جُلّ ما عنده التردد فى الفا عل من والديه والمفعول

وعزى بعض الأمراء فقال: أيها الأمير كان العزاء لك لابك ، والعناء لنا لا لك ، واذا كنت البقية ، فالرزية عطية ، والتعزية تهنية (وسئل أبو العيناء) عن مالك بن طوق فقال لو كان فى زمن بنى اسرائيل ونزل ذبح البقرة ماذبح غيره ! قيل فأخوه عمر ؟ قال كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا (وكان موسى بن عبد الملك) قد اغتال نجاح بن سلمة فى شراب شربه عنده فقال المتوكل بعد ذلك لأبى العيناء ما تقول فى نجاح بن سلمة ؟ قال ما قال الله تعالى: فوكزه موسى فقضى عليه! فاتصل ذلك بموسى فلقى الوزير عبيد الله بن يحيى

(١) سر من راء : هى مدينة سر من رأى (٢) متع الصبح : ظهر ، والشحذ والتطفيل : التسول والسؤال (٣) الاحمر : هو خلف الاحمر

ابن خاقان فقال أيها الوزير أردت قتلى فلم تجد الى ذلك سبيلا إلا بأدخال أبى العيناء الى أمير المؤمنين مع عداوته لى ، فعاتب عبيد الله أبا العيناء فى ذلك فقال والله ما استعذبت الوقيعة فيه حتى ذممت سريرته لك ، فأمسك عنه . ثم دخل بعد ذلك أبو العيناء على المتوكل فقال : كيف كنت بعد ؟ قال فى أحوال مختلفة خيرها رؤيتك وشرها غيبتك ، فقال قد والله اشتقتك ! قال إنما يشتاق العبد ، لأنه يتعذر عليه لقاء مولاه ، وأما السيد فمتى أراد عبده دعاه . وقال له المتوكل من أسخى من رأيت ؟ قال ابن أبى دؤاد . قال المتوكل تأتى الى رجل رفضته فتنسبه الى السخاء ؟ قال إن الصدق يا أمير المؤمنين ليس فى موضع من المواضع أنفق منه فى مجلسك ، وان الناس يغلطون فيمن ينسبونه الى الجود لأن سخاء البرامكة منسوب الى الرشيد وسخاء الفضل والحسن ابنى سهل منسوب الى المأمون ، وجود بن ابى دؤاد منسوب الى المعتصم ، فاذا نسب الناس الفتح وعبيد الله ابنى يحيى الى السخاء فذلك سخاؤك يا أمير المؤمنين ، قال صدقت ، فمن أبخل من رأيت ، قال موسى بن عبد الملك قال وما رأيت من بخله ، قال رأيته يخدم القريب كما يخدم البعيد ، ويعتذر من الإحسان كما يعتذر من الإساءة ، فقال له قد وقعت فيه عندى مرتين وما أحب لك ذلك فالقه واعتذر اليه ، ولا يعلم أنى وجهت بك ، قال يا أمير المؤمنين من يستكتمنى بحضرة ألف ؟ قال لن تخاف ، قال على الاحتراس من الخوف . فصار الى موسى فاعتذر كل واحد منهما الى صاحبه ، وافترقا عن صلح فلقيه بعد ذلك بالجعفرى فقال يا أبا عبد الله قد اصطلحنا فمالك لا تأتينا ؟ قال أتريد أن تقتلنى كما قتلت نفساً بالأمس ؟ فقال موسى ما أرانا الا كما كنا ! وقال له المتوكل : ابراهيم بن نوح النصرانى واجد عليك ، قال ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم ! قال ان جماعة من الكتاب يلومونك فقال

اذا رضيت عنى كرام عشيرتى * فلا زال غضباناً على لئامها

قال المتوكل له : أكان أبوك فى البلاغة مثلك ؟ قال لو رأى أمير المؤمنين أبى

لرأى عبداً له لا يرضانى عبداً له (وقيل لأبى العيناء) ان المتوكل قال : لولا انه ضرير البصر لنادمته ، فقال ان أعفانى من رؤية الأهلة ، وقراءة نقش الفصوص ، فأنا أصلح للمنادمة[1] ولقيه رجل من اخوانه فى السحر ، فجعل يعجب من بكوره ، فقال أراك تشاركنى فى الفعل وتفردنى بالتعجب ! ووقف به رجل من العامة فأحس به فقال من هذا ؟ قال رجل من بنى آدم ! قال مرحباً بك ، أطال الله بقاك ، وبقيت فى الدنيا ، ما ظننت هذا النسل الا قد انقطع ! ودخل على عبيد الله بن سليمان فقال : اقرب منى يا أبا عبد الله ، فقال أعز الله الوزير ، تقريب الاولياء ، وحرمان الأعداء ، قال تقريبك غنم ، وحرمانك ظلم ، وأنا ناظر فى أمرك ، نظراً يصلح من حالك ، ان شاء الله ، وقال له يوماً اعذرنى فانى مشغول . فقال له اذا فرغت من شغلك لم نحتج اليك ، وأنشده

فلا تعتذر بالشغل عنا فانما * تُناط بك الآمال ما اتصل الشُّغْل

ثم قال ياسيدى قد عذرتك ، فانه لا يصلح لشكرك ، من لا يصلح لعذرك ، وأقبل اليه يوماً فقال من أين يا أبا عبد الله قال من مطارح الجفاء ! (وقال له مرة) نحن فى العطلة مرحومون ، وفى الوزارة محرومون ، وفى القيامة كل نفس بما كسبت رهينة ؟ وسار يوماً الى باب صاعد بن مخلد فقيل هو مشغول يصلى ، قال : لكل جديد لذّة ! وكان صاعد نصرانيا قبل الوزارة (ودخل الى عبيد الله بن سليمان) فشكى اليه حاله فقال : أليس قد كتبنا لك الى ابراهيم بن المدبّر فقال : كتبت الى رجل قد قصّر من همته طول الفقر ، وذل الأسر ، ومعاناة محن الدهر ، فأخفقته فى طلبتى ! قال أنت اخترته ؟ قال وما علىّ أعز الله الوزير فى ذلك ، قد اختار موسى قومه سبعين رجلا ، فما كان منهم رشيد ، واختار النبى صلى الله عليه وسلم ابن أبى سرح كاتباً ، فرجع الى المشركين مرتداً ، واختار على ابن أبى طالب أبا موسى حاكما له فحكم عليه !

(١) رؤية الاهله وقراءة نقش الفصوص : كناية خبيثة التأويل

ابراهيم بن المدبر

وكان ابراهيم بن المدبر أسره صاحب الزنج بالبصرة وحبسه ، فاحتال حتى نقب السجن وهرب فلذلك ذكر أبو العيناء ذل الأسر ، وكان قد ضرب فى وجهه ضربة بقى أثرها إلى أن مات . ولذلك قال البحترى

ومبينة شهرَ المنازل وسمها * والخيل تكبو فى العجاج الكابى
كانت بوجهك دون عرضك اذ رأوا * أن الوجوه تصان بالاحساب
ولئن أسرت فما الإسار على امرئ * نصرَ الإسار على الفرار بعاب[1]
نام المضلل عن سُراك ولم تخف * عين الرقيب وقسوة البواب
فركبتها هولا متى تخبر بها * يقل الجبان أتيتَ غير صواب
ما راعهم الا استراقك مُصلتاً * فى مثل بُرد الأرقم المنساب[2]
تحمى غيلمةً وطائشة الخطى * تصل التقلب خشية الطلاّب
قد كان يوم ندى بطولك باهراً * حتى أضفت اليه يوم ضِراب[3]
~~ذكر من البأس استمنت الى الذى~~ * أعطيت فى الأخلاق والآداب
ووحيدة أنت انفردت بفضلها * لولاك ما كتبت على الكتّاب

(١) العاب : العيب (٢) المصلت السيف ، والارقم : الحيه
(٣) الضراب الطعان

صاحب الزنج

قال أبو بكر الصولى حدثنى محمد بن أبى الازهر وقد ذاكرته خبر على صاحب الزنج قال : ادعى انه على بن محمد بن احمد بن عيسى بن زيد بن على ابن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم ، فنظرت مولده ومولد محمد بن أحمد الذى ادعاه فكان بينهما ثلاث سنين . وكان لمحمد بن أحمد ولد اسمه على مات بعد هذا المدعى اسمه ونسبه بزمان . ثم رجع عن هذا النسب فادعى انه على ابن محمد بن عبد الرحيم بن رحيب بن يحيى المقتول بخراسان ابن زيد بن على . قال أبو عبيدة محمد بن على بن حمزة ولم يكن ليحيى ولد يقال له رحيب ولا غيره لانه قتل ابن ثمانى عشرة سنة ولا ولد له . قال بشر بن محمد بن السرى بن عبد الرحمن بن رحيب هو ابن عم أبى لحاعلى بن محمد بن عبد الرحمن بن رحيب ورحيب رجل من العجم من أهل ورتين من ضياع الرى وهو القائل لبنى العباس

بنى عمنا إنّا وأنتم أناملٌ * تضمنها من راحتيها عقودها
بنى عمنا وليّتم الترك أمرنا * ونحن قديماً أصلها وعمودها
فما بال عُجم الترك تقسم فيئنا * ونحن لديها فى البلاد شهودها
فأقسم لا ذقت القراح وان أذق * فبُلغة عيش أو يباد عميدها[1]

وقال أيضاً

لهف نفسى على قصورٍ ببغدا * دَ وما قد حوته من كل عاصِ
وخمور هناك تشرب جهراً * ورجال على المعاصى حِراص
لست بابن الفواطم الزُّهر إن لم * أقحم الخيل بين تلك العراصِ

وله فى هذا المعنى شعر كثير قد ناقضه البغداديون ، وكانت مدته حين نَجَم إلى أن قتل أربع عشرة سنة ، وجملة من قتل ألف ألف وخمسمائة ألف

(١) البلغة : مايتبلغ به

ملح أبى العيناء

وذكر أبو العيناء رجلا فقال: ضحك كالبكاء، وتودد كالعزاء، ونوادر كندب الموتى: وكان يهاتر بن مكرم كثيراً، وكتب اليه بن مكرم يوماً (قد ابتعت لك غلاماً من بنى ناشر، ثم من بنى ناعط ثم من بنى نهد) فكتب اليه (فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين) — وولد لأبي العيناء ولد فأتى ابن مكرم فسلم عليه ووضع حجراً بين يديه وانصرف، فأحس به فقال: من وضع هذا؟ فقيل ابن مكرم، قال لعنه الله انما عرّض بقول النبى صلى الله عليه وسلم: الولد للفراش وللعاهر الحجر. وقال لابن مكرم وقد قدم من سفر: مالك لم تهد الينا هدية؟ قال لم آت بشيء وانما قدمت فى خف. قال لو قدمت فى خف لخفت روحك! وأتى الى باب ابراهيم بن رياح فحجب فقال: إذا شغل بكأس يمناه، وبحر يسراه، وانتسب إلى أب لا يعرف أباه، لايحفل بحجاب من أتاه. وقدم إليه أبو عيسى بن المتوكل سكباجة فجعل لاتقع يده الا على عظم. فقال جعلت فداك هذه قِدر أو قبر * ودعا ضريرا ليعشيه فلم يدع شيئاً إلا أكله، فقال ياهذا دعوتك رحمة فتركتنى رحمة

﴿ انتهى الجزء الأول ﴾

اقرأ مؤلفات

الدكتور زكى مبارك

فهرست الجزء الاول

من كتاب زهر الآداب

صفحة		صفحة	
	مقدمة شارح الكتاب	٤٥	قوة معاوية
١	مقدمة المؤلف	٤٦	الأحنف بن قيس
٥	الزبرقان بن بدر	٤٨	شعر زهير
	وعمرو بن الأهتم	٤٩	التهنئة والتعزية
٧	غلام يتكلم فى حضرة	٥٠	كلمات مأثورة
	عمر بن عبد العزيز	٥٣	وصف قريش
٨	السحر الحلال	٥٥	رثاء الحسن بن على
١٠	عليه بنت المهدى	٥٦	المصيبة بأبناء النبوة
١٤	حسن الحديث	٥٧	بين أخوين
١٨	الشعر والبيان	٥٧	معاوية والحسين
٢٠	جمرات العرب	٥٨	ابن أبى ربيعة وسكينة
٢٣	شذور من كلام الرسول	٥٩	فضل البيان
٢٧	قصه النضر بن الحارث	٥٩	الفرزدق وعلى بن الحسين
٢٨	وفاة رسول الله	٦٢	هيبة اللقاء
٣١	مناقب أبى بكر	٦٥	عاقبة الحرب
٣٢	رثاء أبى بكر	٦٧	قتال الأقارب
٣٣	عمر بن الخطاب	٧٠	شعر ابى تمام
٣٥	عاتكة بنت زيد	٧١	شىء من الحكمة
٣٦	عثمان بن عفان	٧٢	زيد بن على
٣٧	على بن أبى طالب	٧٣	الحرص على الأدب
٤٢	فى يوم الأحزاب	٧٤	عبد الله بن الحسن
٤٤	كلام الصحابة والتابعين	٧٧	جعفر بن محمد

صفحة	
٧٨	عبد الله بن معاوية
٨٠	الحسن بن زيد
٨١	ابراهيم بن هرمة
٨٢	موسى بن عبد الله
٨٣	العباس بن الحسين
٨٥	على بن موسى
٨٦	دعبل والمأمون
٨٨	أوصاف الأشراف
٨٩	الابتداء بحمد الله
٨٩	محمود الوراق
٩١	البلاغة والبيان
٩٢	وصف القرآن
٩٣	عمرو بن عبيد
٩٥	البلاغة عند أهل الهند
٩٦	الاطالة والايجاز
٩٨	المعانى والألفاظ
١٠٠	بشار بن برد
١٠١	وصية أبى تمام للبحترى
١٠٢	فضل الليل
١٠٣	واجب النساخ
١٠٤	صور مختلفة للبلاغة
١٠٦	صفة البلاغة والبلغاء
١٠٩	وصف النثر والشعر
١١١	أبو الفضل العميد
١١٢	الصاحب بن عباد
١١٣	ابو الفضل الميكالى
١١٤	ابو منصور الثعالبى

صفحة	
١١٥	الفاظ اهل العصر
١١٦	رسائل الميكالى
١١٨	وصف الامير أبى الفضل
١٢٠	أمراء البيان
١٢١	وصف البلاغة
١٢٥	الوزير المهلبى
١٢٧	الحكمة ضالة المؤمن
١٢٧	وصف الكتاب
١٢٨	نجابة المأمون
١٣٠	تهادى الكتب
١٣٢	وصف خطاب
١٣٥	لوعة الشوق
١٣٦	سعيد بن مسلم والمأمون
١٣٧	أبو تمام والجارية الفارسية
١٣٨	طرفة أدبية
١٣٩	واجب الجليس
١٣٩	الحديث المعاد
١٤٠	أنواع الادب
١٤٠	اللهو المباح
١٤١	تقسيم الايام
١٤٢	لاتعدل بالسلامة شيئا
١٤٢	فضل السكوت
١٤٣	ذكاء إياس
١٤٣	الفرار من الحديث الممل
١٤٤	طرف أدبية
١٤٥	الغاضرى وأشعب
١٤٦	ملح أشعب

صفحة	
١٤٧	الجماز وأبو نواس
١٤٨	مناقب الرجال
١٤٩	رواية الشعر والنسيب
١٤٩	عروة بن أذينة
١٥٠	أبو السائب المخزومى
١٥١	حب الأحوص
١٥٢	يغفر الله لأهل الجمال
١٥٢	أبو حازم
١٥٣	شعر الفقهاء
١٥٥	أبونواس وجنان
١٥٥	ظرف أهل المدينة
١٥٧	التشبيب بأخت الحجاج
١٥٨	شذرات لابن المعتز
١٥٩	شعر ابن المعتز
١٦١	السرى الموصلى
١٦٣	رثاء المنصور
١٦٣	أوصاف الرجال
١٦٤	طيب الوصال
١٦٥	نثر ابن المعتز
١٦٦	وصف الماء
١٦٧	عفاف عاتكه المرية
١٦٧	أحواض مأرب
١٦٨	بركة الجعفرى
١٦٩	قصور المتوكل
١٧٠	وصف موضع
١٧١	دار البحر بالمنصورية
١٧٣	المياه والغدران

صفحة	
١٧٤	وصف الرعد والبرق
١٧٧	أبو العباس الناشىء
١٧٨	الشرب فى الصحو
١٧٩	وصف رجل حازم
١٨٠	ابراهيم ابن أدهم
١٨٠	وصف التقى والزهد
١٨١	ابن المقفع
١٨٢	عاصم بن ثابت
١٨٢	فهم المنصور
١٨٣	ألسنة الحساد
١٨٤	وصف الحسد
١٨٤	باب السلطان
١٨٥	نجوى محب
١٨٦	ابراهيم بن المهدي
١٨٧	اردشير بن بابك
١٨٨	أخلاق الملوك
١٨٩	أخت ملك الخزر
١٩٠	أقوال الملوك
١٩١	كلمات مأثورة
١٩٢	كلام الملوك
١٩٢	الرأى والعزيمة
١٩٣	همة سعد بن ناشب
١٩٣	كلام الملوك أيضاً
١٩٤	مقتل المتوكل
١٩٥	وفاء البحترى
١٩٧	أبو حية النميرى
١٩٨	جناية المشيب

صفحة	
١٩٩	وصف الشباب
٢٠٠	نجابة الشباب
٢٠١	ابن مناذر
٢٠١	أعباء الكهولة
٢٠٢	حميد بن ثور
٢٠٣	جناية الليالى
٢٠٥	وصف الثغر
٢٠٧	وصف الجوارى السود
٢١١	التهنئة بتوأمين
٢١١	شىء من الهجاء
٢١٢	وصف الأقواه
٢١٤	فتنة الساق
٢١٥	شعر ابن أبى ربيعة
٢١٦	مزيد المدنى
٢١٦	بكاء الديار
٢١٨	شعر أبى نواس
٢١٩	طرفة أدبية
٢١٩	تظرف الحارث بن خالد
~~٢٢٠~~	~~عائشة بنت طلحة~~
٢٢٠	ابن أبى عتيق
٢٢١	الثريا بنت على
٣٢٤	كمثل الشيطان

صفحة	
٢٤٢	رملة بنت عبدالله
٢٢٥	صفقة أبى غبشان
٢٢٦	حب ابن أبى ربيعة
٢٣١	عائشة بنت طلحة
٢٣٢	عمامة ابن الرومى
٢٣٣	سليمان بن عبدالملك
٢٣٤	وصف رجل ماجد
٢٣٥	البديع الهمذانى
٢٣٥	كتابه الى أبى نصر الميكالى
٢٣٩	عتابه للميكالى
٢٤٠	إن من الشعر لحكمة
٢٤٣	أبو العيناء
٢٤٤	أبو الصقر
٢٤٨	عتاب ابن الرومى لابى الصقر
٢٥٠	نسب أبى العيناء
٢٥١	أحاديثه مع المتوكل
٢٥٢	رسائل أبى العيناء
٢٥٣	نوادره وفكاهته
٢٥٧	ابراهيم بن المدبر
٢٥٨	صاحب الزنج
٢٥٩	مادح أبي العيناء

obeikandl.com

الأخلاق عند الغزالي

تأليف

الدكتور زكي مبارك

يقع هذا الكتاب فى ٤٣٤ صفحة ، وبه كثير من الرسوم التاريخية ، التى تمثل طائفة من المعالم القديمة ، وبه مقدمة شائقة بقلم الاستاذ الكبير الدكتور منصور فهمى — وهـذا الكتاب ضرورى جدًّا لمن يحب الوقوف على فلسفة الأخلاق ، وهو مكتوب بلغة صريحة جريئة تتناسب مع خُطورة الموضوع الذى كتب فيه ، وعلى الأخص عند الكلام عن الفرق بين الخير والشر ، والكفر والايمان ، والشك واليقين ، والجبر والاختيار ، وما الى ذلك من تلك المباحث العويصة التى حار فى فهمها المتقدمون ، وخبط أكثرهم فيها خَبْطَ عَشْواء

وقد قامت حول هـذا الكتاب ضجة عنيفة ، فمن الواجب أن يطلع عليه أهل العلم ليقفوا على كُنْهِ مافيه من آثار حرية الرأى والفِكْر ، ان كانوا ممن يرفضون الظن ويطلبون اليقين

حب ابن أبي ربيعة

بقلم

الدكتور زكي مبارك

من كان بطبعه ميالا الى الحرية فى الفكر ، والاستقلال فى الرأى ، وكان مع ذلك محبا للانصاف ، راغبا فى الاعتدال ، فليقرأ هذا الكتاب فانه ينمّى فكرته ، ويقوّى شخصيته ، .. ويزيده بصراً بالنقد ، وعلماً بالشعر ، ويهديه السبيل الى فهم الأدب ، والحكم على الشعراء

وجديرٌ بمن نظر فيه أن يكمل علمه ، ويكبُر عقله ، لما عرف به الاستاذ زكى مبارك من سلامة الذوق ، وأصالة الرأى ، وما امتاز به من بعد النظر ، ودقة الملاحظة ، مع ماله من رشاقة الأسلوب ، ومتانة التركيب ، الى غير ذلك من الميزات التى تجعلنا نأمل كثيراً أن يكون هذا الابن البار إماماً من أئمة الأدب ، وعظيما من عظماء الأمة ،

جعله الله قدوة لشباننا العاملين ، وابنائنا الناهضين ، والسلام

مصطفى الفابانى

٢٥ فبراير سنة ١٩١٩

مدامع العشاق

تأليف

زكي مبارك

هـذا كتاب لم يسبق له نظير فى الآداب العربية ، تناول فيه المؤلف بالنقد والتحليل أروع وأبدع ما قال الشعراء فى قهر الحب للنفوس ، وأسره للقلوب ، وفصل به النوازع الوجدانيه فى نحو سبعين باباً فى كل باب منها بحث شائق طريف . وفيه مقدمة بديعة تمثل رأى المؤلف فى دولة الجمال ، هى وحدها كتاب قائم بذاته ، لمن يعنيه فهم تلك القوة الساحرة ، التى تَفْتِنُ فى استعباد الأحرار !

وانك لتجد فى هذا الكتاب تفصيلا لموجبات الدموع ، والدمع عند الوداع ، والدمع بعد الفراق ، وشكوى الصبابة ، والبكاء عند منازل الأحباب ، ووشايه الدمع ، وسلطان الحب ، وغرام النساء بالنساء ، وطيف الخيال ، وليالى سنتريس ، واليأس والرجاء ، والعتاب ، ونوح الحمام ، وثورة الوجد ، والأرق والسهاد ، ومداراة الرقباء ، وبخل الحسان ، وظلم الحبيب ، والهرب من الفراق ، وبلايا الغيرة ، والرفق بالحبيب المريض ، واهوال الصدود — ومالى ذلك من الأبحاث الممتعة التى لاتجدها مفصلة فى أى كتاب

البديع

كتاب يمثل قوة الحق وروعة الجمال

بقلم

زكي مبارك

ما بال فريق من الناس ، يؤمنون بما خُلقت له أيديهم وأرجلهم ، وعيونهم وآذانهم ، ثم يرتابون فيما خلقت له عقولهم ؟

فلا وربك لا يؤمنون حتى يعرفوا أن المؤمن عن نعمة العقل مسئول ، وما كنت لأعقّ العقل ، وقد حكّمه الله يوم هداني إلى الإيمان ؛ فمن كان يريد أن يرى غضبتي للحق ، وعبادتي للجمال ، فليقرأ هذا الكتاب ، ومن كان يريد أن يرى صورة مكررة لمن سلف من الكتاب والشعراء ، فليعلم أن الخمول أحبُّ إليّ من أن أكون صدًى لأحد من القدماء ، أو المحدثين ، وما أهون التضحية في سبيل الابداع اذا انحصرت في الخمول :

زكي مبارك

السطر	صفحة	الخطأ	الصواب
٦	٨	لمجلتيه	لمجتليه
١٥	٢٥	أمَّهِ	أمِّهِ
٢	٣٧	يُسرَّ	يُسرُ
٢٠	٥١	صديقُ	صديقِ
٧	٧٤	احتجب	احتجت
٥	٥٧	تعطلعن	تعطَّلن
١	٧٠	فضعَهُ	فضعْهُ
٢	١١٠	الايحاز	الايجاز
١١	١١٧	غمه	عمة
٢٢	١٢٢	المهمة	المهمه
٢٣	١٣١	الباغ: الطيب	الباغ: البستان
١٨	١٥١	عُوَجا	عُوجَا
١٨	١٥٤	يصبوح	بصبوح
١٢	١٦١	ستاتره	ستائره
٧	١٦٩	تفضَى	تفضِى
٢٢	١٦٩	الخرامى	الخزامى
٢	١٧٥	وبلَها	وبلُها

obeikandl.com